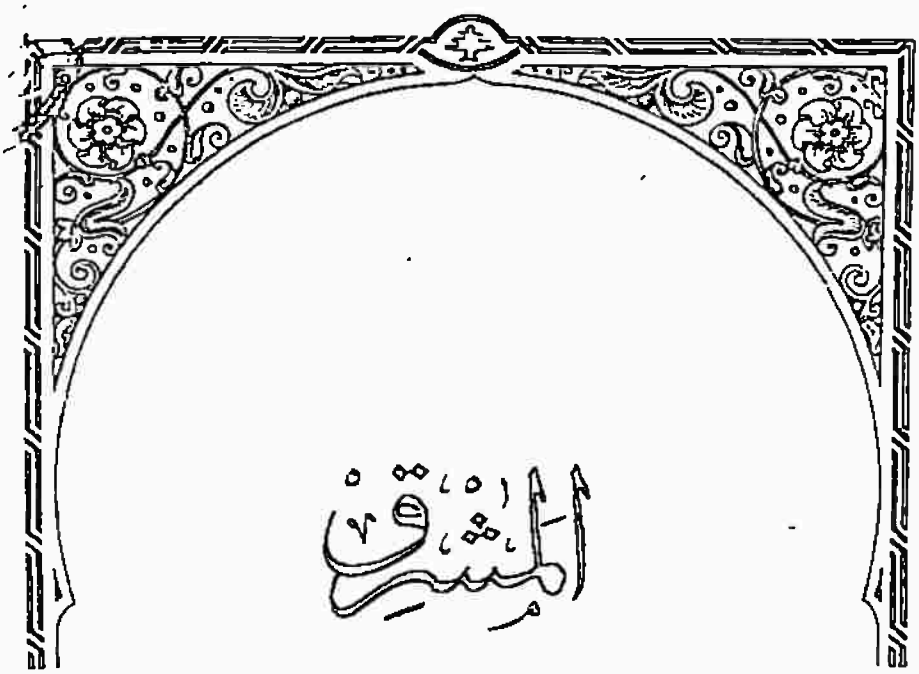

السنة الثامنة والعشرون
تشرين٢ – كانون١ ١٩٦٤

النصرانية في جنوب العراق

نصارى كسكر وواسط قبيل الاسلام

بقلم الاستاذ يوسف يعقوب مسكوني

النصرانية في بلاد ما بين النهرين عريقة قديمة يرجع تاريخها الى القرن الثالث المسيحي . كما تشهد بذلك النصوص التأريخية . والاخبار الكنائسية ، والوثائق الدينية ، لانها من الاديان السماوية التي قضت على الوثنية المنتشرة اوانذاك في جنوب العراق ، والمقتبسة من الاديان الوثنية التي كانت قد عمت بلاد فارس وما جاورها . وقد اورد المرحوم العلامة الاب لويس شيخو اليسوعي بحثاً مستفيضاً عن النصرانية في العراق في كتابه « آداب النصرانية » نجتزئ منه ما يلائم مقدمتنا هذه قبل التفصيل والتعمق في رجال النصرانية الافذاذ الذين اقاموا المبادئ المسيحية على اسس ثابتة ودعائم راسخة قوية ادت الى محو الوثنية من انحاء العراق وهو يومئذ تحت نفوذ امبراطورية فارسية مجوسية . جاء في تلك المقدمة ما نصه : « لما اشرقت شمس النصرانية سار دعاتها الى ما بين

النهرين والجزيرة والعراق فدعوا اليها اهل تلك الاقطار الذين لبوا دعوتهم وانضمت الجموع الغفيرة في سلك المسيحية . واذ كانت العرب ممتزجة مع سكان تلك الجهات اقبلوا هم ايضاً على التدين بها وجحدوا عبادة الاصنام والكواكب . ولنا على تنصر عرب العراق شواهد سبق بعضها عهد مالك بن فهم فمن ذلك ما رواه كتبة الكلدان عن اول من بشر بالدين المسيحي في مواطنهم . وكان العلامة يوسف السمعاني في مكتبته الشرقية (ج ٤ ف ٥ . ص ٣٠) جمع عدة شواهد من اقوالهم تصرح بانتشار المسيحية في العراق ونواحي آشور وبابل عن يد الرسولين توما وبرتلماوس . وبدعوة ثلاثة من المبشرين الاولين اعني « ادّي » او « تدّي » احد السبعين وتلميذيه « اجي » و« ماري » . لكن كثيراً من علماء التاريخ لم يسلموا له بصحتها اذ رأوها حديثة العهد من القرن العاشر فما بعد . لكن الاكتشافات الحديثة في السريانية لم تنق ريباً في الامر اذ ثبت أن ادّي . الذي يعتبره الكلدان كرسولهم . كان حقاً من تلامذة السيد المسيح ؛ وان بشارته في جهات العراق لا يجوز نكرانها . فان أقدم التواريخ الكلدانية من القرن الخامس الى التاسع التي نشرت مؤخراً كتأريخ « برحد بشابا عربايا » وتأريخ « مشيحازخا » وشعر « نرساي » في القرن السادس وشهادة آباء مجمع المدائن المنعقد في بلاط الملك كسرى سنة ٦١٢ م ؛ واعمال الشهداء ؛ والكتب الطقسية القديمة كلها تشير الى شهادة الرسول ادي[1] كما ان بعضها يروي اعمال القديس ماري تلميذ « أدّي »[2] وفي الشواهد عن هؤلاء المبشرين الاولين الكلدان ربما ذكروا تبشيرهم لنواحي العرب. قال صاحب كتاب « النحلة » من كتبة القرن السابع : وكان الداعي والمنصر (كذا) والمتلمذ والمدبر بالجزيرة والموصل وارض بابل والسواد وما والاه من بلاد التيمن واخذ ة ونواحي العرب من التلاميذ السبعين ادّي وماري وحق بهما من التلاميذ الاثني عشر ثانيل وهو ابن « تلماي » — أي برتلماوس — لان لفظة « بر » الارمية معناها « ابن » وقد قال ماري بن سليمان عن هذا الرسول في (ص ٥) من كتابه « فطاركة المشرق » : ان برتلماوس تلمذ ، مع ادي وماري ، نصيبين والجزيرة والموصل وارض بابل والسواد وبلاد العرب وارض المشرق والنبط .

---

(١) كتاب *Sources Syriaques* التي نشرنا وكتاب المثلث الرحات البطريرك عبد يشوع خياط بطريرك بابل على الكلدان في القرن الماضي المدعو بـ (الكلدان والقسطرة والرئاسة البطرية).

(٢) نشر ترجمته لاول مرة في الاصل السرياني ابليس J. B. Abbeloos (*Acta S. Maris*)

وقد سبقها القديس افرام الكبير في القرن الرابع وذكر بشارة ادي الى الرها والمشرق في الميمر[1] الذي مدح فيه مدينة الرها .

اما ماري فان ذكره لا يكاد يفترق عن ذكر ادي في الشواهد السابق ذكرها كالكتب الطقسية الانطورية واعمال اجامع وترجمته الموما اليها وكلها تشير الى دعوته بين بلاد العرب في بلاد ميشان[2] وسواد العراق وسكان الخيام . قال ماري بن سليمان في تأريخ « فطاركة المشرق » : « ان ماري بادر الى تلماذ — أي تنصير — جميع نواحي ارض بابل والعراقين والاهواز ... وبلاد العرب سكان الخيم وحوار وجزائر بحر اليمن » . وقد روى الطيب الذكر السيد عبد يشوع خياط في مقدمة اعمال مار ماري[3] ان ذخائره وجدت سنة ١٨٧٩م . مع ذخائر يشوع بن سيران احد شهداء القرن السادس بين اثار كنيسة قديمة موقعها في كرملاش[4] شرقي الموصل . فهذه الشواهد من شأنها ان تزيل الشك في تاريخية ماري التي ارتاب فيها البعض[5] وقال في مكان آخر ما نصه : ان الياً النصيبيني ذكر اساقفة على البصرة وكان اسمها « فرات ميشان » منذ سنة ٣١٠ م وقد شهد المؤرخون ان سياحاً من النصارى كانوا يعيشون بين احياء عرب العراق منذ اواخر القرن الثالث واوائل الرابع ذكرهم المؤرخ (سوزمان)[6] ودعاهم بالرعاة لانهم كانوا يعيشون في البراري ويقتاتون من النبات . وروى ذلك المؤرخ انهم بحياتهم النسكية وفضائلهم العجيبة ردوا كثيرين من العرب والعجم الى الدين النصراني . ثم تبع هؤلاء السياح رهبان الصعيد واخذوا عنهم طرائقهم النسكية . فكثيرون منهم اشتهروا في جبلات

(١) الميمر لفظة آرامية معناها معلقة او قصيدة من الشعر نجدها معربة في اكثر الكتب التي تبحث في تأريخ الكنيسة ورجالها .

(٢) ميشان : كان يطلق على القسم الجنوبي من العراق في البقعة المحصورة بين واسط والبصرة . ومنها فرات ميسان (براث ميشان) وهي في البقعة المحصورة بين ما كان يسمى بيت اراماني وبيت داراي (راجع الخارطة المثبتة في آخر الجزء الثاني من تأريخ كلدو وآثور للمرحوم (ادي شير) مطران سعرد سابقاً . وراجع معجم البلدان لياقوت الحموي مادة بادريا ج٢ ص ٢٨ و ٢٩ . ومادة ميسان ج ٨ ص ٢٢٤ و ٢٢٥ من طبعة مصر) .

(٣) وردت ترجمته في كتاب (*Acta S. Maris*) ص ٧ و ٨) .

(٤) وتعرف اليوم بقرية (كرمليس) وهي قرية مسيحية مشهورة بحدائق الكروم تقع بالقرب من قرية (برطلة) وهي تبعد عن الموصل اكثر من اثني عشر ميلاً ذكرها ياقوت في معجم البلدان قال ما نصه بالحرف : « كرمليس : كأنها مركبة من كرم وليس . قرية من قرى الموصل شبيهة بالمدينة من اعمال نينوى في شرقي دجلة كثيرة النخل والاهل وبها سوق عامر وتجار » أ هـ ج ٧ ص ٢٤٥ من الطبعة المذكورة آنفاً .

(٥) النصرانية وآدابها للمرحوم الاب لويس شيخو اليسوعي ج ١ ص ٧٤ و ٧٥ .

(٦) Socombne: H. E. I, 34

العراق وفي البلاد التي كان يسكنها العرب . ومن خصهم بالذكر قدماء الكتبة الراهب حنا الكشكري [1] الذي سكن في بلاد جرم وابتنى ديراً هناك نحو سنة ٣٢٥م .

وفي النصف الثاني من القرن الرابع تولى احد الرهبان النصارى اسمه «عبدا» بناء الاديرة في انحاء بلاد العرب فتقدم على جاثليق المدائن المسمى « تموز » او « تومرصا » ونال منه الرخصة في ذلك فبنى هو ديراً كبيراً في ديرقني [2] او درقان وطنه على اسم مار ماري حيث كانت ذخائر ذلك الرسول . وبنى تلامذته اديرة اخرى منهم تلميذه عبد يشوع الذي شيد على نهر صرصر [3] الدير المعروف بالصليب حيث كان ظهر صليب منير في ايام استشهاد المسيحيين على يد سابور باعراء المجوس . وشيد ديراً آخر في باكسايا [4] في سواد العراق ثم ديراً ثالثاً عند الفرات . واخبر المؤرخ ابن ماري (ص ٢٩ وهو ماري بن سليمان انه تلمذ العرب في مثوث [5] وميشان واليمامة ورد بني

(١) المكتبة الشرقية للسمعاني ج ٤ ص ٦٩١–٧٠٤ .

(٢) راجع مادة ديرقني (ج ٤ ص ١٦٤ و ١٦٥) من معجم البلدان لياقوت الحموي طبعة مصر . وراجع كذلك (ديرقني) موطن الوزراء والكتاب ومنقل النصرانية في العراق « للاستاذ ميخائيل عواد : « المشرق » ٣٧ بيروت ١٩٣٩ ص ١٨٠–١٩٨ .

(٣) قال ياقوت الحموي في مادة صرصر ما نصه : « وصرصر في طريق الحج من بغداد قد كانت تسمى قديماً قصر الدير او صرصر الدير ... وقد خرج منها جماعة من التجار والاعيان واصحاب الاموال .... منهم التقي ابو اسحق ابراهيم بن عسكر بن محمد بن ثابت صديقنا فيه عصبية ومروة تامة وقد مدحه الشعراء فقال فيه الكمال القاسم الواسطي وانشد لنفسه فيه :

« اقول لميقاد تقسم لحمه على اليد ما بين السرى والتجر
تيمم بها ارض العراق فانها مراد الحيا والخصب وانزل بصرصر
تجد مستقراً للعفاة وقرة لعينك فاحكم في الندى وتخير ...الخ »

ونحن نعلم ان طريق الحج قديماً من طريق القوافل من بغداد يسير جنوباً بانحدار عن طريق النجف الذي كان قد اعيد فتحه قبل سنوات .

(٤) بلدة قرب البندنيجين وبادرايا بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي في اقصى النهروان . قالوا لما عمر قباذ بلاده نقل الناس . وكان من نقله الى بادرايا وباكسايا الحاكة والحجامين . واليها ينسب ابو محمد عباس بن عبدالله بن ابي عيسى الباكسائي ويعرف بالترقفي احد ائمة الحديث . توفي سنة ٢٦٨ هـ. (معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٢ م ص ٤٥ ط مصر .

(٥) مثوث : قال ياقوت في معجمه في مادة مثوث ما نصه بالحرف : « مثوث قلعة حصينة بين الاهواز وواسط قد نسب اليها جماعة من اهل العلم الحديث ... » قال ابو الفرج الاصبهاني : « مثوث مدينة بين سوق الاهواز وبين قرقوب اجتزت بها سنة ٣٢٧ هـ. ونسب المحدثون اليها جماعة . منهم محمد بن عبدالله بن زياد بن عباد القطان المثوثي والد ابي سهل . حدث عن ابراهيم بن الحجاج وعبدالله بن الجارود السلمي وغيرهما . وروى عنه ابنه ابو سهل ... وحليم بن يحيى المثوثي . حدث عن الحسن بن علي ابن راشد الواسطي . روى عنه الطبراني وابو القاسم البغوي ويحيى بن محمد بن صاعد . حدث عنه ابو القاسم التنوخي وعبدالله بن محمد الصريفيني في آخرين » .

ثعلبة الى الايمان [1] فجعله تومرصا استقفاً مقامه في دير حزاق . قال ياقوت : « دير الحزاق من اعمال خوزستان . وخوزستان هذه مقاطعة تقع في الجنوب الغربي من بلاد ايران وهي متاخمة لجنوب العراق الشرقي . ومنهم تلميذه يبالاها الذي رد اقواماً من العرب في ارياف الفرات وابتنى ديراً في دسكرة السواد والدسكرة في اللغة الارض المستوية . ولعله يعني هنا اسم قرية بهذا الاسم مقابل مدينة جَبَّل تلائم هذا المكان وهو على قول ياقوت الحموي في معجم البلدان (مادة دسكرة) : « ويرد آخر على ضفة النهر قيل ان عدد رهبان ديره قد كثر حتى ضاق بهم الدير مع سعته فبلغوا الاربعمائة بنيف . وكان الرهبان من انحاء شتى يتكلمون لغات مختلفة فجعلهم اربعاً وعشرين فرقة يتعاقبون في تلاوة الفرض الالهي ليلاً ونهاراً فيتلون الصلوات والتسابيح في لغاتهم اي السريانية واليونانية واللاتينية والقبطية .

وكان سبقه الى ذلك في هذه المناسك راهب آخر اسمه اسكندر الذي انشأ طائفة الساهرين «Acémètes» لمواصلتهم الصلاة ليلاً مع نهار . وقد ذكر ماري بن سليمان في تأريخ فطاركة كرسي المشرق (ص ٢١) وعمرو بن متي في الجدل (ص ٢٨) كثيراً من هذه الاديرة واختصرا تواريخها عن كتبة معاصرين اخصهم (احي) تلميذ مار عبدا الذي وضع ترجمة حياة معلمه ثم صار بعد ذلك بطريركاً على الكلدان .

فهذا العدد الوافر من الاديار وكثرة المترهبين فيها دليل واضح على سطوع ضياء النصرانية بين عرب العراق في ختام القرن الرابع للمسيح فان كل دير منها كان ينبوعاً من المياه الحية يسقي تلك الانحاء فينبت للخلاص الثمار الطيبة وكان المتنصرون يمارسون من الفضائل اسماها ومن الاعمال المبرورة افضلها واولاها حتى انهم ما كانوا يحجمون عن الموت والعذابات لاجل دينهم .

ثم يذكر الاب المرحوم لويس شيخو الديارات التي شيدها هؤلاء الرهبان والقسوس والاساقفة في انحاء العراق وذلك لانتشار النصرانية فيه مستنداً الى ما ذكره المؤرخون المسلمون عن هذه الديارات واهميتها ؛ امثال البكري صاحب معجم ما استعجم ؛ وياقوت الحموي صاحب معجم البلدان ؛ ومن التي ذكرها وهنا مساس بموضوعنا ديارات جنوب العراق ؛ كدير الاباق في الاهواز ، وديارات الاساقف بالنجف بين قصري ابي خصيب والسدير . وديري الاسكون بالحيرة وقرب واسط التي كانت فيها مدارس للعلوم الدينية

(١) المكتبة الشرقية للسمعاني ج٣ ص ١٩٨ و ٢٩٨ و ٣٩٣ .

ودير الدهدار بنواحي البصرة ؛ وغيرها من الاديرة العديدة التي تنتشر في انحاء العراق كافة من جهاته الاربع ووسطه . وذكر العرب اسماء هذه الاديرة في اشعارهم . كما انهم رووا جملة اخبار عنها . وقد نسب كثير منها اليهم لوقوعها في ديارهم او لانهم عنوا بتشييدها . وكل ذلك ما يزيد بياناً على تولنا في نفوذ النصرانية وتغلغلها بين عرب العراق . ومن الاديرة المسماة باسمهم مثلاً دير ابن براق بظاهر الحيرة . ودير ابن عامر . ودير ابن وضاح ويسمى ايضاً دير مار عبدا . بناه بذات الاكيراج من نواحي الحيرة عبد بن حنيف بن وضاح اليحيائي . ودير حنظلة المنسوب الى حنظلة بن عبد المسيح بن علقمة ابن مالك من بني لخم . ودير عبد المسيح المنسوب الى عبد المسيح بن عمرو ابن بقيلة الغساني الشاعر . واحد المعمرين موقعه في ظاهر الحيرة .

ومما يخبر عن المتعبدين في تلك الاديرة او انتلالي المنتدة بين الحيرة والبصرة . انهم كانوا يجتمعون في الاعياد فيحتفلون بها برونق ،وكان اهل تلك الانحاء يخرجون اليهم فيحضرون حفلاتهم ؛ ويطلبون منهم شفاء مرضاهم وكان النساك يعيشون غالباً من صيد الاسماك ومن حسنات المؤمنين .

ان هذه الاديرة كلها من بناء نصارى العرب في جهات العراق ؛ وهي من ادل الادلة واجلى البينات على علو منار النصرانية بين عرب الجاهلية .

وما قلناه عن الاديرة نقوله عن عدة كنائس وبيع شيدها العرب . واشاروا بذلك الى تفانيهم وتحمسهم في الدين . وكانوا يتفاخرون ببناء البيع في احيائهم . قال الفيروزابادي وكان في الحيرة كثير من الكنائس البيعة وقال الزبرقان بن بدر التميمي لما وفد على محمد يذكر كنائس قومه :

نحن الكرام ولا حي يعادلنا منا الملوك وفينا تنصب البيع[1]

وبقي لنا ان نذكر ، لا بل ان نضيف الى هذه الشواهد ، جدول الاساقفة الذين كانوا في القرن الخامس يديرون كنائس العراق العربي ؛ كالانبار والحيرة والبصرة وبيت عربايا وميشان وغيرها[2] .

واذا تشبع بحثنا علماً وتدقيقاً ، نرى من اللائق ان نلقي نظرة عامة على ذيوع النصرانية في جنوب العراق ، وخاصة في منطقة البصرة التي كانت تجاورها اسقفية كسكر ثم واسط بعدئذ . واكبر دليل لنا نعتمد عليه في هذا الباب كتاب الديورة في مملكتي الفرس والعرب ، وهو من تأليف يشوعد ناح مطران

(١) السيرة لابن هشام ج ٤ ص ٢٢٥ الطبعة الأخيرة سنة ١٩٣٧ .

(٢) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للاب لويس شيخو اليسوعي القسم الاول الباب السابع ص ٧٩ و ٨٠ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ .

البصرة الذي عاش في نهاية الجيل الثامن ، وقد نقله الى العربية وعلق على حواشيه ووطأه البطريرك بولس شيخو الحالي : بطريرك بابل في الكلدان : المطبوع في مطبعة النجم في الموصل سنة ١٩٣٩ م.

وقد قدم الكتاب بمقدمة نفيسة ، تكلم فيها على ابرشية البصرة ، نقتطف منها بعض الآراء الصائبة قال : ان ابرشية البصرة دعيت قديماً (فرات ميشان) . أو براث ميشان . أو ميشان فقط ، وقد ينسب اهتداؤها الى المسيحية الى « ماري » : احد الاثنين والسبعين تلميذاً . ومما يثبت ذلك ان اسقف (فرات ميشان) : المدعو بوليداخ ، قد استشهد مع مار شمعون برصباعي الجاثليق . كما ذكر جدول الشهداء عبدا الشهيد اسقف براث ميشان . ويقول عبد يشوع الصوبلوي ان فافا الجاثليق جعل البصرة مطرانة سنة ٤١٠م وتشهد اعمال مجمع اسحق الاول المنعقد سنة ٤١٠ م ان يرد جرد الاول اوعز الى ولاة مملكته في كل النواحي ان يسهلوا اسباب السفر للاساقفة من نصيبين ونحومها . وبيت كرماي وحدودها ، وبيت حوزاي (الاهواز) واقليمها ، وميشان واعمالها وكشكر الخ . . . كي يحضروا هذا المجمع الملتئم لوضع النظام في الكنيسة الشرقية الكلدانية .

وفي سنة ٥١٤م في عهد البطريرك آبا كان شموئيل اسقفاً في كشكر . وجاء في المرسوم الذي رسمه مار آبا البطريرك سنة ٥٤٤م وايده طيماثاوس الاول المعروف بالكبير في القانون الاول من مجمعه المنعقد سنة ٧٦٠م قائلاً : « لما ينتقل البطريرك من الحياة الزمنية : ليأت اسقف كشكر مع اخوته اساقفة الابرشية الكبيرة الى المدائن الجاثاليقية ، وباتفاق (المدائن) [1] . ليكتبوا ويرسلوا اولا الى مطران عيلام واساقفته ، ثم الى مطران البصرة . فالى بقية الذين هم معينون اي مذكورون في تلك الرسالة (براقطيفا) اي (عملية) التي وضعها البطريرك (آبا المذكور) . وبقي هذا النظام معمولا به دائماً [2] .

وفي سنة ٦٣٧ م اختير للمنصب البطريركي ايشوعياب الثاني المعروف بالجلي : وفي اثناء هذه الفترة جرت مجادلة بين اليعاقبة والنساطرة بحضور الملك : وسببها جبرائيل السنجاري : طبيب الملك المشهور . فانه حمل الملك خسرو بن هرمز على ان يجمع النساطرة واليعاقبة لمناظرة رسمية لبيان معتقدهم ، وقد طبع

(١) المدائن وتعرف ايضاً بطيسفون والعرب سموها كذلك طاق كسرى . ومن آثارها الباقية الى اليوم طاق كسرى المشهور وتعرف عند العوام : « سلمان پاك » لان فيها ضريح سلمان الفارسي الصحابي وراجع كتابنا (مدن العراق القديمة) ص ٢٢–٢٨ من الطبعة الثالثة .

(٢) الدبورة في ملكي الفرس والعرب ليشوعدنلخ مطران البصرة . ص ١ و ٢ و ٣ و ٧ .

هرمز ان يجمع العلامة شابو الادلة التي اتى بها الناطرة لاثبات عقيدتهم (شابو ص ٥٦١) [1] .

ونحن حضر هذه المجاورة مع جملة من الاساقفة سرجيس من كشكر . وقد جاء في كتاب شهداء المشرق ما نصه بالحرف : « ... ومدينة كشكر كانت مبنية على شاطئ الفرات على مسافة عشرة فراسخ من بغداد . ومنها سمي البلد — بيت كشكراني — وبلاد ميشان كانت تمتد الى سواحل خليج العجم . وقاعدتها كانت مدينة دارات ميشان وهي نفس البصرة ... » [2] ونحن نقول ان المصادر الشرقية الاخرى ، وخاصة الاسلامية منها ، تؤكد ان مدينة كشكر التي بنيت على انقاضها مدينة واسط كانت على دجلة ، وهي في شرقيه . اللهم الا اذا اطلقنا على دجلة الفرات ايضاً . اذ ان الرافدين يسميان ايضاً الفراتين وخاصة لقرب مصبهما من بعضهما حيث تكثر فروعها على شكل الدلتا عند المصب . بعكس ما هما الآن عند المصب . اما المسافة عشرة فراسخ عن بغداد فهو غير صحيح لاننا نعلم ان الفرسخ يساوي ثلاثة اميال ؛ فبعد كشكر عن بغداد الحالية — مع العلم بانها لم تغير موضعها عن القديم وانما زادت اتساعاً — اكثر من مئة ميل . وقد زرت سنة ١٩٤١ آثار واسط المندثرة المشيدة على آثار كشكر ، واستغرق السفر اكثر من ست ساعات بالسيارة فاذا كان معدل سرعة السيارة ٢٠ ميلاً في الساعة ، فالمسافة على اقل تقدير تكون (١٢٠) ميلاً .

جاء في كتاب شهداء المشرق هذه النبذة في دخول النصرانية بلاد كشكر وميشان ان القديس « ماري » بعد ان تلمذ سالبق [3] وبنى كنيسة خوخي — وقد جاء في حاشية شهداء المشرق المذكور ان بيعة خوخي كانت في المدائن ومن اعظم بيعها وفيها جلس فيما بعد خلفاء مار « رادي » ومار « ماري » — انطلق الى بلاد الواقعة بين الزابين ، وهناك تلمذ كثيرين . ولا يجب ان يتبادر الى الذهن ان الزابين المذكورين هما الزاب الكبير والزاب الصغير اللذان ينبعان من الشمال الشرقي لما بين النهرين ويصبان في نهر دجلة . فقد جاء في حاشية

(١) الديورة في ملكتي الفرس والعرب . ليشوعدناح مطران البصرة وترجمة البطريرك بولس شيخو ص ١١ .

(٢) شهداء المشرق لادشير . ج ١ ص (و) من المقدمة .

(٣) هي سلوقية عاصمة الدولة السلوقية في الشرق الاوسط بعد موت الاسكندر المقدوني . وتعرف خرائبها اليوم بتل عمر . وتقع جنوبي بغداد على الضفة اليسرى من النازل من نهر دجلة . وهي تقابل طيسفون أي المدائن من الضفة الاخرى . راجع كتابنا (مدن العراق القديمة) ص ٢٩ من الطبعة الثالثة لسنة ١٩٦١ م.

كتاب الشهداء هذا التعليق : — « ما عدا الزابين المشهورين اللذين في ارض آثور يوجد ايضاً زابان آخران في عراق بابل » هاك ما يقول عنهما ياقوت . «وبين بغداد وواسط زابان آخران ايضاً. ويسميان الزاب الاعلى والزاب الاسفل. أما الاعلى فهو عبد قوسين واظن مأخذه من الفرات ويصب عند زرقامية وقصبة كزرته النعمانية على دجلة . واما الزاب الاسفل من هذين فقصبته نهر سابس » ثم دخل قرية مبنية على دجلة وكانت تدعى « ورثان » نسبة الى رئيسها الذي كان يسمى ورثان ايضاً . فتلمذ الرئيس واهل داره وجميع تباعه واهل قريته قاطبة ويهودا كثيرين ، وبنى لهم كنيسة وخلف فيها قسوساً وشمامسة وبعد ما قضى سنين كثيرة متردداً فيما بين الآراميين ورجع عدداً من اليهود والوثنيين الى الايمان الصحيح . انصرف قاصداً بلد كشكر . وكان القديس قد تلمذ « كشكر » قبل « سالبق » . وذلك انه اذ شاهد ان «سالبق» « ليس لها من باب يدخل منه ليزرع بذور الايمان المسيحي ، اضطر ان ينزل اولا الى كشكر . وكان اهل كشكر ذوي دهاء وعلم وادب يحكمون في كل شيء بذكاوة وحذاقة لم يبلغ اليها غيرهم . ولما كانوا على جانب كبير من الخبرة في العلوم والمعارف انقادوا بسهولة الى تعليمه اذ اعجبتهم كلمة الحق التي كان ينطق بها ، فتبعه كثير منهم وتوسلوا اليه ان يستمر في مدينتهم كيما يرجعها الى الايمان الصحيح وكان من قولهم له : « تلمذ هذه المدينة التي يسجد فيها للشيطان بشبه النسر » . والتمثال الذي فيها كان يدعى نيشار . فصنع ثم « ماري» غرائب كثيرة حتى ان كاهن التمثال المذكور نبذ الاصنام وتعمد . فاقتدى به كثيرون من اهل المدينة واعتنقوا عبادة الله الحي .

فبنى لهم القديس « ماري » كنيسة وطاف كل بلد كشكر وهو يتلمذ كثيرين ويقيم الكنائس ويثبت النصارى في مخافة الله ويرسم لهم كهنة غير . فتلمذ كشكر اذن هو اقدم من تلمذ سالبق . ولهذا كان يقال ان كرسي كشكر اقدم سائر الكراسي . وبعد ان تلمذ سالبق انحدر الى دير قوني والبلاد الواقعة بين الزابين وبلد شقلا . ثم انه ذهب الى بلد ميشان حيث عانى من العذاب والمشقة ما لا يوصف مع انه لم يجن من هذا العناء ثمرة تذكر لأن اهل هذا البلد كانوا على جانب عظيم من التوحش والجهل والتعصب [1] .

ومما جاء في تأريخ كلدو وآشور للعلامة المرحوم ادي شير في المجلد الثاني في البحث عن ابرشية البطريرك انها كانت تحوي عشرين راعياً اسقفياً : ومن

(١) شهداء المشرق لادي شير جزء ١ ص ٣٦ ٣٧ ٣٨ .

جملة هذه الاستقفيات كشكر وهي واسط الحالية ، على نهر الحي بين بغداد والبصرة ، وكانت تعد التاسعة بين هذه الاسقفيات [1] وجاء كذلك في محل آخر من هذا الجزء ما نصه : « الابرشية الثانية — ويعني بها الابرشية الكلدانية النسطورية — كانت في كلدو الجنوبية : واطلق عليها اسم ميشان ، وقاعدتها براث ميشان وبالقرب منها بنى الاسلام البصرة . واسم براث ميشان الرسمي وهنا ردشير (بَهْمَنْشير او وهمنا باذار داشير) وهي مركز الكرسي المطرابوليطي ومن مدنها الاسقفية كرخا نميشان بين الدجلة ونهر كارون وهي التي سماها اليونان خارك وربّما وبالفارسية شادبور : والعرب دير محراق ، وقد بناها شابور الاول . ونهر گور او نهر گول وبالعربية نهر جور وبالفارسية نهر ايزقباذ بين ميشان والاهواز . اما الأبلة فكانت على اربعة فراسخ من البصرة وشاد على بحر فارس بينها وبين البصرة مرحلة ونصف [2] » .

وورد في مكان آخر ايضاً ان الذي بذر بذور النصرانية في هذه الاصقاع هو ماري الذي بشر في نصيبين وارزون وبقي يطوف بلاد حدياب وبيت گرماي ورادان وكشكر وساليق وميشان والاهواز . ونصب كرسيه في ساليق . وبنى كنيسة في ديرقوني [3] بالقرب من المدائن وفيها توفي [4] .

ويؤيد قوله هذا الكردينال اوجين تيسران في كتابه (خلاصة تأريخية للكنيسة الكلدانية) ونيافته كان سكرتير المجمع الشرقي المقدس ، وقد نقله الى العربية العلامة المغفور له المطران سليمان صايغ ، وذلك في قوله : « واسس مار ماري مركز كشكر في ما بين النهرين السفلي » [5] ثم يقول في مكان آخر ما نصه « . . . ويستنتج — عدا ما جاء في اعمال الشهداء — انه كان ما قبل سنة ٣٢٥ للميلاد جماعات مسيحية في نصيبين وكرخ بيت سلوخ [6] واربيل وشهر قرت [7] وبيت لاشوم [8] وكشكر [9] . » ومما جاء فيه ايضاً

(١) تاريخ كلدو واشور لادي شير . جزء (٢) ص (٩) من المقدمة .
(٢) المصدر الآنف الذكر . ص (١٠) من المقدمة .
(٣) هو ديرقني الذي ذكرناه في بحثنا هذا سابقاً .
(٤) تاريخ كلدو واشور ج (٢) ص ٣ .
(٥) الترجمة العربية المطبوعة في الموصل سنة ١٩٣٩ م ص ٩ .
(٦) هي كركيك الحالية .
(٧) شهر قرت أو شهر قرد وتقع في المنطقة المعروفة بلواء السليمانية شرقي العراق ولا اثر لها اليوم .
(٨) بيت لاشوم وكانت بقرب داقوق في غربي كركوك على مسافة اربعين كيلومتراً منها وهي الآن قرية صغيرة .
(٩) خلاصة تاريخية الكنيسة الكلدانية للكردينال اوجين تيسران وترجمة المطران سليمان صائغ . ص ١٢ .

هذه العبارة التي تدل على ما لمطرانية كشكر هذه من الاهمية حيث قال « ويجدر هنا بالتلخيص وصف النظام المسيحي في بدء القرن الخامس كما جاء في القانون الحادي والثلاثين مصادقاً عليه بامضاءات المجمع — ويقصد به المؤلف مجمع اتحاق الاربعيني المنعقد في اول شباط سنة ٤١٠م — وهو ان يكون العنوان الشرفي لاسقف ساليق « المطران الكبير ورئيس جميع المطارنة » وان يكون له تابع واحد وهو مطران كشكر ينوب منابه عند شغور الكرسي [1] . ومما يذكر في هـذا الصدد ايضاً ان مطران كشكر اشغل كرسي الجاثليق مدة ثلاث سنوات . وهي مدة طويلة بالنسبة الى المدة التي تستغرق في انتخاب الجاثليق . بالنظر الى المعاملات القاسية التي تجري في ترشيح مطران من المطارنة لانتخابه جاثليقاً . كما حدث في سنة ٥٦٧م . حيث ذكر الكردينال تيسران الخبر التالي : « اجتمع المطارنة في شباط ٥٦٧م لانتخاب الجاثليق واتفقت اصواتهم على حزقيـــال الطبيب الذي سيم مطراناً على الزوابي : الا ان المتحزبين ليوسف خالفوا الانتخاب . وبلغ الامر مسامع كسرى [2] فتدخل في الانتخاب وعارض السياميذ ، وهكذا لبث مطران كشكر مدة ثلاث سنوات قائماً مقام الجاثليق ، وبعد موت يوسف اجتمع المطارنة ثانية لانتخاب الجاثليق فوقعت اكثرية الاصوات على واحد اسمه اشعيا الا ان الكثيرين من المطارنة عادوا فتمسكوا بمرشحهم القديم حزقيال مطران الزوابي. ثم رفع الامر الى الملك فاذن باجراء مراسيم السياميذ . وهكذا تم تنصيب حزقيال فاحسن ادارة الامور واجتذب اليه القلوب بحسن سيرته وعقد مجمعاً في شباط سنة ٥٧٦م تحت جو هادئ فسن بعض الانظمة لصلاح الكنيسة » [3].

وكثيراً ما كان ينتخب مطران كشكر جاثليقاً كما حدث سنة ٦٠٢م حيث ذكر الكردينال تيسران هذه الحكاية ايضاً قال : « في سنة ٦٠٢م وقع اغتيال الامبراطور موريس فهاج لذلك غضب كسرى وهو كسرى ابروبز الثاني ، على الاروام ، وعزم ان يثير عليهم حرباً عواناً انتقاماً للمحسن اليه لانه سبق له ان طلب المدد منه فارسل له الامبراطور موريس ما يحتاج اليه من الجيش ، ثم زوجه بابنته مريم وذلك عندما لاذ الملك هرمزد ابوه بالفرار فاعلن بعد انتهاز الفرصة نفسه ملكاً مكان ابيه واحتفظ بالعرش . وعقد النية

(١) خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية للكردينال اوجين تيسران . ص ٢٣ من الترجمة .
(٢) هرمزد الرابع وقد كان عطوفاً على المسيحيين محسناً اليهم حتى ان المجوس كانوا يطعنون به ويلومونه لوماً شديداً فتقدمت المسيحية في ايامه وازدهرت .
(٣) خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ص ٩ من النسخة المترجمة .

ان سعى بالملك تنود وسيوس ابن الامبراطور القتيل وكان قد هرب اليه بعد قتل ابيه . وانبأ سبريشوع بأن الغلبة تكون له واوصاه ان يلطف بالعباد . ثم قضى سبريشوع نحبه في نصيبين بينما كان ملك الملوك على حصار دارا . وبعد سقوط هذه المدينة في ايدي الفرس على اثر حصار شديد دام نحو تسعة اشهر رجع كسرى الى سالبق فاجتمع المطارنة واختاروا جاثليقاً غريغوريوس مطران كشكر الذي كان قبلاً مطران نصيبين ثم كان قد اعتزل كرسيه بعد نزاعه مع حنانا الحديابي مدير المدرسة الفارسية[1] .

مار ابراهام الكشكري الاول الجاثليق

(سنة ٩٨م—١٢٠م)

يعد مار ابراهام الكشكري الجاثليق اول مؤمن مسيحي من هذه الديار اي ديار كشكر الكائنة في جنوب العراق والقريبة آثارها وآثار مدينة واسط التي شيدت على انقاضها من مدينة الحي الكائنة على نهر الحي (شط الغراف) المتفرع من نهر دجلة عند سدة الكوت المشيدة حديثاً . واول جاثليق انتخب من تلك المدينة التي ذكرنا خبر تنصرها في بحثنا السابق . ولنأت الآن الى حياة هذا الجاثليق الفاضل الذي تعد سيرته من خير السير حيث كان خلفاً لمار ماري القديس تقريباً كما سيأتي بحثه حيث جاءت سيرته في عدة مصادر نبدأ بأولاها بالاخذ عن كتاب شهداء المشرق للمأسوف عليه المطران المرحوم ادي شير قال ما نصه : « بعد وفاة القديس مار ماري جلس على كرسيه مار ابريس[2] . وقيل انه كان من اقارب مريم العذراء . وتوفي سنة ٩٨م . ثم قام بعده باعباء الرياسة المشرقية مار ابراهام الكشكري وسيم في مدينة انطاكية . وكان طاهر السيرة والسريرة . ولم يزل يترقى مراقي الكمال المسيحي الى ان ذاع صيته في كل المملكة الفارسية وكان الله سبحانه وتعالى يجري على يده كرامات ومعجزات وان خسروشاه ملك الترثيين كان قد اثار على نصارى بلادنا اضطهاداً شديداً . وكان ابنه مصاباً بروح الجنون فبلغه خبر مار ابراهام انه يشفي المرضى ويبرئ السقماء ويصنع غير ذلك من الكرامات الباهرة فاستدعاه

(١) خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ص ٤١ ، ٤٢ من النسخة المترجمة .

(٢) جاء في ذخيرة الاذهان للقس بطرس نصري ج (١) ص ٤٩ طبعة الآباء الدومينيكيين في الموصل سنة ١٩٠٥ م في ترجمة ابريس ان معناه في الفارسية النواح او العضد . وقال ايضاً . « وكان على رواية من قرابة مار يوسف الخطيب » .

اليه . فلما دخل عليه رآه الملك حزيناً كئيباً . فسأله عن سبب حزنه فأجابه ان الباعث الى ذلك هو ما يذوق النصارى من الاذى والاضطهاد فقال له الملك: — « اذا ابرأت ابني من علته ارفع الاضطهاد » فصلى القديس ووضع يده على ابن الملك فشفي من ساعته . فرحب به الملك واكرمه وابطل الاضطهاد على النصارى . وكان جلوس مار ابراهام على كرسي مار ادي الرسول سنة ٩٨م . وتوفي سنة ١٢٠م[1] .

اما ما ذكره المرحوم القس بطرس نصري الكلداني في كتابه الموسوم بـ (ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان) وهو في مجلدين عن حياة ابراهيم الكشكري فيختلف عما ذكره ادي شير في شهداء المشرق فقد ذكر القس بطرس نصري نقلاً عن السمعاني في اخبار المشارقة المخصوصة بالقرن الاول (المجلد ٣) الفصل الثاني ص ٣٨—٤٠) ان جلوس ابريس على كرسي المدائن كان سنة ٨٩م وقد دام جلوسه ١٦ سنة . ثم خلا الكرسي بعده ٢٢ سنة حتى خلفه ابراهيم الكشكري سنة ١٢٧م . وقد دام جلوسه على كرسي الرئاسة ٢٢ سنة ثم توفي فتكون وفاته سنة ١٤٩م . اما في ترجمته التي ذكرها والتي ساوردها ههنا فيذكر مدة جلوسه على كرسي المدائن اثنتي عشرة سنة ويذكر علاوة على ذلك بان وفاته كانت سنة ١٧٦م . للميلاد وهو يقول بعد هذا طالع (ما : ص : عب٢—٢١) ويقصد بـ (ما) كتاب ماري بن سليمان وهو المؤرخ النسطوري الذي عاش في القرن الحادي عشر ثم قال وقد نقلنا تواريخه عن نسخة توجد الآن في خزانة كتب بيعة مار شيون الكلدانية بآمد مع العلم بان كتاب ذخيرة الاذهان طبع سنة ١٩٠٥م في مطبعة الآباء الدومينيكيين في الموصل كما سنشير الى ذلك في الحواشي عند اشارتنا الى المصدر . ويقصد بالحرف (ص) صليبا المؤرخ النسطوري المعروف بابن يوحنا القسيس الموصلي وعاش في نحو القرن الثالث عشر وفي الموصل نسخة من كتابه الملقب بالمجدل او رسالة البرهان والارشاد الى المحبة ثمرة الدين والاعتقاد — ثم قال القس بطرس نصري — وغلطاً سماه السمعاني عمراً الطيرهاني لان النسخة التي استعملها كانت ناقصة في اولها . ومراعاة لهذا العلامة قد ذكرنا اسناد هذا الكتاب تارة باسم صليبا وطوراً باسم عمرو . ولا يخفى على القارئ الكريم انه كتاب المجدل المطبوع برومة مع كتاب ماري بن سليمان كل على حدة مع ترجمتهما الى اللاتينية بجزئين منفصلين كذلك . واما (عب ٢—

(٢) شهداء المشرق للمرحوم ادي شير ج (١) ص ٤١ من طبعة الآباء الدومينيكيين في الموصل سنة ١٩٠٠ م .

ص ٢١) فيقصد به ابن العبري مشيراً الى تأريخه البيعي الذي قسمه الى جزئين . الاول يختص ببطاركة اليعاقبة والثاني بمفريانات اليعاقبة وجثالقة المشارقة النساطرة . وقد طبعه المعلمان ابولوس ولاي في لوفان من اعمال بلجيكا مع ترجمته اللاتينية سنة ١٨٧٢م . وقد ضمن البحث وترجمة ابراهيم الكشكري بهذا العنوان : في اخبار الكنيسة المشرقية على عهد ابراهيم الكشكري : — قال بعد هذا العنوان ما نصه بالحرف : — « خلف ابريس في كرسي المدائن ابراهيم الكشكري الاول بهذا الاسم في سلسلة جثالقة المدائن وجلس سنة ١٢٧م . وانما لقب بالكشكري لان مسقط رأسه كان في كشكر . فهذا اختير وارسل الى انطاكية ليقتبل الاسيامذ[1] . وسعى في تدبير شعبه وانقاذه من الاضطهادات التي كانت ملمة بهم منذ عهد سالفه ابريس وكان موصوفاً بالنقداسة ويعمل المعجزات تأييداً لحقيقة النصرانية وتقوية لايمان تباعها وذا شفقة على الخطاة والفقراء . حتى انه استطاع بقداسته ان يخمد نار الاضطهاد عن النصارى وذلك ان ابن كسرى ملك الفرثيين كان قد ابتلى بداء اعجز نطس الاطباء فذكر له امر ابراهيم وما له من الآيات والنقداسة فاستدعاه حالا . ولما دخل عليه رآه الملك حزيناً . فسأله عن السبب فاعلمه ابراهيم امر الاذايا التي يقاسيها بنو شعبه فوعده الملك بازالتها عنهم ان هو شفى ابنه . فوضع ابراهيم يده على المريض وشفاه لساعته ، فزال الاضطهاد بذلك وتنصر جم غفير من المجوس . وجلس ابراهيم الكشكري على كرسي المدائن اثنتي عشرة سنة وتوفي سنة ١٧٦ للميلاد وخلا الكرسي بعده تسع سنين »[2] . وقد اثار طرايانس ملك الروم الاضطهاد على نصارى الكنيسة الشرقية في زحنته على مملكة الفرثيين الذين كانوا قد تعدوا حدودهم واستولوا على نصيبين وما يليها فتأوهم وقصد الرها والمدائن ودخلها عنوة سنة (١٠٥م) وضرب جانباً منها . وكان طرايانس يبغض النصارى وهو الذي ارسل اغناطيوس النوراني اسقف انطاكية الى رومية ليعرض للوحوش..... واشتهر ايضاً في هذا الاضطهاد بالمدائن ابراهيم الكشكري المار ذكره الذي كان قد تعزى اذ رأى انطفاء الاضطهاد الاول . ثم نفغته الهموم بسبب النكبات التي المت بشعبه في هذه الغائلة .

(١) الاسيامذ : لفظة سريانية مركبة من كلمتين (وضع اليد) وهو الاصطلاح الديني المسيحي الذي يعبر عن وضع يد المطران على راس شخص رغبة ان ينال هذا الشخص ممارسة على ما روحاني خاص منوط بوضع اليد هذا ويغلب على سيامة الكهنة (افادناه المرحوم الاب بطرس سابا) .

(٢) ذخيرة الاذهان للقس بطرس نصري ج ١ ص ٥٠ و ٥١ مطبعة الآباء الدومنيكيين في الموصل سنة ١٩٠٥ .

وكان لا يكل في تحريضهم على احتمال العذابات للظفر باكليل الشهادة [1] . وكان من اعمال طرايانس بعد ان فرغ من امر القرثيين قد ترك ادرياس مع جيوشه نائباً عنه ليدبر احوال هذه البلاد وكان قد خلع كسرى ملكنيا وملك مكانه (فارطاما سباط) واذ كان راجعاً الى ايطالية هلك في طريقه فطرد القرثيون (فارطاما سباط) واعادوا ملكهم كسرى فاعطى النصارى الراحة التي كانوا قد نالوها بشفاعة ابراهم الكشكري [2] .

هذا وسنعود الى البحث في من خلف ابراهام الكشكري على هذا الكرسي في المستقبل القريب ان شاء الله .

(١) ذخيرة الاذهان للقس بطرس نصري ج ١ ص ٥١ و ٥٢ مطبعة الآباء الدومنيكيين في الموصل سنة ١٩٠٥ .

(٢) ذخيرة الاذهان للقس بطرس نصري ج ١ ص ٥٢ و ٥٣ مطبعة الآباء الدومنيكيين في الموصل سنة ١٩٠٥ .

متفرقات (تابع)

نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

[١٤١] رسالة

بليغة وخطاباً يحتوي نظماً ونثراً وهي من المفردات

هر انيوس

يا نسيمًا سقى الحبا وحيّا ... بحيّاه منازل الاحباب
وسما رقة ولطفاً فاذكى ... بشذا عرفه نواحي الشعاب
وغدا للاحباب خير رسول ... ناقلاً بينهم رقيق الخطاب
واميناً في بث ما استودع من ... حق ودّ صفا بغير ارتياب
فروى الخبر عن صحيح وداد ... وشفى علّة السقيم المصاب
ايهذا العليل يشفي عليلاً ... ثم يروي بصحة الانتساب
ليس للمذنب المتيّم الا ... لك رسولا في حمل بث انتصاب
فبعهد الاداب اذ ليس تلقى ... خافرًا عهد ذمة الاصحاب
كن رسولي واحمل نجيبة صب ... منها النوى ببرد الرضاب
ما عبير الخزام عطرًا ونثرًا ... او شذا الروض عند وقع السحاب
او ندا الورد حين باكره القطر ... فابدى مخبآت النقاب
او سنا السلسبيل مذ لاح بال ... كاس كبر مكلل بالحباب
[١٤٢] او ثنى قدّ الغصون صبرًا ... عند شدو الحمام بالاطراب
او خال المنا يوماً بازكا ... موردًا من ورودها المستطاب
واحثث السير في صباك مجدًا ... نحو (السطر فارغ)
حيث عهد الوفا وريقاً نضيرًا ... وذكى الود دارياً غير كاب
واستضاءت معالم الفضل تزري ... بضيا الزهر دون زهر الروابي
واقتصر في ربوعها عن مسير ... اذ حما انسها محط الركاب
وتخيم بها محل كريم ... خصه الله نعمة الاقراب
والفى فيها عصاك ثم تبوا ... مستقرًا بظل ذلك الجناب

جناب الاب الاقدس . الانفس . الاوحد الامجد . الاديب . الاريب . الحبيب . النسيب . الاثير الاثيل . البارع الفارع . عين الزمان ونتيجة الدهر والاوان . البازغ في غسق الاداب . بدرًا يدين له قس وسحبان . بل الطالع في سما الفضل شمساً تكبو لديه النيران .

جناب المولى الفريد المندّى ثالث النيرين ثاني الصعاب
من سما فضله على الشمس نورًا في سما المجد فايق الاعجاب

ابينا الاكرم وسيدنا الافخم فلان المحترم الحايز السبق في حلبة الفضايل والافضال . والمتسامي بسمو سؤدده على متون الكمال . اوحد العصر عزماً وفعلاً ومقال . وامجد ابناء الدهر شيمًا وخلاقاً وخلال .

اوحد الخلق والوجود خلالاً عز عن مثله بغير ارتياب
زان بالفضل علمه وتحلّى بالمعالي فجاء بالاغراب

من سما يسمو فضله السماك وكيف ان اوضح عن مقدمتي الوجد [١٤٣] كنتيجة البرهان . فاشير الى محامده بالبنان :

داع في المدح ذكره في البرايا واحنا فضله بكل الرحاب
فحدا سايق المطيّ بذكراه مجدًا في سير والايـاب

لا غروَ قد كان عن الفضل ناتجاً . فغدا له منتجاً . وعن الشرف الباذخ اخذًا . فصار له مدخلاً ومخرجاً . وتجارى في حلبة الفنون والآداب . فدان له كل قول ثم قطب وتاب . اذ اتى بما لم تستطعه الاوايل . وحاز النباهة والفصاحة فانسى ذكر سحبان وايل .

حاز في شخصه العلوم جميعاً وحوى السبق في منازل الاداب
قادها كالجذور عصفاً فجاءت نحوه خضعاً بغير ارتيـاب

من حكمة دان لها ارسطو واياس . والجي كل منها الى الياس . اذ كرت حقايق الموجود . في عالم الغيب والوجود .

ان ترم حكمة فما لا يأس عنده من مجال وانتـاب
فاق في حكمها ارسطوتاليس . فغدا يقتدي به في الصواب

وفلسفة تفلسف في اظهار خوافي دقايقها . وتعمق في تحقيق كنه حقايقها . فكشف عن ابكار مخدرات معانيها نقابها . وذلك من شوامس مشكلاتها صعابها .

فيلسوف له يبين عيـاناً ماتوارى من كنهها في النقاب
حل اشكالها وفك دقايقها وابـدى مسرّات الحجاب

ومنطق سلب العقول بحر قياسه المستقيم واستطلعت [١٤٤] طوالع الانوال بتسلسل نوره الوسيم . وتالقت الشمسيه بارايه الشمسية . عن التدابير الشمسيه :

زانه منطق بفضل خطاب يسلب العقل فيه بالايجاب
قام برهانه بحجة حكم فتحت مغالطات الخطاب

وعلم لاهوت تأله به لبّه . واشتغل باعماله قلبه . فعرف بواسطته حق توحيد الله بالذات . وتثليثه بالصفات . مائل توما واغوسطين . وضاهى سكوطس بتمييز الحق المبين . له في كل وجه من اوجه اصوله نظر . وفي كل بحث من ابحاث فروعه قول مستكر . اطلع فيه على غاية اسرار التنزيل . وغاص في لج يمّه . فطلع بجواهر الاجمال والتفصيل .

قد سما فكره بعلم تسامي حسب موضوعه الاهي الذهاب
غاص في بحره فادرك غورًا حسبه منه نعمة الانتخاب

وفقه ذمة دان له ديانا ولايمان . واعترفا ان ليس لهما في حل عقل يدان . اذ جاء فيه بما تعجز عن ادراكه الافهام . وميّز باقساط دلايله طريقي الحلال والحرام . وقضى بموجب عدله وعدالته على قضاة الاحكام . وفصم عرى الظلم جازماً بحقيقة الصواب ما بين ايمة هذا الفنّ الاعلام .

حاز بالفقه منهجاً ليس يخطى قط ارشاده دليل الصواب
كم قضى بالصواب فيه وافتى حكمه منع سنّة الاغتصاب

ووعظ صاقب فيه العسجدي الفم بالفاظه الدرية . واختراعاته الروحانية . ان رهب ارجف فرايص النفوس . وان رغب اوضح ان [١٤٥] لا عطر بعد عروس . وان علم اهدى الى سبل الصلاح . وترادفت نحوه اصوات الهاتفين « حيّ على الفلاح » :

واعظ ان علا المنابر يوماً افحم السامعين بالاطناب
فعلت بالعقول منه عظات مثل فعل الشموس بالالباب

ومن نجا اليه سيبويه منخفض الجناح . وجزم الزمخشري بنصب فضله على حال الجناح . ورفع ابن هشام فضله الى اعلا مقام :

ان نحا سيبويه ينحو اليه اخذًا عنه حلية الاعراب
جازماً انه اخرر فيه خافضاً قدر ما نحا في اللباب

وصرف تصرفت لديه افعال القلوب . وجاءت مصادرة على اكمل وزن واحسن اسلوب . اعتل حمدًا لملامته التفتزاني . وانفصل ضميره باتصاله تحريره القاضي الارجاني :

رب صرف ان ناصره السعد يوماً ظل يقضي عليه بالاعجاب
احكم الضبط وزنه فيه حتى راح يشكو المراح فوت الشباب

وادب قد اقتطف من ازهار رياضه نضيرها . وارتشف من زلال لطائفه عبيرها . يقر الحريري انه جرى بالتقدم عليه . والثعالبي وابو النصر انهما ليسا من يذكر بين يديه :

روض ادابه زها يافتنان مذ هما فكره نظير السحاب
كيف لا يزدري حدايق روض وهو منشي حدايق الاداب

وبديع قد شرب من رحيق الالفاظ بداهة المعنى البديع . ضمت بين لطافته ولطفه القافية . وتجانست انواع ظرافته وظرفه بالعلة الوافية . فحج اليه ابن حجه واعترف بالقصور عن ابراء حجه . [١٤٦] وامّه بديع الزمان . مقرّاً انّ ليس له ثان .

ان ينه بالبديع جانس فيه لفظه لطفه جناس العجاب
ما تقابل به التماثل الا راح يزري بموجب الاقتضاب

ونظم لو حظي به النظام لانتال عقد نظمه وان هان . ولو شام قدامه لقدمه على الاقران . ان ضم سلكه اراك الدر المزرية بالدراري . والغرر التي يستطلع بسلسها كل غاد وساري . دانت له فحول الرجال . واحرز قلمه فيه السبق فما لداحس والغبراء معه مجال :

ان بدا ناظماً قلايد در مست الغانيات عقد الرقاب
او شذا بالقريض يوماً فيزري مسخراً في سنا دراري الشهاب

ونثر نثرت عنده قلايد العقيان . وولدة (وولدت) الخريدة تجر ذيل الخذلان وودت النثر لو كانت له نثارا . والشعر لو جعلها لدره شعارا . ان سجع علم القمري تغريد الالحان . واراك العندليب كيف يشدو على الاغصان :

نثره البارع البليغ تسامى رقة تزدري بدر الحباب
وتود النثر تكون نثارا لعضول من سجعة المستطاب

وانشا عاد لديه عبد الحميد غير محمود . واعمد لعماد الكاتب انه هو نتيجة المقصود . وعاد عبد الرحيم لعجزه مرحوم . وابن عطيه لتوايه مذموم . ان بده شده . او لخص خلص . او اوجز اعجز . او مهر بهر .

ان بدا منشياً فلا لعماد اعتماد بجملة الكتاب
[١٤٧] يوضح المشكل العويص جلياً بوجيز يزوم او اسهاب

وعلى كل حال قد سما مذ سما متون الكمال . وانشا مذ نشا سواطع الفضل

في كل مجال . فعدا محصل في العلوم قصب السبق في ميدانها . وحاز في الفضايل القدح المعلى يوم رهانها . وحصل كعبة للحب مرتفعة الاعلام . فتضمنت مكارم التزام الثنا احسن تضمين والتزام . وعلا عن النعوت والاوصاف عند كل من دخل في لغته الى حين الاوصاف :

قد سما مذ سما بكل مقال ثم علم وسؤدد واعتجاب
واعتلا عن حدود نعت بليغ كاعتلا الشمس عن شعاع التهاب

ما برح بحر علم وفضله تيارا . ودر اهدابه ورشده مدرارا . ولا زالت تهب شمال شمايله . في ربوع فضايله . ولا انفكت الفاظه ومعايه تتسابق الى القلوب والآذان . حتى لا يدري ايهما السابق في مضمار البيان . ولا فشيت اياديه الحسان بالغة الى مدى لا يلحقه الاستحسان . ما بيّض سواد اقلام البلغاء اوجه الطروس . وآلت السن الاوداء بصدق الوداد وهو عندهم اليمين الغموس .

فليدم فضله سنياً ويسمو قدره في العلا سمو العقاب
ما جلت اوجه الطروس سطور كي تحيي منازل الاحباب

وبعد فالباعث الى تحرير الوكة رق من امتزاج خمر رقه بما سويداه . وتنميق المقرض الضراعة بتقرب اقدام مولاه . هي شكوى وهو قد اغرى بمضادته فلم يزكو عارضه من عارض . ولا صفا ثغر فايضه من شارب معارض . اذ قد بذل مجهوده في نكايته بفراق مولاه . ومناه [١٤٨] في صد سنده وعضده ومناه . واحرمه رويته روح روحه واعدمه قرب حبيبه وممدوحه . وسقاه من صاب الفراق كاسات لوعات وفرد همومها متتابعه . واقداح زفرات تضيق انفاسها رحب الفيافي الواسعة . قد حلت عُرى التعري والاصطبار . وافنت بسعير نارها قوى التجلد والاقتدار . خاصة عند تذكرة ما مرّ من خلو ذاك اللقاء المنسجم . وجمع ذلك الشمل المنتظم . ويا لله من تلك الاوقات التي انصرمت وبانت . وطوالع شموس حاتيك السويعات التي افلت عندما بانت . فحقاً ان شوق هذا الصب الولهان . لا يعرف بحد ذاتي . ولا رسم . ولا يوصف بكيف ولا يحصى بكم وحتى رام قلمه الركض في التعبير عنه بميدان الطروس . لم يجر لعجزه الا وهو على الراس منكوس . وكيف يمكنه ان يعرف اشواق استكنت في الضمير . وجلت عن ان يعبر عنها موسع بتشويق وتخبير . كونه منذ لعب فيه غراب البين . المكنّى ببعلة الحين . لم تحظ جفونه على سنته مع وجود ابر اهدابه . ولا ولى على ند يلوي لمغار قره ومصابه . اذ لا يغتم بذاك ان لم يجد لمولاه مثيل . يستعين به على شح دهره البخيل . وقد علم العلم اليقين . والصدق المبين . ان الدهر بمثله ابياً . وان طلبه فقد حاول محالاً وحاشياً قريباً .

وليعلم المولى اعزه الله ان العبد قايم على ما يعهده سيده من حفظ وده . ثابت على قدم الرصانة في تثبت عهده . عاقد نطاق العبودية بانامل الاخلاص . تابع لمراد وليّه على جانب الولاء والاختصاص . مرادف مواصلة الأدعية إلى من قدر بالفراق . ان يمنّ بالتلاق . [١٤٩] ومن حكم بالم التنائي ومرّ الجفاء . ان ينعم بقرب اللقاء وحسن الوفاء . متطلب من الله ان يسعفه بمطالعة مشرفاته الكريمة . ليحظى بها بنيل بركاته المأمولة العميمة . وان يكحل عينه باثمد سطوره . ليرشق بثغر السمع مسكرات خموره . ويمتع لسانه بحلاوة الفاظه الشهدية . ويوشي حواشي الفكر بدر معانيه الشهية . وان سمح فلينعم عليه بما ابدعه من ابكار افكاره في تلك الديار . وما تمثل به من رقيق اشعاره في حاتيك الاثار . وما خدده من وشي نظام . يروي عن زهر الاكام ليلتقط من فرايده . ويضمه الى قلايده . فله الفضل ان جاد باهدابه . والمة ان فتح للداعي طريق اهتدابه . والسلام . تمّت .

١٠

من اقوال الحكماء او من الاقوال السائرة ما يحمل حكمًا وآراء تروق القارئ اللبيب وذوقاً يحلو للمطالع الاديب . فرأينا ان نكمّل هذه « المتفرقات » باقوال وبما حكي عن...

قال بعض الادباء

وما بلوغ الاماني من مواعدها ... الا كاشعب يرجو وعد عرقوب
وقد تخالف مكتوب القضاء به ... فكيف لي بقضاء غير مكتوب

الاشعب الطماع رجل مدني صاحب نوادر وملاءة . وله صنعة في الغناء . وكان ابخل الناس واكثرهم طمعاً وحكايات كثيرة . فمن بعضها انه مرّ يوماً على رجل يعمل طبقاً . فقال له اسألك بالله الا ما زدت في سعته طوقاً او طوقين . فقال الرجل ما معنى ذلك . فقال له لعلّ يهدى لي يوماً فيه شيء .

ما حكي عن بني عذره

فبني قبيلة من قبايل العرب . وهو عذره من بني سعد ابن زيد ابن ليث ابن مسود ابن اسلم ابن الحارث ابن قضاعه . قال القنجليهي بني عذره [١٥٠] يستنزلون مرارة العشق مثل الضرب جبلة المحبة على طينتهم . وخبيث المودة من نيتهم . وصار اهوى وصفهم الذي لا ينفك . ورهاين قلوبهم من خزازات الشوق التي لا تنك . استأسرهم العشق اسرًا . واستأصلهم الحب قهرًا وقسرًا . فنهم من يموت من اوام غرامه . ومنهم من يموت بهيام سقامه . ومن مشاهيرهم

جميل ابن معمر العذري . صاحب بثينة بنت عبدالله العذرية . قال سعيد بن عتبة الهمداني . قلت لاعرابي ممن انت . قال من قوم اذا عشقوا ماتوا . قلت عذري ورب الكعبة . فقلت وما ذاك قال في نسابنا صباحة وفي فتياتنا عفة . وسئل اخر منهم قيل له ما حدّ الحب عندكم قال اعين تتلاحظ . والسن تتلافظ . وعداة تقتضي . واشارة تدل على السخط والرضى . قال سفيان بن زياد قلت لامرأة من بني عذره ورأيت بها هوًى غالباً حتى خفت عليها الموت . ما بال العشق يقتلكم يا معاشر عذره من بني احياء العرب . قالت فينا جمال وتعفف . فالجمال يحملنا على العفاف والعفاف يورثنا رقة القلب . والعشق يفني آجالنا . وانا نرى محاجر لا ترونها .

وحكى هشام بن عروة عن سعاد قال : أدل معاوية للناس يوماً فكان فيمن دخل عليه فتى من بني عذره . فقام بين السماطين وانشأ يقول :

شعر :

اتيتك لما ضاق في الارض مسلكي	وانكرت مما قد اصيب به عقلي
فنرج كلاك الله عني فانني	لقيت الذي لم يلقه احد قبلي
وخذ لي هداك الله حقي من الذي	رماني بسهم كان اهونه قتلي
[١٥١] وكنت ارعى عهده اذ اتيته	فاكثر ترددي مع الحبس والكبلي
فطالقتها من جهد ما قد اصابني	فهل ذا امير المومنين من العدل

فقال معاوية ادنُ بارك الله فيك ما خطبك فقال اطال الله بقاء امير المؤمنين اني رجل من بني عذره تزوجت ابنة عمي وكانت له حرمة من ابلٍ وشويهات . فانفقت ذلك عليها فلما اصابني نايبات الزمان وحادثات الدهر رغب عني ابوها وكانت جارية فيها الحياء والكرم . فكرهت مخالفة ابيها فذهبت الى الملك عبد الرحمن ابن الحكم فذكرت له ذاك وبلغه جمالها . فاعطى اباها عشرة الاف درهم وتزوجها واخذني وحبسني وضيّق عليّ . فلما اصابني ممس الحديد والم العذاب طلقتها وقد اتيتك يا امير المؤمنين وانت غياث المحروب . ومفيد المسلوب . فهل من فرج . ثم بكى وهو يقول :شعر :

في القلب مني نارُ	والنار فيها شرارُ
وفي فؤادي جمرٌ	والجمر فيه احمرارُ
والجسم مني نحيل	واللون فيه اصفرارُ
والعين تبكي بشجو	فدمعها مدرارُ
والحبّ داءٌ عسيرٌ	فيه الطبيب يحارُ

حملت منه عظيماً فما عليه اصطبارُ
فليس ليلي ليلٌ ولا نهاري نهارُ

قال فرقّ له معاوية وكتب الى ابن الحكم كتاباً غليظاً وفي آخره شعر :

ركبت امرًا عظيماً ليس تعرفه استغفر الله من فعل امرء زاني
[١٥٢] لقد اتاني الفتى العذري منتحباً يشكو اليّ بحقّ غير بهتانِ
اعطى الاله عهودًا لا اخون بها او لا فبرّيت من ديني وادياني
ان انت راجعتني فيما كتبت به لأجعلنك لحمًا بين عقبان
طلق سعاد وفارقها بمجتمع واشهد على ذلك نصرًا وابن طيبان
فما سمعت كما حُدثت من عجبٍ ولا فعالك حقاً فعل انسان

قال فلما ورد الكتاب على ابن الحكم تنفس الصعداء وقال وددت ان امير المؤمنين خلى بيني وبينها سندًا ثم عرض على السيف وجعل يؤامر نفسه في طلاقها فلم يقدر : فلما اعجزه الوفد من الرسل طلقها . ثم قال يا سعاد اخرجي فخرجت شكله غنجت . ذات هيئة وجمال . فلما راوها الوفد قالوا ما تصلح هذه الا لأمير المؤمنين . لا للاعرابي . وكتب الجواب اليه شعر :

لا تحنثنّ امير المؤمنين وفي بعهدك اليوم في رفق واحسانِ
فما ركبتُ حراماً حين اعجبني فكيف سميت باسم الخائن الزانِ
فسوف تأتيك شمس لا خفاء بها اهي البرية من انس ومن جان
حوراء يقصر عنها الوصف ان وصفت اقول ذلك في سرّ واعلان

فلما وردت على معاوية الكتب قال ان كانت اعطيت حسن النغمة مع هذه الصفة فهي اكمل البرية فاستنطقها فاذا هي احسن الناس كلاماً واكملهم شكلاً ودلاً . فقال يا اعرابي هل من سكوت عنها بها فضل الرغبة . قال نعم اذا فرقت بين رأسي وجسدي ، ثم انشأ يقول : شعر

لا تجعلني والامثال تضرب بي كالمستجير من الرمضاء بالنارِ
[١٥٣] اردد سعاد على حيران مكتئب يمسي ويصبح في هم وتذكارِ
قد شفه قلق ما بعده قلق واسعر القلب منه اي اسعارِ
والله والله لا انسى محبتها حتى اغيب في رمس واحجارِ
كيف السلوّ وقد هام الفؤاد بها واصبح القلب عنها غير صبّارِ

فغضب معاوية غضباً شديدًا حتى قال لما اختاري من شيت انا او ابن الحكم او الاعرابي . فانشأت تقول : شعر

هذا وان اصبح في اطمارِ وكان في نقص من اليسارِ

اكبر عندي من ابي وجاري وصاحب الدرهم والدينار
اخشى اذ اغدرت حرّ النار

فقال معاوية لا بارك الله لك فيها فاخذها وانشأ يقول : شعر

خلوا عن الطريق للاعرابي الم ترقّوا ويحكم لمـــا بي

فضحك معاوية وامر له بعشرة الاف درهم . تمت .

...

قال بعضهم رسالة الى احد الشعراء المتعديين على نظم القريض وقد كان نظم قصيدة يمتدح بها بعض الاجلاء . فلما اطّلعوا بعض الظرفاء على اشعاره المنجوسة نظرًا الى وزنها واعرابها فألفوا هذه الرسالة وارسلوها ردًا على قصيدته وهي هذه

سلامٌ كلما هبّت رياحٌ على النشيج فـــاحت بالعبير
على من جهله فـــاق البرايا ويتعـــاني القريض بلا مشير
شعرت وما شعرت بسوء فعل بـــه صمت الجليل مع الحقير
لقد اوقعت نفسك في بـــلاء هجيتُ به من الطفل الصغير
ظننت الشعر سهلاً في التعاطي كالوف الحمير على الشعير
[١٥٤] فجيت بسوء القاب ونظم كتمثيل الغزال على البعير
فمن مضمون شعرك قد شعرنا بانك نبت عن تيس غرير
ومن اوزانه وزنوك قـــدرًا بجهلك قد رقوت اباً خبير
شربت من السراقب ملؤ دن فغايتك القليل مع الكثير
فان هاجت بك الاخلاط يومًا فاقذفها الى المجرى الكبير
ولا تطلي بها الاوراق اصلاً فبعد اليوم ما لك من مجير
فدع هذيان عقلك لا تضعه واصغي واستمع نغمة صفير

ثم بعد اداء ما يليق الى جنابكم من الصفع على القفين . على خزيدة فكر يستحق عليها الرفع اللحين . وثناء كأنه مثقوب . بصخر مضموم في سلك من خشب المرخ المذموم . سلام كما العبد السودان . او كبعر مذرور على الصحصحان . ان ذكر تذعق لاجله البقر والحمير . ويتناجى به التيس والبعير . وتسحب لاجله الجن في العير . الى من فاق اطروش في السماجه . وابن قيسم في الثقل واللجاجة . وقرنان في السهو والسذاجة . وقرم حشد في نظام الابيات . وعمارة في افتخاره بين السادات . دامت عليه انواع البدع . ولا زال سرايه بقع بقع . وثوب علمه رقع رقع . اما بعد فان جاز سؤالكم عن حالكم . وما حل بكم من حالكم وافعالكم . فانني اعلمكم بالاخبار لعلّ

بأخذكم الانبهار . وتحوزوا الانذار . وتركنوا الى الفرار . وحذار من المخالفة حذار . فالداعي الذي حركني الى خطابكم . والتوجع على ما نابكم . هو انه قد بلغني بانك ادعيت بما ليس فيك . واخرجت روث المعاني من فيك . وتحربت [١٥٥] على نظم القصايد . واوقعت نفسك بالمصايد . ونظمت قصيدة تمتدح بها اعزّ القوم الاماجد . وما خشيت اعين النقاد ذوي المكايد . وارسلتها في حندث الليل والظلام . ولم تتوق خرف الخاطف والنيام . واني لصادق لك بالمقال . على ما حدثني به الراوي ابن هلال . قال

كنت ذات ليلة من الليال . وانا في ارغد عيش وحال . بين اخوان واصدقاء . واحباب ورفقاء . قد ارتضعوا افواق ثدي الادب . وبلغوا فيه غاية بلوغ الارب . وفيما نحن نتوارد الاخبار الرايقه . ونلتقط درر المعاني النايقه . واذا بطارق يطرق بالوصيد . وهو لا يبدي ولا يعيد . فخرجت لأنظر من الملم . في الليل المدلهم . وقلت من الآتي الآن . فقالت تايهة ضلّت عن الاوطان . واتت تستجير بكم من الاحزان . ومن غايلة الزمان . فبادرت افتتاح الباب . وقابلتها بكل ترحاب . فلما دنوت بالصباح المتّقد . وتأملتها تأمل المنتقد . فرأيتها خريدة مخرقة الجلباب . عارية من الاثواب . منثورة الشعر محلولة البنود . مكشوفة الصدر بارزة النهود . ماخوذة بالرغم والقهر . منضوضة الختم والمهر . مصدوعة القلب محنية الظهر . فسألتها مستفسرًا عن حالها . وما الذي جرى لها . فاجابت بصوت مرعوب . ودمع مصبوب . ان قصتي لأعظم من قصّة دينا ابنة يعقوب . فطلبت منها ايضاح المعنى . فاجابت من غير استثنا . الا لحا الله الزمان . الذي احلني محل الهوان . وحيران يتعاطاني . [١٥٦] من لا يدري عليّ شاني . اعلم انني من اكرم جرثومة . واشرف خال وعمومة . وقد بليت من الزمان بسهم الردي . حتى انتحلني من لا يسوى طعنة بحدّي . وقد انتقدني في هذا الليل والظلام . لغرض به مستهام . لمدح بعض الأماثل . ولم يكسبني حلة تماثل . فصادفني قوم من اولي البراعة . والفصاحة والرجاحة والبراعة . وسألوني عن سبب ذهابي . واسفرار نقابي . فحدثتهم بقضيتي . وما بطن من دعوتي . فلما رأوا بان خبري . لا يناسب مخبري . وان حالتي . لا تضاهي رسالتي . فخرقوا رداءي . واوجدوا قناي . واستباحوا دمي . ومزقوا ادمي . وفضّوا ختمي . وازالوا وهمي . وقد صرت اذ ادم الخفق كالعلم . بعد ان جرى على ظهري خطط القلم . بالرد المنجوس . والدم المعكوس . وها انا لديكم في هذا المقام . وهذه قصتي والسلام . فلما سمع القوم ما اصابها . فرقّوا لمصابها . واخذوا يسلّونها بحلو الكلام . ويداووا ما بها من الكلام .

قال فصبرت ان اعرف شعاب منبتها . وولي نعمتها . فسالتها عن بعض اسباب . فلما رأيتها متحجبة عن الجواب فقلت شعراً

فقلت انعمي بالاً وقرّي اعيناً فمن بر نادينا الأرامل نستجدي
اقيمي الى ان تشتهي السير عندنا وروحي لمن تبعي وخفي بلاطردي
فقالت ترفق ما التحجب عادتي ولا انا في حجر الصيانة من مهدي
فغابت وابت مثل لمحة بارق فتبكى بكا المستهام من الوجد
فقلت على من تندبين فولولت وقالت لقد مات الحمار من الكد
[١٥٧] وعندي شوم لو طرحت اقلّه على كل من بعدي لكان به بعدي
فقلت الى اي المنا جيس تنتمي فقالت للزبلي بالصدق والجد
فقلت اذهبي ايان شئتي ذميمة وراجعة من غير ارث ولا نقد

فلما سمعت مني هذا الكلام . والزجر والحجر والملام . نهضت بكل اقدام . ساقطة على الاقدام . متوسلة بكل خضوع ووقار . كي لا نرديها من العار . ولا نطردها في هذا الليل . ولا نجعلها عرضة للويل . فقبلنا طلبتها . وابحناها رغبتها . وقلنا لها بقي لنا عليك قبول ما نبديه . وحفظ ما ننبيه . فاجابت على الرأس والعين . من غير كذب ولا مين . فابرزنا لها رقعة مطوية . بخطوط مجلية . وقلنا لها اذا ذهبت الى مرسلك في الصباح . فناوليه هذه المنظومة من غير افتتاح . وكان المسطر في طيها المختوم . هذه الابيات التي هي كالدر المنظوم :

شعر

يا يوسف الزبل الذي اشعاره اضحت سير
ظني بك ايلاوساً والروث من فيك انحدر
في فيك خلته (× ×) انفجر
اما معانيك التي قد حيّرت اهل النكر
فكانها بعر الحمير او شبه ازبال البقر
لا خير في نظم اذا ما شمته شمت العكر
معناك غل شكايمي والنظم قد اعمى البصر
فان تزن اياته زنها بميزان الجزر
وان ترم اعرابها تلقى بها هول العير .
[١٥٨] اف لرجم قد حوا ك وويح ذياك الذكر
فاظنك من مضاجعة الابالس لا البشر
حتى استطعت على معا ن مثلها ما في السمر
اذيت اهل العصر وا اقليم بدواً مع حضر

ومن صغى لنظامك انزا ... حي فقال لقد فتر
يـا صورة الدين المهو ... ل لكل جسم انتشر
لا تغترر بفصاحـة ... وبلاغـة لا تعتبر
لولا التقى لقلت ان ... جزاك في اقصى سقر
ان كنت حقاً شاعرًا ... آت بمعـنى مبتكر
لا تنتحل اقوال قو ... م قد مضوا فيما غبر
شتان مـا بين النعـا ... ل وبين دايرة القمر
تبـاً لموسيقي يظن ... بانـه فـاق الحور
ويحال ان عنـاءه ... يعلو على صرب الوتر
لمـا يغني في الدجـا ... يعياك عن صوت النقر
فكانمـا نعق الغراب ... وصاح يرم في السحر
نعق يميت البوم او ... يسدي الهجاج الى البشر
فـاقبل نصيحة ناصح ... ان كنت ممن ينتذر
واصغى لمن قد قـال قو ... لاً بالحقيقـة يعتبر
طمع النفـوس مطيـة ... للنـايبـات وللكدر
لا عدت تشعر بعـد هـا ... فـالحذر ثم الحـذر
ان كان هـذا المبتدا ... فابشر بـإعلان الخبر

[١٥٩] ورحم الله من اجاد في المعنى . من غير ايراد ولا استثناء باربعة ابيات مع تاريخين وهم غايات . شعر

يـا دارساً بل دارساً ... يبغي العلـوم بشوقـه
شرب السراب ولم يزل ... متوغـلاً في ثوقـه
ويسمّى بنظم قصيـدة ... من نطقه او نطقـه
بالشعر فسر ارخـوا ... ولقـد خرى من حلقه

تلميه

انت الحمار سرقته من دارنا ... من نصف شهر للربيع الاول
والكلب انت قتلته لما عوى ... والتيس انت ذبحته بالمنجل
واذا رأيت دجاجةً تلقم خرا ... والبيض من اذياكما يتدحدل
فخذ العصاه وحطها في استها ... حطاً لطيفاً لا يكون مهدل

تمت

وحكي عن بعض الملوك بانه رزق من الله تعالى ولدًا . فعمل الولايم

وفتح الخزاين . وفرق على احتاجين . وصنع وليمة عظيمة . وامر ساير اهل البلدة بان ياتوا فياكلوا من وليمته . وقال فليدخل الشعراء والطلاب واهل الحاجة وكل من عنده ملعوب حسن او نكتة حسنة . وجمع اكابر مملكته وجلس يستلقي الضيوف والشعراء بين يديه يمتدحوه (كذا) وهو لا يمنع احداً . وكان في المدينة راعي غنم قد بلغه خبر زينة البلدة بمولود الملك فاتى للفرجه . فسمع قايل يقول ان مولانا الملك لم يمنع احداً من الطلاب والمداح . والسايلين الا ويبلغه المطلوب . فقال في نفسه [١٦٠] انا اروح اليه وامتدحه لعله يمنحني شيئاً من جدواه . فمضى وما مثل بين يديه . قال له ما حاجتك . قال امتدحت امير المؤمنين بشعر . قال وما هو . فانشد :

انت كالدلو لا عدمناك دلواً ... من كبار الدلا عظيم الذنوب
واست كالكلب في حفظك للود ... وكالتيس في قراع الخطوب

فقال الملك اضربوه الحد على هذا التجري . ولو لم تكن هذه ايام السرور لضربت عنقه . فتقدم وزيره الاكبر ودعى له . وقال ايّد الله مولانا الملك ان هذا الراعي ما تجرى (تجرأ) بقوله . وعلى ما يبان من ذكاه انه شاعر نبيل . لانه امتدحكم بافخر ما يكون عنده وباحسن الخصال . والملح التي يلحظها من الدلو والكلب والتيس . فان شاء مولانا ان يعفي عنه ويدعه ان يلازم الشعراء والادباء وارباب العلوم فيتعلم منهم ويرى بعد ذلك ما يظهر من ذكاء فطنته . قيل فعفى عنه واذن له بذلك فخرج شاعراً نبيلاً احسن اهل زمانه . حتى الكن وابكم كل شعراء عصره . وبعد مدة دعاه الملك مختبراً اياه وكان امامه غلام مليح القوام كالقمر البازغ في الغمام . وعلى جانبه سيف فقال له جرد حسامك . ثم قال للراعي امتدح هذا الغلام . فقال ارتجالاً شعر:

جردت سيفاً على المضنى الكايب ولم ... تدري بان الحشا جريح سهميكا
كف السلاح الذي به تبغي تلغي ... اني وحق الهوى قتيل عينيكا

شعر تاريخ

الحسن اجلا عروساً تخدرها ... كطلعة البدر في داج من الشعر
[١٦١] لمن تليق به والحسن يظهر من ... تلك الاشارة للرايين بالنظر
ان رمت وصفها مني وحسنها ... كلاهما حسن في اكمل الصور
الريم لفتتهم والليث سطوتهم ... والغصن قامتهم بالتيه والخفر
اذا تبسم كل منها قترى ... كانه كنز ياقوت على الدرر
قلت يا سادتي حل من يأرّخه ... قالوا نعم شمس قد زفت على قمر

غير تاريخ

ابو الذهاب عليه دوايو السوء حنّت
قد رام اخذ دمشق في يوم نحس موقت
فامّها بجنود من التقساء تلقت
فنال ما نال منها بالمكر من حيث رقت
وصار يبحث عنها وعن حصون تبقّت
وسيف عثمان اضحى كم مهجة منه شقت
فعز بالخوف ارخ منه اذ حيث القت

قال بعضهم

كنت سايرًا في بلاد عذرة فولجت بعض الاودية فاذا بشاب حسن الوجه بيده زمام ناقة عليها هودج مسجى فيه جارية ومن وراء الناقة خمسة قلايص وقد رفع صوته ينشد : شعر

كن كيف شيت وسر على مهل كل الجمال عليك يا جملي
وعلى انك لا ترى كللاً ما دام فوقك هذه الكلل

فسلمت عليه فردّ علي . فسألته وسألني وتناشدنا واتصل الانس بيننا وسرنا غير قليل . فرأى قانصاً في احبولته ظبي فلما رآه يضطرب [١٦٢] في الاحبولة اجهش وانشأ يقول : شعر

وذكرني من لا ابوح بحبه محاجر ظبي في حجالة قانص
فقلت وجفن العين يجري بعبرة ولحظي الى عينيه لحظة شاخص
الا ايهاذا القانص الظبي خلّه وخذ عوضاً عنه جياد قلايص
خف الله لا تحبسه ان شبيهه حنا اني ارعدت منه فرايص

فاطلق الظبي واستاق القلايص .

...

حدث رجل من بني عذرة قال كان فينا ظريف يهوى جاريه من الحي فراسلها . فاظهرت له جفوة . فوقع مضنى مدنفاً وظهر امره وتبين دنفه . فلم تزل النساء من اهلها واهله يكلمنها فيه . حتى اجابته فسارت اليه عايدة . وسلمه . فلما نظر اليها تحدرت عيناه بالدموع وانشأ يقول : شعر

اتيتك ان مرت عليك جنازتي تروح بها ايدي طوالٍ وتسرعُ
اما تتبعيني النعش حتى تسلمي على رمس ميت بالحضيرة يودعُ

فبكت رحمةً وقالت ما ظننت ان الامر بلغ بك هكذا فوالله لاساعدنك ولادومن على وصالك فهملت عيناه بالدموع وانشأ يقول

ولما رأتني في السباق تعطفت علي وعندي من تعطفها شغل
دنت وظلال الموت بيني وبينها ومنت بوصل حيث لا ينفع الوصل

ثم شهق شهقة فخرجت نفسه . فوقفت تلثمه وتبكي . ثم رجعت عنه مغشياً عليها فما مكثت بعده الا اياماً حتى ماتت .

...

[١٦٣] حكي الخطابي انه قدم على عمر بن عبد العزيز وفد فيهم غلام فتجوس للكلام . فقال عمر كبرْ واكبر . اي ليتكلم الكبراء منكم . فقال الغلام يا امير المؤمنين لو كان الكبر بالسن لكان في المسلمين من هو احسن منك . فقال عمر صدقت تكلم .

وحكي ايضاً قال قدم وفد الحجاز على عمر فقدموا غلاماً منهم للكلام . فقال عمر مهلاً ليتكلم من هو اسنّ منك . فقال الغلام مهلاً يا امير المؤمنين انما المرء باصغريه القلب واللسان . فاذا منح العبد لساناً لافظاً وقلبا حافظاً فقد اجاد له الحلية . وقال تكلم . قال نحن وفود الشكر لا وفود الرزية لم تقدمنا عليك رهبةٌ ولا رغبةٌ . لانا امنا في زمانك ما خفنا وادركنا ما طلبنا .

...

غيلان وميّ ضربوا بالامثال

فاما غيلان ذي الرمة شاعرًا بليغاً وسمي ذي الرمة بقوله يصف وتداً :

شعر

وغير مرضوض القنا موتودِ اشعث باقي رمة التقليدِ
نعم فـانت اليوم بالمعمودِ من الهوى او شبـه المرودِ

وميّ فهي جارية بديعة . كان يتعشقها ذي الرمّة . ويتغزل بها في اشعاره . وقد غلبت مي حتى عرف بها . فقيل غيلان وميّ . واول امره مع ميّ فيما حكى الاصبهاني عن امة لام ي . قالت كنا نازلين اسفل الدهنا ورهط ذي الرمة مجاورون . فجلست مية تغسل ثياب لها ولامها في بيت رث فيه خروق . وهي فتاة احسن مما رأيته قط حين بدا ثدياها . فلما فرغت لبست ثيابهـا [١٦٤] وجلست عند امها . واقبل ذي الرمة ينشد . فدخل وجلس ساعة ثم خرج فقالت مية اني لأرى ان هذا العدوى قد رآني منكشفة . فاطلع علي من حيث لا اعلم . فان بني عدي اخبث قوم في الارض فاذهبي فقصي اثره . قالت فقصصت اثره . فوجدته قد تردد اكثر من ثلاثين طرقه كل ذلك يدنو فيطلع ثم يرجع على عقبه ثم يعود فاخبرتها بذلك ثم لم تنشب اذ جاءنا شعره

فيها جميع الصفات ومكث يهيم بها عشرون سنة حتى تزوجها . قال ابن قتيبة مكثت مي تسمع شعر ذي الرمة ولا تراه . فجعلت بينه ان تنحر بدنه بيوم تراه . وكانت من اجمل الناس . وكان هو اخبث الناس وجهاً . فلما رأته ذميمًا صاحت واسوءتاه . فقال : شعر [؟]

الم ترى ان الماء يخبث طعمه وان كان لون الماء ابيض صافيا

...

١١

في تاريخ الآداب العربية كان الشعراء والكتاب يتنافسون في استعمال بعض الحروف او مجموع من الحروف على توالي الابيات والسطور . ولقد برع في هذا الشيخ ناصيف اليازجي وقبله شعراء كثر نذكر منهم من قرأنا له في خزانة المخطوطات المحفوظة في المكتبة الشرقية : منهم المطران جرمانوس فرحات وسليمان الغزي (راجع ما نشرناها في تحليل المخطوط عدد 1481 والذي ظهر في مزيج جامعة القديس يوسف (Mélanges U. S. J. 1964)

ونجد هنا صورة لهذه الصعوبات :

رسالة في كل كلمة منها حرف سين

باسم القدوس استفتح . وباسعاده استنجح . سيره سيدنا الاصفهلار [اسم رجل] الرئيس السيد النفيس . سيّد الرؤساء . سيف السلاطين . حُرست نفسه . واستنارت شمسه . وانسق انسه . وسبق غرسه . [١٦٥] استمالة الجليس . ومساهمة الانيس . ومساعدة الكسير والسليب . ومؤاساة السحيق والنسيب . والسيادة تستدعي استدامة السنن . واستحفاظ الرسم الحسن . وسمعت بالامس تدارس الالسن بسلامة تندريسه . وسلسال كؤسه . ومحاسن مجلس مسرته . واستحسان مسمعه ستارته . واستلفت السراء . وتوسمت الاستدعاء . وسوف تنسى بالاحتسا . وانستها مؤانسة الجلساء . فجلست استقري السبل . واستطلع الرسل . واستشرق السبل . واستبعد تنامي اسمي . واساور الوساوس . لاستحالة وسمي . شعر

وسيف السلاطين مستأثر بانس السماع وحسو الكؤس
سلاني وليس لباس السلو يناسب حسن سماة النفيس
وسرّ تنساسى جلاسه واسوا السجايا تنامي الجليس
وسرّ حسودي يطمس الرسوم وطمس الرسوم كرمس النفوس
وساقي الحسام بكلس السلاف واسهمني بعبوس وبؤس

واسكرني حسرةٌ واستعاص لقسوته سكرة الخندريس
ساكسوه لبسته مستعنت والبس سروال ياس يروس
واسطر سياته سيرةً تسير اساطيرها كالبسوس

وحسبنا السلم وسلامة لرسول السلام

غيرها رسالة في كل كلمة منها حرف شين

بارشاد المنشى انشي . شغفي بالشيخ شمس الشعراء . ريّش معاشه. وفتا رياشه (لباسه) . واشرق شهابه . واعشوشبت شعابه . يشاكل [١٦٦] شغف المنتشي بالنشوة . والمرتشي بالرشوة . والشادب (الشاب) بشرخ الشباب . والعطشان بشيم (بارد) الشراب . وشكري لتحشمه وشفته . وشواهد شغفته . يشاكل شكر الناشد للمنشد . والمسترشد للمرتشد . والمستجيش (طالب الجيش) للشمير (المنجد) . والمستشير للمشير . وشعاري انشاد . واشحاء الكاشح(المخاصم) بنشره . وثقلي اشاعة وشايعه (علم الثوب) . وتشييد شوافعه . والاشادة بشذوذه وشنوفه . والمشورة بتشفيعه وتشريفه . واستشهاد المشبّع المكاشف . المتشر الكاشف. يدهش الشايب. والناشي فيلاشي شعر الناشي . ولشافيته كاشتيار الشُهد . وتباشير الرشد . ولشاحنته يشفي المشاحن . ومشاجرته تنشر المشاين . واشاعة تشطي الاشطار. وتشبط الشطار . فشرفا للشيخ شرفا . وشغفا بشغفته شغفاً . شعر.

فاشعـــاره مشهورة ومشاعره وعشيرتـــه مشكورة وشايده
شنايي [سبق] الشعر المشمعلين [المسرعين] شعره فشاينه مشجو الحشا ومشاعره ...

١٢

هناك حكم متداولة يعود اليها الانسان كلما احب ان يستند الى اقوال تعبر عن فكره وطالما تكلم الشرقي باحكام كهذه فتكاثر عددها ونشرت منها كتب وتآليف عديدة . نعطي هنا ما اخترناه من المخطوط الذي نحن بصدده .

[٢١٤] حكم مستقاة من بعض اقوال الحكماء الثقاة

على احرف الهجاء : حرف الألف

[٢١٥] الامانة ايمان والبشاشة احسان . القناعة تغني والغنى يطغى .

الشهوة واللذة تلهيان . والحقد والحسد يضنيان . المعروف رق والمكافأة عتق . اسعد الناس العاقل . واتقى الناس الجاهل . اقرب شيء الاجل . وابعد شيء الأمل . الأمل يتقسّم . والاجل يتبسّم . اكبر الاوزار تزكية الأشرار . اعلم الناس بالله . ارضاهم بقضاء الله . الشرف بالعقل والادب . لا بالمال والحسب .

حرف الباء

بئس الاختيار . بئس الاختيار التعويض بما يفنى عما يبقى . بالعصم تدرك درجة الحكم . بُعد الاحمق خير من قربه . وسكوته خير من نطقه . بالاحسان تملك القلوب . والتوبة تغفر الذنوب . بالاطماع تذل ارقاب الرجال . بحسن النيات ترجح المطالب . بالنظر في العواقب تؤمن العواطب . بالعمل تحصل الجنة لا بالامل .

حرف التاء

تمام العلم العمل . تتبع العورات من اعظم السوءات .

حرف الثاء

ثوب الشقاء احسن الملابس . ثوب الآخرة ينسي مشقة الدنيا . ثمن الجنة العمل الصالح . ثواب العمل ثمرة العلم . ثمرة العلم معرفة الله . ثمرة الطمع ذل الدنيا وشقاء الآخرة . ثمرة القناعة العز . ثروة العاقل في علمه وعمله . وثروة الجاهل في ماله وامله .

حرف الجيم [٢١٦]

جالس العلماء تسعد . جود الفقير يجلّه . وبخل الغني يذلّه . جهل الغني يضعه . وعلم الفقير يرفعه . جود الرجل يحببه الى الأضداد . وبخله يبغضه الى اولاده .

حرف الحاء

حسن الظن راحة القلب . حب الدينار رأس كل خطيئة . حب المال سبب الفتن . وحب الرياسة راس المحن . حد العقل النظر في العواقب . حرام على كل عقل معلول بالشهوة ان ينتفع بالحكمة . حصّلوا الاخرة بترك الدنيا . ولا تحصّلوا الدنيا بترك الآخرة . حاصل التواضع الشرف . وحاصل المعاصي التلف . حق يضرّ . اخير من باطل يسرّ .

حرف الحاء

خير اموالك ما وقى عرضك . خير الدنيا حسرة . وشرها ندم . خير البر ما وصل الى المحتاج . خلوّ القلب من التقوى يملأه من فتن الدنيا . خليل المرء دليل عقله . وكلامه برهان فضله . خدمة النفس صيانتها عن اللذات . خوافي الاخلاق تظهرها المعاشرة . وخوافي الاراء تكشفها المشاورة .

حرف الدال

دولة اللئام . مذكرة الكرام . دوام الصبر . عنوان الظفر والنصر . داو الغضب بالصمت . والشهوة بالعقل . دع الحدة وتفكّر بالحجة . درهم النقير اذكى عند الله من دينار الغني .

حرف الذال

ذكر الله ينير البصائر . ويؤنس الضمائر . ذهاب البصر خير من عمى البصيرة . ان المسرف لا يُحمد جوده . ولا يرحم فقره . ذل نفسك وعز دينك . ذوو [٢١٧] العيوب يحبون اشاعة مصايب الناس . ذللوا انفسكم بترك العلات وفعل الطاعات . ذل الرجل في عزور الامل .

حرف الراء

رحم الله امرءًا راقب ذنبه وخاف ربه . راس الايمان الصدق . وراس الحكمة لزوم الحق . راس المعايب الشراهة . راس الكفر كراهة التعلم . راس الفضايل معاشرة الفضلاء . وراس الرذايل مصاحبة الجهلاء . راس العلم التمييز بين الاخلاق . رب ساع لقاعد . رب كلمة تسبب نقمة . رب اخ لم تلده امك . رب مملوك لا يستطاع فراقه . ربما اخطا البصر رشده . رغبتك في المستحيل جهل . راكب المعصية شواه النار . وراكب الظلم يدركه البوار . ردع النفس عن اهوى هو الجهاد النافع . رد الغضب بالحلم . ثمرة العلم . رضى المتعنت غاية لا تدرك . رضاك عن نفسك من فساد عقلك . رحمة من لا يرحم تمنع الرحمة . واستبقاء من لا يبقى يهلك الامة . راقب العواقب تنج من العواطب .

حرف الزاي

زكاة الجمال العفاف . وزكاة القدرة الانصاف . زين الحكمة الزهد

في الدنيا . زلة العالم كانكسار السفينة تغرق وتغرّق . زاد المرء الى الآخرة الورع والتقى .

حرف السين

سبب العطب طاعة الغضب . سبب الفرقة الاختلاف . سبب الغنى القناعة . سنة اللئام قبح الكلام . سوء التدبير مفتاح الفقر . ساعة ذل لا تفي بعز دهر . سامع الغيبة احد المغتابين . سادة [٢١٨] الناس في الدنيا الاستحيا . وفي الآخرة الاتقياء . سل عن الجار قبل الدار . سلامة العيش في المداراة .

حرف الشين

شكر المؤمن يظهر في عمله . شكر المنافق لا يتجاوز لسانه . شكر النعم يزيدها . شكر الافعال ما جلب الانام . شر الاراء ما خالف الشريعة . شر الناس من يظلم الناس . شر الولاة من يخافه البري . شر اخوانك من احوجك الى المداراة . شر الناس من يرى انه خيرهم . شر الايمان ما دخله الشك . شاور قبل ان تعزم . وفكّر قبل ان تقدم . شيئان لا يبلغ غايتهما العلم والعقل .

حرف الصاد

صلاح النفس مجاهدة الهوى . صواب الجاهل كزلة العاقل . صبرك على المصيبة يخففها . صديق كل امرء عقله . وعدوه جهله . صديقك من نهاك . وعدوك من اغراك . صحبة الاشرار توجب سوء الظن بالاختيار . صمت يكسبك الوقار . خير من كلام يكسبك العار .

حرف الفاء

ضرورة الاحوال تذل رقاب الرجال . ضل من اهتدى بغير هدى الله . ضلال العقل اشد ضله . وذل الجهل اعظم ذلة .

حرف الطاء

طوبى لمن راقب ربه . وخاف ذنبه . طاعة الجهول تدل على الجهل . طلاق الدنيا مهر الجنة . طالب الادب . احزم من طالب الذهب . [٢١٩] طعن اللسان . امضى من طعن السنان .

حرف الظاء

ظن العاقل كهانه . ظفر يجنة المادي من غلب الهوى . ظلم الضعيف

افحش الظلم . ظلم العباد يفسد المعاد . ظلم المعروف من وضعه في غير اهله . ظلف النفس عن لذات الدنيا هو الزهد المحمود . ظلامة المظلومين يمهلها الله . ولا يهملها . ظفر الكريم ينجي . وظفر اللئيم يردي . ظفر بالخير من طلبه . وظفر بالشر من ركبه . ظفر بالشيطان من غلب غضبه .

حرف العين

عليك بالاخرة تأتيك الدنيا صاغرة . عليك بحسن الخلق فانه يكسوك المحبة . عليك باخوان الصفاء . فانه زينة في الرخاء وعون في البلاء . عند الامتحان . يكرم المرء او يهان . عوّد لسانك ليّن الكلام . وبذل السلام . يكثر محبك ويقل مبغضوك . عادة الكرام الجود . وعادة اللئام الجحود عجبت لمن عرف دواء دائه فلا يطلبه . ولمن وجده لا يتداوى به . عجبت لمن يملك اجله . كيف يطيل امله . وعجبت لمن يعلم ان الاعمال اجزاء كيف لا يحسن عمله . علم المنافق في لسانه . وعلم المؤمن في عمله . علم بلا عمل كقوس بلا وتر . عداوة العاقل . خير من صداقة الجاهل . عبد الشهوة اذل من عبد الرق . عين المحب عمياء من مصايب المحبوب .

حرف الغين

غنى العاقل بعلمه . وغنى الجاهل بماله . غض الطرف من افضل الورع . غير منتفع بالعظات . قلب متعلق بالشهوات . غالبوا انفسكم على ترك العادات . غنى العقل بحكمته . وعزه بقناعته . غايب الموت احق منتظر . واقرب قادم . غضب الملوك رسول الموت . غطاء المساوئ الصمت . غطوا معايبكم بالسخاء فانه ستر العيوب . غارس شجرة الخير يجتنيها احلا ثمرة .

حرف الفاء

في رضا الله غاية المطلوب . في مجاهدة النفس كمال الصلاح . في تصاريف الدنيا اعتبار . في الشدة يختبر الصديق . وفي الضيق يتبين حسن موافاة الرفيق . فاعل الخير خير منه . وفاعل الشر شر منه . فقد البصر اهون من فقدان البصيرة . فخر المرء بفضله لا باهله . فان من اصلح عمل يومه . استدرك فوارط امسه . فساد البهاء الكذب . فكرك في الطاعة يدعوك الى العمل بها . فر الى الله ولا تفر منه فانه يدركك . فارق من فارق الحق . فقد اللئام راحة الانام .

حرف القاف

قد يزل الحكيم وقد يزحق الحليم . قد يكبو الجواد . وقد يدرك المراد . قد يبعد القريب . وقد يلين العسيب . قرنت الحكمة بالعصمة . وقرنت الهيبة بالخيبة . قرن الطمع بالذل . قرن القنوع بالغنى . قرنت المحنة بحب الدنيا . قلة الكلام تستر العيوب . وتقلل الذنوب . قدر ثم اقطع . وفكر ثم انطق . قاتل هواك بعلمك . وغضبك بحلمك . قوام العيش حسن التقدير . قوام الدنيا بأربع . عالم يعمل بعلمه . وجاهل لا يستنكف ان يتعلم . [٢٢١] وغني يجود بمعروفه . وفقير لا يبيع آخرته بدنياه .

حرف الكاف

كل عاقل مغموم . وكل عارف مهموم . كل متكبر حقير . وكل فانٍ يسير . كل راضٍ مستريح . وكل آتٍ قريب . كيف يزهد في الدنيا ولا يعرف قدر الاخرة . كيف يصلح غيره من لا يصلح نفسه . كفى لنفسك مؤدباً . تجنب ما كرهته من غيرك . كفاك موبخاً على الكذب علمك بانك كاذب . كثرة الكلام يملّ السامع . وكثرة الالحاح توجب المنع . كن من الكريم على حذر ان اهنته . ومن اللئيم اذا اكرمته . كن على حذر من الاحمق اذا صاحبته . ومن الفاجر اذا عاشرته . ومن الظالم اذا عاملته . كلما ارتفعت رتبة اللئيم . نقص الناس عنده . كرور الايام احلام . ولذاتها آلام . كافل المزيد الشكر . وكافل العز الصبر . كمال الفضايل شرف الخلايق . كفر النعم مجلبة لحلول النقم . كفران الاحسان يوجب الحرمان .

حرف اللام

لكل شيء زكوة . وزكوة العقل احتمال الجاهل . بالشدايد تذخر الرجال . للانسان فضيلتان عقل ومنطق . فبالعقل يستفيد وبالمنطق يفيد . لينهك عن ذكر معايب الناس ما تعرف من معايبك . لن تلقى الشر راضياً . لن تهدى الى المعروف متى تضل عن المنكر . ليس من عادة الكرام تأخير الانعام . ليس من شيم الكرام تعجيل الانتقام . لو خلصت النيات لزكت الاعمال .

حرف الميم

مَن آمن آمن . ومن تعلم علم . من قل ذل . ومن عجل ذل . من شرايط الايمان حسن مصاحبة الاخوان . من علامة الادبار مقارنة الارذال . من

الحكمة طاعتك الى من فوقك . واجلالك من في طبقتك . وانصافك لمن دونك. ما اذنب من اعتذر . ما فوق الكفاف اسراف . ما دون الشره عفاف . ما تكبّر الا وضيع . ما تواضع الا رفيع . ما حقر نفسه الا عاقل . ما اعجب برأيه الا جاهل . ما نهى الله عن شيء الا واغنى عنه . ما امر الله بشيء الا واعان عليه . مع العجل يكثر الزلل . مكروه تحسد عاقبته . خير من محمود تذم مغيبته . مذيع الفاحشة كفاعلها . مستمع الغيبة كقايلها .

حرف النون

نعم الدليل الحق . نعم الرفق الرفق . نال المنى من عمل لدار البقاء . نزه نفسك عن كل دنيه وان ساقتك الى الرغايب . نظر البصر لا يجدي اذا عميت البصيرة . نظام المروءة حسن الاخوة . نظام الدين حسن اليقين . نزل نفسك دون منزلتها . ينزلك الناس فوق منزلتك . نال العز من رزق القناعة . نظام الفتوة احتمال عثرات الاخوان . نفوس الاخيار نافرة من نفوس الاشرار . نعم شافع المذنب الاقرار بالذنب .

حرف الواو

وعد الكريم نقد وتعجيل . وعد اللئيم تسويف وتعليل .

حرف الياء

ينبغي لمن عرف سرعة رحلته ان يحسن التأهب لنقلته . ينبغي [٢٢٣] للعاقل اذا علم لا يعنف . واذا علّم لا يأنف . يستدل على ما لم يكن بما كان . يسير يكفي خير من كثير يطغي . ينبي عن قيمة كل امرء علمه . يمتحن المؤمن بالبلاء كما يمتحن بالنار الخلاص . يشفيك من حاسدك انه يغتاظ عند سرورك . ينبغي لمن اراد اصلاح نفسه واحراز دينه ان يجتنب مخالطة ابناء الدنيا . ينبغي لمن عرف الزمان لا يأمن من صروفه . ينبغي ان يكون علم الرجل زايداً على نطقه . وعقله غالباً على لسانه .

(يتبع)

الآثار المطويّة (تابع)

بقلم
الاب انطونيوس شبلي اللبناني

فقير الرهبانيّة اللبنانيّة الكبير

ننعي الى الفضل وآله ، والادب ورجاله ، شيخاً جليلاً وقوراً وكاتباً فذاً قديراً حنّكت له اللغة رقابها ، فغاص لالتقاط الدرر في عبابها ، وعبّ منها وارتوى فلم ينقطع طوال ستين سنة ونيّف صريرُ ذلك القلم الذي لم يعله صدأ ولا غبار ولا فتور ولا كلل بل ظلّ فتياً مستجمعاً في شيخوخته قوى الشباب . ذلك القلم الذي ما تعرّج ولا التوى ولا ناله ملل ولا كبا ولا نبا ، بل كان يقظاً فياضاً جارياً على سجيته الى آخر حياته . وتلك بطولة قلما تمتّع بها قلم .

ان الرجل الذي ننعيه ونستكبر الخسارة فيه هو الكاتب العبقري الطيّب الأثر الاب مبارك ثابت الابن البار لدير القمر . فكان الاسف عليه جسيماً والحزن عظيماً . قال الشاعر :

استشعر الكتّابُ فقدك سالفاً وقضت بصحة ذلك الايامُ
ولذاك سوّدت المحابر وجهها حزناً عليك وشقّت الاقلام

اجل ! ان ذلك البليل الغرّيد قد انقطع عن الغناء وهجر قفصه .
وذاك النجم المضيء في حنادس الظلام قد هوى .
وذاك القلم الذي كان نيّاحاً في يمينه قد انتزعه منه الموت قسراً .

ان قلم الاب ثابت حيثما وُجد « ترتمي عن جانبيه الدرر » وهو من اوسع الاقلام اللبنانية انتشاراً وأطولها نَفَساً واكثرها خصباً وانتاجاً وأسدّها رأياً وابلغها رشاقة وبياناً وأقدرها رصفاً ووصفاً وأغزرها مادةً . فما جال في موضوع الا ألمّ به من جميع اطرافه ، ثم أفرغه في قالب كتابي جميل ينبئك بان صاحبه من مهرة الكتّاب بالباسه المعاني ثوباً جديداً من المباني .

لم يكن قلم الاب ثابت هيّاباً جباناً يخشى التهويل او التلميح والتصريح او يلجأ الى الانزواء والاختباء بل كانت من طباعه المساجلة والمجادلة والمبارزة . فانه لم يعتدِ على احد ولكنه ما كان يحتمل ان يتطاول عليه قلم ديما علا واستطال وما ارتدَّ في مجادلاته الا فائزًا ظافرًا .

كان ضنيناً بالزمان ان يذهب سدىً لذلك اكبَّ يخطّ على الطروس عاملاً ليلاً نهارًا في شتى المواضيع فأتى وهو فرد بما لم تستطع اتيانه عشرات الاقلام . قال الشاعر :

املأ الدنيا بما تستطيع من عمل يبقى اذا العمرُ ذهب
انما الاعمالُ تاريخ الفتى تقرأ الاجيال فيه ما كتب

كان الاب ثابت ميّالاً الى المباسطة والمفاكهة — واحياناً في بعض كتاباته اذا اقتضاها الحال — لا سيما بعد ان يترك القلم من يده استجماماً للراحة ، ولا يعود الى الجري به الا بعد ان يشعر ان النشاط قد دب في اعصابه . كم من ليال سهرها وآلام في معدته عاناها وهو مكب على الترجمة او التأليف وليس له من سمير غير القلم ! فقد كان كبيرًا في اخلاقه كبيرًا في آدابه كبيرًا في قلمه كبيرًا في انتاجه ! أحب لبنان حباً عميقاً صافياً وكتب عنه المقالات الطوال فبرّز وحلّق وأطرب وابدع في وصف مباهجه ومفاتنه وفصوله الاربعة وفي جمال ارزه وغاباته واوديته وانهاره وتدفق ينابيعه وظلال اشجاره ورقيق نسيمه وشروق شمسه وسحر غروبها ومسبح قمره واستضاءة نجومه !

نقل عدة كتب وروايات من الفرنسية الى العربية بلغة فصحى لم يظهر عليها اثرٌ للتعريب فبرزت آية بالرشاقة جديرةً بان ينسج على منوالها .

وتخطّى قلمه الى كتابة مواضيع دينية وعلمية وادبية واخلاقية وروحية وعمرانية وكان فيها جائلاً بين النجوم .

وله بعض كتب موضوعة او مترجمة كُلّف بها ظهرت مطبوعةً باسم غيره وكانت عبارته تتمّ عليه وتشير اليه وهل يخفى القمر ؟ . وكم قُدّم له من روايات وكتب روحية وفلسفية ولاهوتية لتصليح عبارتها ؛ فاجال فيها قلم التنقيح والتصحيح وقلبها بطناً لظهر وكساها ثوباً طريفاً من نسج قلمه واعادها الى اصحابها فأصبحت فخورةً به مجلوةً كالحسناء .

درّس في مدرسة الفرير المرسلين في دير القمر ودير كفيفان، ودير سيدة نسيبه غوسطا ، وبئر الحيت وحيفا .

كان الاب ثابت خطيباً ملسناً طالما رصّع المنبر بالدرر والغرر واكتسب ثقة السامعين . وهو الذي انتدبته دير القمر لتأبين المرحوم داود بك عمّون في حفلة جنازه فجال وبرع وابدع شأنه في مواقفه الخطابية الرسمية. وله خطب متفرقة في مناسبات شتّى اقتُرحت عليه لتلقى في حينها وأمكنتها وهي تؤلف كتاباً ضخماً اذا جُمعت .

وعندما تقف على لائحة مؤلفاته ومعرّباته المطبوعة والمخطوطة تدهش لجلَد هذا الرجل ومثابرته على صناعة الانشاء طيلة حياته حتى انه لم يترك القلم من يده الا ساعة مرضه ونقله من دير البرامية الى دير القديس يوحنا الحبيب (الراس) ومنه الى مستشفى القديس يوسف في الدورة حيث لفظ فيه انفاسه يوم الخميس الواقع في ١٤ ايار سنة ١٩٦٤ ونُقل جثمانه الى دير مار جرجس الناعمة حيث أقيمت في كنيسته حفلة جنازه يوم الجمعة التالي ودُفن هناك مكفّناً بالعبرات والحسرات وانكفأ حاضرو مأتمه يردّدون قول الشاعر :

اخو العلم حيٌّ خالد بعد موتـــه واوصاله تحت التراب رميمُ
وذو الجهل ميتٌ وهو ماشٍ على الثرى يُظنّ من الاحياء وهو عديمُ

وكان آخر كتاب عرّبه قلمه وأتمّه هو « أريج روما » .

هذا هو الرجل الذي فقده الوطن والرهبانية اللبنانية وبكته وقدرت بطولته واثنت على كده وجهاده ووارته الثرى مردّدة قول الشاعر :

سيذكرني قومي اذا جدَّ جدّهم وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدرُ

ابي واخي وصديقي

لقد شقّ عليَّ غيابك ، وزاد ألمي تفكري بعدم ايابك . دعاك الداعي وما استطعت تأجيله ليودعك اخوانك واصحابك ويلقوا على ذلك الوجه الصبوح آخر نظرة يتزودونها منك في الحياة ، لذلك بضع الألم قلبي فسال الدمع المحرق من عيني ورحت اسائل نفسي : اصحيح توارى عن الوجود الاب مبارك ثابت وامسى في عداد الاموات ؟! كنتَ لي أخاً وصديقاً تكشح عن قلبي ضباب الهموم والغموم وتنعشني بالأمل والرجاء ، وما كان همّك الا ان تراني طرياً مسروراً متمتعاً باطيب عافية فكيف لا ابكيك وارثيك واستكبر المصيبة فيك ؟

فتق يا حبيب القلب

انك منذ تواريتَ في التراب وانا كما قال الشاعر :

ما جفَّ للعينين بعدك يا قرير العين مجرى
ان الحبة لم تداخ مني سوى عظم مبرّى
وبدامع عبرى على كبدٍ عليك الدهر حرّى

قيل : ان في الناس من يدب فيهم الفناء وهم بعد احياء ، اما انت فكان موتك بدء خلودك .

احل ! انك غبتَ عن نظري يا اوفى الاوفياء واخلص الاصدقاء ولكنك لم تغب عن خاطري فانت غائب كالحاضر كقول الشاعر .

أما والذي لو شاء لم يخلق الهوى لئن غبتَ عن عينيَّ ما غبتَ عن قلبي
ترينيك عينُ الوهم حتى كأنني اناجيك من قرب وان لم تكن قربي

وقال الحكيم بن قنبر :

ان كنتَ لستَ معي فالذكرُ منك معي يرعاك قلبي وان غيّبت عن بصري
العينُ تبصرُ من تهوى وتفقده وناظرُ القلب لا يخلو من النظر

نم يا حبيبي في ضريحك مستريحاً بما اتيت من الحسنات والمبرّات ، تُطرب ترمك اهاديّ ملائك الجنّات والألسن تردّد قول الشاعر :

عليك تحية الرحمان تترى برحماتٍ غوادٍ رائحاتِ

جبيل — دير سيدة المعونات في ١٨ ايار سنة ١٩٦٤

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

موجز حياة الاب مبارك ثابت اللبناني

وُلد في دير القمر لابويه المرحومين يوسف ابن دهام ثابت وكاترين ابنة لحود ابي شاكر سنة ١٨٧٥ . وفي ٣١ آب من هذه السنة قبل سر العماد المقدس في كنيسة مار عبدا دير القمر للرهبانية الحلبية المارونية ودعيَ : عبدو — طانيوس — قزحيا . وأطلق عليه اسم قزحيا لان والدته نذرته لهذا الدير المبارك .

وفي ايلول سنة ١٨٩١ لبّى دعوة الله لاختيار الحالة الرهبانية اذ كانت نفسه تتوّاقة اليها منذ نعومة اظفاره فتشرّف بالانضواء الى الرهبانية اللبنانية المارونية الجليلة وانخرط في سلك المبتدئين في دير مار موسى الحبشي بعبدات على غير رضا والديه واقربائه الذين كانوا يعالجون صرفه عن الترهب حتى بالتهديد. وانتهت مدة تجربة الابتداء فتقيّد بالنذور المقدسة على وجه التأبيد عن يد المغفور له الاب مبارك سلامه المتيني رئيس الرهبانية العام في ٢٦ تموز سنة ١٨٩٣ . وفي نهاية عام ١٩٠٠ رُسم كاهناً في دير سيدة بكركي بوضع يد السعيد الذكر المطران بولس عواد .

تلقّن القراءة والكتابة والحساب واصول اللغة العربية والقراءة الفرنسية في مدرسة راهبات القديس يوسف في مسقط رأسه من نسيبه المرحوم الاستاذ يوسف حبيب ثابت المحامي الشهير . ولما أوتيه من تأهب فطري ومن رغبة في التحصيل واكباب على الدرس ولا سيما استظهاره « كتاب مجمع البحرين » متناً وشرحاً لكُتّب « بناصيف اليازجي » اسم مؤلف الكتاب رحمه الله . لبث سنتين في المدرسة لا يدع تلميذاً ينتزع منه الأولية في اي درس . وكان استاذه يستعين به على تعليم المتأخرين عن كسل او قلة فهم . واحرز تفوقاً باهراً في علم الحساب ، فحل جميع مسائل كتاب « كشف الحجاب في علم الحساب » للمعلم بطرس البستاني المغفور له ، وجمعها في كراس كتب منه نسخاً بخطه وزّعها بين رفاقه في الصف فكانت لهم المفتاح لسر تلك المسائل المستعصية . فتحوّل حسدهم اياه الى محبة وشكر واعتبار . وكان هذا الكراس باكورة نتاج يراعه .

وبعد ترهّبه تلقّى السريانية ومبادئ الفرنسية في اديار رهبانيته . ثم دخل مدرسة الحكمة في بيروت مؤثراً لفضل العناية بلغة الأعراب فأحكم درس العربية لغةً ونحواً وبياناً وشعراً وخطابةً على الاستاذين الكبيرين المغفور لهما الشيخ عبدالله البستاني والخوري نعمة الله باخوس ، والفرنسية الى الصف

الثاني . وتخرج بالدروس الكهنوتية في مدرسة الرهبانية في غوسطا (دير سيدة نسبيه) ودرس العربية النحو والبيان والخطابة ست سنوات في مدرستي غوسطا ودير كفيفان الرهبانيتين. ثم سنتين في معهد اخوة المدارس المسيحية في حيفا وسنة في دير راهبات القديس كرلوس الالمانيات في المدينة المذكورة حيث احرز نصيباً من مبادئ لغة الالمان . ثم ست سنوات متتالية في مدرسة الاخوة المريميين في دير القمر.

تخرج عليه عدد من الأدباء وحملة الأقلام البارعين من رهبان وغيرهم منهم غبطة سيدنا وابينا مار بولس بطرس المعوشي بطريرك انطاكية وسائر المشرق . وكرم ملحم كرم . وله المقالات القيّمة من علمية ودينية واخلاقية وسياسية ووطنية . والروايات العديدة من اخبارية ومسرحية ، والمباحث المستملحة في شتى الشؤون . نُشر كثير من هذه المكتوبات في الصحف كالبشير والشعب النيوركيـــة وجريدة دير القمر والارزة والاصلاح ورسالة قلب يسوع ورسالة السلام ومجلتي المشرق والآثار الشرقية في بيروت ومجلة « الفصول » في الارجنتين وجريدتي فلسطين ورقيب صهيون ومجلة « الورود » الخ . فلاقت لدى الصحف والقراء حظوة وتقديرًا وترحيباً في كل عصر . ووافته لذلك عدة رسائل تشجيع وتمجيد من بعض عشاق الادب وحملة الاقلام .

وفي ٨ حزيران سنة ١٩٢١ كتبت جريدة « الشعب » الصادرة في نيورك في عددها ٧١ ما يأتي : « نشرنا بالأمس مقالة لحضرة العالم الفاضل والكاتب البليغ الاب مبارك ثابت اللبناني رئيس دير بحنّين في لبنان . واليوم نشرنا له مقالةً أخرى بعنوان « المراقص » وهي مثل كل كتاباته المفيدة البليغة . وقد امتاز حضرته بما يكتبه في مواضيع ادبية اجتماعية وانتقادية يرمي من ورائها الى تعزيز الآداب الصحيحة والفضائل الشريفة وتقوية الروح الدينية التي هي ملاك الاخلاق الكريمة والمبادي القويمة . والذي يطالع جريدة «البشير» البيروتية الغرّاء يجدها على الغالب محليةً جيدها بفصول بليغة لحضرة الاب مبارك ثابت الذي شاء مراسلة « الشعب » بالمفيد من المباحث الادبية والاجتماعية والوطنية . فاهلاً وسهلاً به وبنفثات يراعه السيّال وبنات افكاره المحصّنات ...

بل ان الجريدة التي يكاتبها احرارنا في الوطن امثال داود بك عمون رئيس لجنة ادارة لبنان الكبير والاب مبارك ثابت اللبناني وغيرهما من كبار اهل العلم والفضل في عالمَي الدنيا والدين تكون نائلةً ثقة عقلاء الأمة واحرارها بالمعنى الذي ذكره الاب مبارك ثابت في مقالته : « من هو الرجل الحرّ ؟ »

○

الاشغال التي قام بها الاب مبارك ثابت بامر السلطة الجليلة في خدمة العلم والدين والادب

منها تدريس العربية مدة سبع سنوات لاخوته الرهبان المختارين للكهنوت المقدس في ديري غوسطا وكفيفان . ومنها القاء رياضات روحية في بعض الاديار والقرى. ومنها ادارة مدرسة بئر لُهيت والتدريس فيها سنة. ومنها تدريس العربية في حيفا ودير القمر تسعة اعوام .

ثم أسندت اليه رئاسة دير المخلص في بخنّين من سنة ١٩١٣ الى سنة ١٩٢١ . ثم رئاسة دير مار انطونيوس بيافا (فلسطين) من سنة ١٩٢١ فلم يقم فيها الا سنة واحدة ناله في اثنائها من اوجاع المعدة والامعاء ما يقصر عن بيانه القلم واللسان . واستعصى المرض على الطب واستنزف كل قوة البدن وألبسه نحولاً مخيفاً وظل المترجم رغم ذلك على نشاطه العقلي والروحي مواظباً على الوعظ والتعليم والقاء المحاضرات في مدارس المدينة والتدريب على التمثيل في المسارح وخطب التأبين في المآتم ومراسلات الصحف بالمقالات على عادته الى ان بلغ منه الضعف كل مبلغ وأحسّ بدنو الأجل فنظم قصيدته التوديعية التي مطلعها :

نحو لبنان المفدّى يا حمام طرْ وأقرئْ اهلَه مني السلام

ومنها :

فاذا طرت الى دير القمر منبت الآساد في مرج الرئام
حيّ اخوان الصفاء والوفاء بتحيّـــات المحبّ المستهام
واذا أدمع أمي انسكبت وشكت في قلبها وقع السهام
عزّهـــا انّا قريباً نلتقي عند أم اللهْ في دار السلام

ومنها :

انتَ باب السعد مجلى النور لي منقذي من كل ظلم وانتقام
غرّدي يا نفسُ فزتِ بالمنى هوذا قد حان ان تُطوى الخيام
خطوةٌ ايضاً وانتِ في الحمى دفعةٌ يا موت ايضاً للامام

وعاده الدكتور جورج كورني رئيس اطباء المستشفى الفرنسي الذي تولّى علاجه طيلة تسعة اشهر فلم ترضه حاله فاشار عليه بل اوجب عليه ان يعجّل قافلاً الى لبنان ويصطاف متنقلاً في جباله والا فلا رجاء له في الحياة فانتصح بنصيحة الطبيب وقفل راجعاً الى وطنه المحبوب.

ثم قلد رئاسة دير القديسة تقلا في وادي شحرور من ١٩٢٩ الى ١٩٣٢ . فرئاسة دير المخلص في البرامية اولاً من سنة ١٩٣٢ الى ١٩٣٨ . ثم من ايار ١٩٤٤ الى ١٩٥٠ ثم تجديداً من ٢١ تشرين الاول سنة ١٩٥٠ .

٥

في شهر آذار سنة ١٩٢١ صار تكريس لبنان للقلب الاقدس فاقترح حضرة الاب مدير نشرة قلب يسوع في كلية القديس يوسف ببيروت على الكتبة انشاء مسابقتين موضوع احداهما « لبنان والقلب الاقدس » والأخرى « رواية دينية او ادبية لا تتجاوز عشر صفحات » ورتّب للمجلّي في الموضوع الاول جائزة قيمتها ١٢ ليرة لبنانية او نسخة من الكتاب المقدس بديعة التجليد . وفي الموضوع الآخر ٤ ليرات لبنانية . فكان السبق فيهما للاب مبارك ثابت فاكتفى بالكتاب المقدس وتخلّى عن قيمة الجائزة الثانية للنشراء . أعلنت نتيجة المسابقتين في اول حزيران سنة ١٩٢١ .

سليم حبيب السويدي لبناني من قرية عارَي بقرب جزين مهاجر في البرازيل عرض في جريدة الارزة لغزاً في المرآة نظمه بالشعر العامي في آب سنة ١٩٢٣ طالباً حلّه مرتّباً عليه جائزة ارسال اعداد الارزة في سنة كاملة . فحلّه الاب مبارك ثابت وعالج حلّه آخرون فلم يهتدوا ونشرت الحلول في « الارزة » فكتبت السيدة اليس شمعة في ذات الجريدة تعرّض بهم قالت :

لغزك جانا من المهجر اليزبك ما قدر فسّرْ
والشدياق مثلو كان الغريّب صار يتحذّر

٥

ما بينفع كتر التحذير والكتسابة والتحرير
المرايه ما بدها تفسير وقاف قدّاما بتتذكّر

٥

سجّنجل إسما الاصلي أوعا تقول اصلي وفصلي
بلغتنا ما لها اصلي إقرا القاموس وتفكّر

٥

يونا ثابت يا مبارك مين بدو يشق غبارك
حلّيت اللغز قوام من الاول انت مبارك

في ١ ايلول سنة ١٩٢٣

ثم ان صاحب اللغز بعد وقوفه على حلول الأدباء سلّم الى « الارزة » منظومته الزجلية الآتية نشرتها في العدد ٣٨٦ في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٩٢٣ بعنوان : « جائزة حل اللغز » يناظا حضرة الاب المتفضال مبارك ثابت الديراني قال :

تحفة اتتني بعـــد استنظارها عن بعد شاسع من وراء بحارها
تناولتهـــا وبالفخر استقبلتها وشكرت مرسلها ومنه قبلتها
ومن اسمهـــا عرفت منها شعارها
تناولتها وبالفخر استقبلتهـــا وشكرت مرسلها ومنه قبلتها
والحقيقـــة بوصفها قد قلتها انها « الارزه » وشهرتها غدت
تزداد بين اصحابها وانصارها
انها الارزه وشهرتها غدت تنمو واثواب البلاغة ارتدت
شكري لهامز دوج عمّا اوردت في حقولها من نظم اهل الاختبار
في الخصيصه وحلّهم اسرارها
في حقولها من نظم اهل الاختبار في الخصيصه وبرهنوا عن اقتدار
وبحيث صار الحل قيد الانتشار والخصيصه هي السجنجل ذاتها
احوجتني الحال الى اشهارها
والخصيصه هي السجنجل ذاتها والاب ثابت قد شرح حالاتها
اكتفي بتفسيره حلاتهـــا واهديه اعداد الجريدة عن رضا
واشكر نوابغ أمتي واحرارها
واهديه اعداد الجريده عن رضا مثلما وعدي سبق في ما مضى
وان جازاني اختصر قلت اقتضى تقديم شكري للذين قد فكّروا
في حل ألغازي وفي اظهارها
تقديم شكري للذين قد فكّروا واستحسنوا نظمي ومني تشكّروا
واسألهم بالله ان يتذكّروا ان المهاجر اين ما حلّ وقطن
يفتخر بامته وبكبارهـــا
ان المهاجر اين ما حلّ وقطن يفتخر بامتو ركن الوطن
ويفتخر برجالهـــا اهل القطن لانه منهم ويرغب للابد
ان يشيّد اسمها وآثارها

الامضاء

سليم حبيب السويدي

كيف تعلّم السريانية

دخل الاب ثابت دير الابتداء وهو لا يعرف القراءة السريانية ولا حروفها الهجائية فصُرّف في الخدمة الديرية . فتوسل الى احد الاخوة المبتدئين ليعلمه حروف التهجئة فتعلمها واخذ يقابلها بالفاظ كتاب القراءة السريانية فلم يمضِ شهر حتى صار يُحسن القراءة فوقف في القرّاية مع المصلين يصلي معهم. وسأله الرئيس عن ذلك فاخبره . فشجّعه واعطاه شحيمةً من مطبعة دير قزحيا واذن له بان يدرس كلما سنحت فرصة في الليل او في النهار .

ومن خلاله الكتابية الجديدة بالذكر انه اذا قبض القلم أحكم ضبط افكاره في موضوع الانشاء متصرفاً اليه بكل مشاعره فلا يؤثر عليه ولا يشوّش تفكيره ما يتفق ان يكون بقرب مكتبه من احاديث وقصّ روايات وضجّ وقهقهة حتى يتبع له احياناً ان لا ينتبه لصوت جرس الكنيسة فيسأل بعد ذلك لماذا لم يُقرع الجرس وقد فاتت ساعته .

ومنها انه يكتب بضع ساعات على التتالي ولا يأخذه تعب ولا ملل . وادنى عدد لساعاته الكتابية عشر ساعات في اليوم . واذ يشتدّ عليه ألم المعدة يعالجه بصرف الانتباه اليه فيعمد الى القلم يكتب وعلى معدته كيس ماء حارّ لتخفيف الألم . وقد رُئيَ مرات يكتب وهو في سفر على ظهر دابة في مسالك موعرة في الجبال .

استعاض عما فاته من استكمال الدروس في المعاهد بكده ونشاطه وضنّه بالوقت واحيائه الليالي في التبحّر والتنقيب والتمرّس. واكثر ما تُكسب المهن بالمزاولة . فيصح في الاب ثابت انه ابن نفسه . وله ان يقول :

نفسُ عصامٍ سوّدت عصاما وعلّمته الكرّ والاقداما

الاب مبارك ثابت الديراني

الراهب اللبناني

١٨٧٥ – ١٩٦٤

٦٥٠

منتجات

قلم المغفور له الاب مبارك ثابت الديراني الراهب اللبناني

جدول الاسفار المطبوعة

١	تسبير بواعث التعبية (الفرض الكيسوتي الماروني)	نقلاً من السريانية الى العربية مطبوعة على الجلاتين في مدرسة دير سيدة سبيه – غوسطا – في ٢٥ حزيران سنة ١٩٠٧ ٥١ صفحة
٢	رواية التقديسين مولا وانطونيوس	تأليف – شعرية – تمثيلية .
٣	المسيح في الدين المسيحي	تعريب عن الفرنسية – طبع حجرية ، بمطبعة الارزي ١٧٥ صفحة .
٤	الادب الرهباني والعالمي	تأليف باسلوب شائق وشامل . بمطبعة الاجتهاد ، بيروت سنة ١٩٢٠ ، في ٣٨٤ صفحة بقطع كبير .
٥	نبذة من كتاب دستور الرؤساء	تعريب في ٩٩ صفحة.
٦	كتاب التأملات اليومية في الحقائق المسيحية والاكليريكية	خمسة مجلدات في كل مجلد ٣٠٠ صفحة – تعريب بتصرف(١) .
٧	كتاب المباركيات	مجموع مقالات – تأليف – بمطبعة الاجتهاد في بيروت سنة ١٩٢٢ في ١٥١ صفحة .
٨	تعليم التقوى للاولاد	تعريب في ٢١٠ صفحة . مطبعة الاجتهاد بيروت سنة ١٩٢١
٩	رديد العقل المستقيم	تعريب .
١٠	الفسير	تأليف .
١١	مجموع اللآلي	تعريب عن الاصل السرياني نظماً ونثراً (الأصل مخطوطات قديمة لاكابر الكنيسة السريان) في ٤٨ صفحة بقطع كبير – مطبعة الارز جونيه .
١٢	اقطع البراهين في صحة حقائق الدين	تعريب بتصرف واسع – المطبعة الكاثوليكية – بيروت سنة ١٩٢٥ في ٣٦٠ صفحة .

(١) المجلد الثاني طبع في سنة ١٩٢٢ بمطبعة الاجتهاد في بيروت في ٣٠٦ صفحات . المجلد الرابع طبع بمطبعة الرهبانية اللبنانية في بيروت سنة ١٩٦١ في ٣٣٥ صفحة . المجلد الخامس والاخير طبع بمطبعة حيا في بيروت سنة ١٩٦٠ في ٣٣١ صفحة .

١٣	ترجمة راهبين الاب نعمة‌الله الكفري والاب اسطفان الكسليكي	تأليف بيروت، مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٣ في ١٦ صفحة .
١٤	مئويات الوطن	محاضرة – تأليف .
١٥	اسبعة اسمائي	تأليف .
١٦	سنة في المطهر	تأليف
١٧	السر الحسن في اسعاد الوطن	تأليف في ٢٠٠ صفحة
١٨	رواية الرحال الوافد	تعريب بتصرف – المطبعة الكاثوليكية .
١٩	رواية دير رخلي	تعريب بتصرف – انشاء رائع .
٢٠	رواية كهف الراهبة	تأليف – دست الطائرة في سباق .
٢١	رواية قديس الكنيسة	تأليف – المطبعة الكاثوليكية
٢٢	رواية عذريت الدمعات	تأليف – سنة الكاثوليكية
٢٣	رواية غي مار حرمس	تأليف – مطبعة الكاثوليكية
٢٤	رواية الامير بشير في دير سير	تأليف – المطبعة الكاثوليكية
٢٥	رواية حربة السيوط	تعريب .
٢٦	رواية الأم الذئبة	تأليف – مطبعة الاجتهاد في بيروت سنة ١٩٢٤ في ٦٤ صفحة .
٢٧	رواية تبسمة ابن البكاء	تعريب بتصرف .
٢٨	رواية الغدر والوفاء	تعريب – بيروت – المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٣٢ في ١٢٨ صفحة .
٢٩	رواية كريمة اللبنانية في حوران	تأليف – تمثيلية .
٣٠	رواية من منهما اشقى	تعريب – تمثيلية .
٣١	كتاب قوة ومور تتمة تقلا في وادي شحرور	تأليف – ترجمة التتمة وذكر القوات الموضوعة بشفاعتها .
٣٢	بقية كتب من تأليف وتعريب طبعت باسماء تحرير	في مقامها الجليل بالوادي .
٣٣	رواية الأميرة حيفاء وفخر الدين » «	تأليف نشرت في مجلة « المشرق » تباعاً ثم جمعت على حدة .
٣٤	رواية مارينوس راهب دير قنوبين	نشرت في مجلة المشرق » « ثم جمعت على حدة .
٣٥	الخمر	محاضرة – المطبعة الكاثوليكية – بيروت سنة ١٩٥٣ في ٢١ صفحة بقطع كبير .

جدول الكتب المزضوعة

بقلم الاب مبارك ثابت اللبناني

وهي مخطوطات لم تُعرض بعد على المطبعة

١	حل « مسائل كشف الحجاب في علم الحساب »	تأليف (في عبد الطفولة) سنة ١٨٨٠
٢	كتاب صلوات (مجاز من السلطة العثمانية)	تأليف .
٣	مؤخر تاريخ الرومانيين (للمدارس)	تعريب .
٤	الشر وكمالات الله	تعريب .
٥	كتاب « اتحامات عن الدين المسيحي » من اقوال الاكثرة	تعريب .
٦	الدين عند الشعوب المعرقة في الحداوة	تعريب .
٧	النابغة السماني	(خطاب في حفلة التمثال) تأليف .
٨	رواية الملك آمان	تأليف — مسرحية .
٩	رواية طاعة ابراهيم	تأليف — مسرحية
١٠	رواية القديسة تقلا أولى الشهيدات	تأليف — مسرحية .
١١	رواية ما حك جلدك مثل ظفرك	تأليف — مسرحية .
١٢	رواية المصور	تأليف — مسرحية .
١٣	رواية هند الغسانية	تأليف — مسرحية مفقودة .
١٤	رواية القديس ربشا (الكسيس)	تعريب — مسرحية .
١٥	رواية القديس اسطفانوس الشهيد	تأليف — مسرحية .
١٦	رواية العفاف	تأليف — مسرحية .
١٧	رواية (سوسنة الاسرائيلية)	تأليف — مسرحية .
١٨	رواية (عبرة)	تأليف — مسرحية — هزلية .
١٩	رواية (ابو سلوم)	تأليف — مسرحية — هزلية .
٢٠	رواية الحماة والكنة	تأليف — مسرحية — هزلية .
٢١	رواية الشهيدة ماريا غورتي (المملة قدامها حديثاً)	تأليف — مسرحية .
٢٢	رواية شاول الاسرائيلي (اهتداه الى الدين المسيحي)	تأليف — مسرحية — خيالية .
٢٣	رواية (آلام السيد المسيح)	تأليف — مسرحية .
٢٤	رواية (عفة السيدة العذراء القديسة)	تأليف — مسرحية .
٢٥	رواية النبي ايليا التشبيي	تأليف — مسرحية .
٢٦	رواية (مهد الكنيسة) .	تأليف — مسرحية .
٢٧	رواية السامري الرحوم	تأليف — مسرحية .
٢٨	رواية (مخلع الانجيل)	تأليف — مسرحية .
٢٩	رواية (العشرة البرص)	تأليف — مسرحية .
٣٠	رواية (الوزنات الانجيلية)	تأليف — مسرحية .
٣١	رواية (مارينوس راهب قنوبين) (هو مارينا التي ترهبت باسم مارينوس	تأليف — مسرحية .
٣٢	رواية (للعذارى للشر)	تأليف — مسرحية .

٣٣ مقالات ورسائل ومباحث ونبذات متنوعة المواضيع محررة في اثني عشر مجلداً ضخماً بجانب ما ذكرناه في هذا الجدول .
٣٤ ثلاثة مجلدات مواعظ من تأليف وتعريب ألفي الكثير منها في شتى المناسبات وهي محفوظة كمذكرات يستعان بها على الوعظ والتأبين .
٣٥ مجلد واقع في ٣٦٠ صفحة مكتوبة بعنوان : (مذكرات الاب مبارك ثابت من كل واد عصا) .

من آثار قلم الاب مبارك ثابت

رأينا ان نذيّل كلمتنا هذه في الاب مبارك ثابت بضمة من آثار قلمه اي بعض رسائله الى الاب انطونيوس شبلي وهي صفحة بيانية رائعة تنمّ عن نفس كبيرة موسومة بطابع الدين والتقوى وعن ارجٍ وعبير وعمق في التفكير ورشاقة في التعبير . وها اننا ننشر منها اربعاً وثلاثين رسالة .

١

ابت الجليل العزيز انطونيوس شبلي اللبناني الجزيل الاحترام

قبل ان آخذ في « الترجومة » على حسب العادة في تدبيج رسائل التهنئة وما الى ذلك . استغفرك ابطاني عليك في إبلاغي الشكر لك لما اوليتني من الفرح والمعروف بالمراسلة المحبوبة اللطيفة في اعياد هذه السنة وما سبقها ممّا يزيدني ايقاناً بصدق مودتك الغالية ومحبتك الاخوية البالغة . لا غرو فانك مقيم في قلبي وعالم بما يكنّه لك من حب وتقدير يكبران وينميان على العمر ولا يحولان ولا يزولان ولا يقوى على ايهانهما وايقافهما شيء من عوامل الايهان والايقاف الا العامل الذي لا يمكن دفعه مفارقة الروح للجسد .

فثق ايها العزيز باني لك من اوفى الاخوة والاصدقاء ما دمت في قيد الحياة ولن يبرح قلبي يتبض بحبك وان نال من قلمي العجز احياناً عن تكوين الكلم وتقويم السطور ابداءً لما يستقرّ في الخاطر وتنطوي عليه الضلوع . ان لي بك وبقلمك وولائك ووفائك واخلاقك لفخراً عظيماً .

والآن ابادلك التهنئة بالاعياد المباركة التي اجتازت بنا صاحبةً اذيال البركة والحياة بنعمة صاحبها جلالة الملك الاعلى الجالس على العرش الازلي فوق كل ذي سلطان في اعالي السماوات وله تجثو كل ركبة مما في السماء وعلى الارض وفي اعماق الجحيم . اياه اسأل ان يزيدك فضلاً وفضيلةً وهناءً وخلوّ بالٍ

وصحةً وافيةً ونفعاً بعلمك وغيرتك الكهنوتية وسعيك المجاهد لخدمة الدين والبر والوطن مع العمر المديد والعيش الحميد .

تسألني عن صحتي واحوالي وعمّا اذا كانت الشيخوخة هي التي جعلتني اطلق القلم لانك ما عدتَ سمعت له صريرًا على ورق . فاعلم ايها الحبيب ان الشيخوخة منفردةً ما قدرت بعد على ان تنزعني صاحباً تعشقته منذ الصغر الى حد الهوس طول الايام ولم اوثر عليه صديقاً ولا سميرًا ولا جليساً ولا انيساً ولا لقيت منه مرةً الا التعزية وجلاء الغمّ والهمّ ونسيان كل ما يساور العقل والقلب من شؤون يقارنها شجون . بل اجد من نصيبي في عهد الشيخوخة ولعاً بالقلم لا قِبَل لي بالحد منه لو اردت . فباب الشكاية منها مقفل اني ابرم لا فُتَسح . انما يكرهني على القائه الى حين تعاطم الاوجاع تأثر عليّ وتعقد المخالفات وتكالبني مواتيةً من المعدة والامعاء والكلية والكبد لكنها لا تعبي حتى ينتبي زحفها الى القلب فيتمثل لي شبح الموت ولا تبقى فيّ روح ولا انامل تقوى على ضبط القلم . لذلك لم اعد اركضه الا في مجالات ضيّقة على قدر ما يتاح لي من هدوء الاوجاع . لست على ذلك بطّالا بل اشغالي اكثر من وقتي وقوتي : تهذيب مخطوطات وانشاء روايات ونسخ ما احذّبه من محسوخات الى ما يتخلل ذلك من اشغال والحورنية الخ .

ترجمة التذييلة تثقلا لم اعزم بعد على اخراجها بالطبع لما بي من تردد فاذا قيّض لي لقاؤك فسننظر في امرها معاً[1] .

مسودات التأملات اليومية التي عثرتَ عليها بين كتبي واوراقي في مدرستنا في بيروت ارغب اليك ان تحفظها لي وكذلك سائر المخطوطات سواء انشرت بالطبع أم لم تنشر ولا سيما اذا كان فيها احد الجزئين غير المطبوعين[2] لكن الغالب على ظني ان المجلدين الرابع والخامس من الكتاب لا يزالان عند حضرة الاب يوحنا (خليفه) مدير فقيدتنا العزيزة « الميناء » بدليل انه اخرج من احدهما بعض المقاطع في « الميناء » عهد حياتها .

ومن نكد الطالع اني اردت ان استردها إبّان الرياضة في دير سيدة المعونات (جبيل) فلم اظفر بلقياه وكان وقتي أضيق من ان أتبعه الى ميفوق وحوب . وسأكتب له ولقدس الاب العام الكلي الاحترام . فاتّى لي غرق الكتابين حتى في (« الميناء » فما حيلتي وقليل الحظ لم يُلَم .

---

(١) طبعت .

(٢) ان الجزئين اللذين يشير اليهما هما الرابع والخامس من التأملات اليومية وقد طبعا بعدئذ.

لك الشكر على ما تفضلت به من تعزيتي بالمرحومة شقيقتي . لا رُزئت بمحبوب ! ان تعزيتي الراهنة ببنائك لي اخاً وفياً أرأف بي واعطف عليّ واعز عليّ . وباعتقادي ان روحها الطاهرة المتمتعة اليوم بالحظوة لدى خالقها المثيب لا تنفك تشفع فيّ وفي احبائي ما دمت الى شفاعتها باحتياج .

ان اشتياقي اليك غير خفي عنك فلا تصرم حبل التراسل . رزقت لقاءك .

عن البرامية — في ٢١ كانون الثاني سنة ١٩٥٠

اخوك

القس مبارك ثابت

لبناني

٢

ابت العزيز انطونيوس شبلي اللبناني الجزيل الاحترام

قبلة محبة واشتياق وسلام .

اني مرسل اليك رواية « الاميرة هيفاء » منسوخة عن مسودة شبه مبيضة كانت لديّ بخط واضح على قدر ما وُفّقت اليه من مطاوعة الانامل وقوة النظر وضبط الافكار وصقالة الورق وجودة الحبر وحكمي في ذلك كله انه دون ما يُتوقّع من تمام ورواء . ما أصنع برأسي شاخ وهَرِم وذهن جاوره الذهول والنسيان وفكر يكاد لا يضبط على صفحة وربما على سطر حتى يصطدم بمحدّث او لاهٍ او قصّاص او طالب حاجة مما تقتضيه خدمة الرعية ولياقة الصداقة وواجبات الكنيسة واشغال الدير حتى المكنسة والقدر والموقدة والصحون لذلك لزم ما تراه من تغاير في شكل الورق وقطعه ومن ضرب وشحط على بعض الكلم او الجمل ومن كتابة على الهامش ومن ومن ... ولزم في الاكثر ان تكلّف نفسك المحبة بقراءة الرواية برويّة وإمعان حتى اذا وقع نظرك الواعي على عثرة في المباني او المعاني او على ركاكة او سهو تسد الخلل بسداد رأيك واصابة نظرك وبراعة قلمك تحصيناً لمواطن النقد والتنديد فانت الكفيل بقلم اخيك كما باخيك .

هدفي من وضع الرواية لا تمتيع القراء باحداث روائية فحسب بل في الاخص ايقافهم على تاريخ الامراء المعنيين ولا سيما ابعدهم شهرة فخر الدين الثاني الملقب بالكبير وعلى احوال السياسة بلبنان في عهده المجيد . فاستيفاء للغرض لم اجد مندوحة لتحامي الاطناب في المتن والتذييل بالحواشي . فان كان كذلك ما يُستغنى عنه او ما يُجلب الملل ، فلك ملء الحرية في الحذف

والاضافة والتغيير والتبديل والتنقية وملّح التافه حتى يصير مصلحاً على ذوقك السليم[1].

اذا لم يتيسر نشرها بالطبع فلا فضلك ضائع ولا تعبي فان التقصد جدير بالشكر وان خانه الفلاح. لكنني اسألك الاحتفاظ بالنسخة على ما عودتني من فضلك وغيرتك بغير سوأل. وان كان لك شيء من الوقت فكلمة للاخشاد اليك الى متى لا يفارق الشوق قلبه والثناء لسانه.

عن البراميه — ٨ ايار سنة ١٩٥١

اخيك الى المنتهى
القس مبارك تابت
لبناني

٣

أبتِ العزيز انطونيوس شبلي اللبناني الوافر الاحترام

منذ ان انتهى اليّ كتابك الصادر في ١٤ تموز بدرتُ الى تنظيم جدول لاسماء كتبي المطبوعة وآخر لمؤلفاتي المخطوطة التي لم تبرح ابواب الطبع موصدةً في وجهها. لكنها محفوظة في مأمن من التلف وكلا الجدولين مقرون بهذه الرسالة ليتشرف بنظرك الكريم اسوةً بنبذة موجزة في ترجمتي على حسب ما أردت. ولم أغفل تسمية الجرائد والمجلات التي تكرّمت بنشر مقالاتي ان في الوطن او في المهجر واكثرهن فضلاً عليّ جريدة «البشير» التي نشرت لي ما عدا المقالات الضافية عدداً كبيراً من الروايات الاخبارية ثم أخرجتها كتباً للمطالعة كرواية الرجل الواقف؛ ودَين محلّي؛ وكهوف البراهمة؛ ونزهة الثراء؛ والغدر والوفاء الخ... وكتاب ردود العقل المستقيم؛ وكتاب «اقطع البراهين في صحّة حقائق الدين» وعدد صفحاته ٣٦٠ صفحة. وربما كتبت قليلاً في مجلة «المشرق» لكن ذلك غائب عن ذهني فلم اخص المشرق في اعداد الصحف التي راسلت[2].

(١) بقيت هذه الرواية البديعة كما صدرت من قلم مؤلفها البارع بحثالة في مطارفها، لا تغيير فيها ولا تبديل. نسخها الاب شبلي بخط واضح ووقف على طبعها في مجلة «المشرق» ثم جمعت على حدة.

(٢) اضفنا مجلة «المشرق» الى الصحف والمجلات التي راسلها. وله بحث فيها في اصل حروف القسم وياء المتكلم واللام الجارة (المشرق ٤: ٢٨). ونشرنا له فيها رواية ماريتوس راهب قنوبين ورواية الاميرة حيفاء وفخر الدين كما ذكرنا. واضفنا ايضاً الى المجلات التي راسلها مجلة «الورود» وله فيها قصة واقعية رواية معتبقية جميلة.

رواية « الاميرة هيفاء وفخر الدين » ألوم نفسي لقلة اكتراثي لأمر الصراحة في كتابتها فقد خفت التعب عن نفسي واوجبته عليك وكنت انا الأولى بحمله فاغتفر لي هذا التثقيل الذي لم اتعمده ولم انتبه لمغبته . على ان المحبة تستخف الثقل والمنّة تعظم على قدر تكاليفها ...

سعيك الحثيث لتقليدي وسام المعارف لا يزيدني اقتناعاً بصدق محبتك اجتباة واستزارها فاني على يقين من انك تحبني اكثر مما احب نفسي لا اقول اكثر مما احبك لئلا اخون قلبي وشعوري : بل اقول ان محبتك افعل من محبتي لانك اعظم جرأةً وأشد أقداماً وانفذ كلاماً واكثر معارف واصدقاء وأزيد اتصالاً واندماجاً بالرجال وابرع حيلةً في استمالة النفوس واستلال الاغراض من مطاوي الصدور . ولذلك انت انفع لي مني لك . وان تساوينا محبة واستمكاناً في عهود الاخاء والولاء والوفاء . فسيبقى لك الفضل على اخيك مدى العمر . وابقى مستعداً لخدمتك في ما تحبه واستطيعه .

ثق ان الوسام الذي تسعى له لن يكون ، اذا حصل ، الا فضلةً في نظري بالاضافة الى الوسام المجيد اللامع الذي تعلقه بصدري وذهني ويزداد لمعاناً على الايام وتتجدد حفلة اقراحه كلما خطرت في بالي وانت فيه حاضر كل حين : ألا وهو وسام محبتك الكاملة التي لم أرَ لها مثلاً في النقاوة والحرارة والفاعلية في مَن آخيت وصادقت وخدمت مسافة الحياة : هذا هو الوسام الذي افتخر به وأسبل منه حجاباً على صداقات ماكرة ممارية عائبة متلونة كالحرباء روّاغة كالثعالب . وآمن من جوارها جوار العقارب[1] .

ابقاك الله مثالاً للاخوّة البارة والصداقة الراسخة والمروءة الكاملة وزاد في فضيلتك وفضلك وادبك وسخاء نفسك بالمعروف . ولا كنت الا لامعاً محبوباً غنياً بخفة الروح ورزانة الحصاة وبعد الصيت . لا قدرة لي على مكافأتك ولا اشتهي ان تحصل لي القدرة ليبقى لك الفضل ديناً على اخيك وتكون المكافأة من شهادة ضميرك ومن الله تعالى الذي لا يضيع عنده العرف وجزاؤه اعظم واوفى وأبقى على قدر عدله وكرمه .

وقلتَ في كلامك عن نشر « الاميرة هيفاء وفخر الدين » انك فضّلت المشرق على الورود لاجل هذا السبب : وقلت : « فكأنني فضّلتكم على نفسي » فلو قلتَ : « انني » مكان « كأنني » لمّا كنتَ مخطئاً ، لان المحبة

---

(١) ينبغي للعاقل ان يتخير الناس لمودته كما يتخير الاراضي الزاكية لزرعه . (افلاطون) .

لا تطلب ما لها بل ما للمحبوب . فلله ما أكلها وما اعظمها متى انتهت الى هذه المنزلة من الايثار والبذل والسخاء .

ثقتي بك اكبر من ثقتي بنفسي فكل مكتوباتي وانا نفسي قيد نظرك وحكمك . فاحذف وأضف وغيّر وبدّل على ما يحسن في ذوقك السليم . وها قد جعلت بين يديك مادةً كافيةً لانشاء تأبين لي بعد الوفاة . اطال الله عمرك وانعش روحي بطيب نسمات يراعك الناعمة حياً وميتاً .

في الختام تعانق قلبينا المتوائمين وتقبيلة حارة في جبينك العالي من

اخيك

مبارك ثابت

لبناني

عن البرامية في ٣٠ تموز سنة ١٩٥١

صح الحلم وانعمت الحكومة اللبنانية على الاب مبارك ثابت بوسام المعارف من الدرجة الاولى لانصرافه الى التعليم والتأليف . فأقيمت له حفلة ادبية تكريمية في ديرنا الروح القدس في الكسليك صربا بعد ظهر الاحد الواقع في الرابع من تشرين الثاني سنة ١٩٥١ تكلم فيها الخطباء الدكتور وليم نعمه والاستاذ ميشال الجاهل والاستاذ كرم ملحم كرم وكلهم من تلامذة الاب المحتفى به. ثم تكلم الوزير اميل لحود واناط الوسام بصدر الاب ثابت الذي القى في الختام خطاباً رائعاً . ووزع على الحضور كراساً مطبوعاً يتضمن اسماء مؤلفاته .

٤

ابت الحبيب انطونيوس شبلي اللبناني الوافر الاحترام

بارك الله قلمك وزاده خصباً ودماغك وزاده فيض افكار رائقة وشائقة .

تسلمت كتابك الصادر بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني حاملاً اليّ من اخبار سلامتك وتفاصيل سيرك المبارك ناشرًا اشعة الارشاد والهداية[1] منتقلاً من برج الى برج واعدًا ان تحل في برج البرامية تطبياً لنفس اخيك الثائقة الى لقائك في اي برج احلّ شخصك المحبوب المضيء . فشكرًا لك على ما تمتعني به من لذات حبك وبراعة قلمك وظرفك المشوّق واديك الجمّ ؛ وشكرًا لله الذي جمّلك بصفاء النفس وعلوّ الخلق ورقة العاطفة ووهبني اياك اخاً وصديقاً وشدني اليه بامتن روابط المحبة والاخاء .

(١) كنت الّفي الرياضات الروحية في قرى ابرشية بيروت منتقلاً من قرية الى أخرى .

ان البيت الخامس من قصيدة « نحو لبنان المفدّى يا حمام » الذي اتاك صدواً بلا عجز لا اسمّي نقصانه سيوًا وان كانه لان فيه الاشارة الى ان حظك من اخيك وانك صدر في صدره وفي اعتباره واعتقاده وعلى بقائك في هذه المنزلة ابعث اليك بالشطر المنقود كله او بعضه وهو هذا : « يندبوا روحاً على الميثاق قام » وان شئتَ : « يعرفوا » مكان « يندبوا » فاكتب ما تشاء .

واما البيت المبدوء « بحيث لا بغضٌ » فوضعك فيه افضل من وضعي لقولك :

« حيث لا مَيْنٌ ولا مكرٌ ولا حسدٌ لا بغضة لا انقسام »

غير ان القول : ولا انقسام . لا احلال فيه بالوزن ولا بالمعنى[1] .

ان قدس الاب العام السامي الاحترام كتب لي انه في التاسع من الشهر الحالي تباشر رياضة روحية لرؤساء الاديار في دير سيدة المعونات ويرغب اليّ الا اتخلّف عن حضورها فتلبيةً لرغبته ساتوجه الى الدير المذكور في مبتدإ الاسبوع القادم فعسى ان يسعدني الحظ بلقائك ساعةً هناك .

وان قدس الآباتي اغناطيوس داغر التنوري قد تلطّف ووجّه اليّ مكتوب تهنئة بالوسام وذيّله بما حرفيته : « بلّغوا تمنياتي القلبية وتشكراتي الاخوية لحضرة اخيكم الحبيب الاب انطونيوس شبلي المخلص لكم ولنا »[2] .

الا بماذا اكافئ هذا الاخ الحبيب المخلص لي ولقدس الآباتي القديس ابضمّة الى صدر اخيه ومحبه المخلص .

الاب مبارك ثابت
لبناني

عن البرامية — في ٥ كانون الاول سنة ١٩٥١

٥

ابت العزيز فوق كل عزيز انطونيوس شبلي اللبناني الوافر الاحترام

لا تحسب حبس المكاتبة من شهر او يزيد نسياً او تهاوناً او اغفالاً . فانت في الذهن وفي القلب وفي الروح في المكان الارفع . استجزت وقف القلم هذه المدة الطويلة لثلاثة : اولها الطمع في حلمك ، وثانيها تعليل النفس بقدومك استناداً الى وعدك ، وثالثها اشتغالي بمناجزة كرب ألمّ في شديد الوطأة تناصته

(١) ان القصيدة المذكورة هي للاب ثابت .
(٢) كتب الاب شبلي الى قدس الآباتي داغر يعلمه بحصول الاب ثابت على وسام المعارف فأنفذ اليه رسالة تهنئة .

والاخ الياس رفيقي ومعاوني الاوحد في الدير . فكان نصيبي أنا مبرّحاً وملازماً في المعدة والقلب والصدر بكامله . ما خلا الرئتين . كأن في قفص الصدر خياطاً يدرز في اللحم والاعصاب بالة ذات مئات من الابر لا يناله تعب ولا يأخذه ملل ولا نوم ولا وفيّ من ٢٥ كانون الثاني الى ٢٥ شباط تخللها فترات راحة وسكون بضع ساعات في اليوم . ولم يقرّ رأي الطبيب على ماهية العلة وموضعها الا ما كان من قبيل الظن المترجرج انها هي القرحة وفي المعدة ، وهو في نظري وشعوري رأي مخطئ لان مثل ذلك الألم عُرِفته منذ عشرات السنين . يلذه النزول ضيفاً عليّ كل سنتين او ثلاث فلو كان قرحةً لانكشف أمره ولا سيما بالتصوير مرات . ارى ان حكمي فيه اصحّ وهو ان يكون اثرًا لظلطاري تقادم عهده الى عسر هضم بثيران المجموع العصبي ويرسلان ريحاً في الاعصاب لا تملك دفعها ولا تطيق عصفها فلا تذوق طعم الراحة حتى ينقطع مهب تلك الريح بعد مناجزة ناهكة .

وها انا اليوم بقوة الله وفضل العلاجات والمسكّنات وذهاب شباط بعد يأسه من الغنيمة قد عدت الى مقعدي لدى المكتب في سبيل التجريب واستعدت القلم فكانت اولى جولاته جبهة الحبيب .

اما الاخ الياس فكان نصيبه اوفى . سئمت صحته جورَه عليها وازدراءه بها بما كلفها من حمل القهوة والتدخين ما لا تطيق :

ولا يقيم على ضيم ألمّ به الا الأذلان عيرُ الحيّ والوتد

والسيدة الصحة ليست من قبيلة الاذلّين فحردت وحرنت ثم نفرت وألقت حملها والجلال معاً واوسعت في فلوات الهجر بعد ان اوسعته رفساً ووثباً ونهشاً وعركاً وخلّته واهن القوة ضيّق الصدر عميق السعال متورّم الساقين (وما بينهما) من اسفل البطن الى اطراف القدمين فقط ! استدعينا له الطبيب فوجد عنده تنفخاً في القلب وزلالا في الفضلة الرقيقة وتعبا في الرئتين بقية نزلة ذات الرئة كادت تقربه من تخوم الاجل في السنة الماضية لولا التنطس في علاجه والتحصّن بالحمية من ثلاثة اعداء مواثبين : البن والتبغ والبطنة . فجاء حكم الطبيب هذه المرة ان الوعكة قاسية والخطر قريب والشفاء لا يحصل الا بملازمته السرير لا ينزل عنه ولا لقضاء اية حاجة طبيعية ، مع تناول العلاجات المتنوعة الى طلاق القهوة والسيغارة . الاولى الى زمن والثانية على وجه التأبيد ، وقصر الغذاء على الحليب والفواكه وقليل من الخضر المسلوقة الى ان يتمّ له الشفاء .

أقعده الداء المثلّث او المربّع منذ ٢٧ كانون الثاني وليس لخدمته سواي

وكلانا ضعيف فكانت خدمتي له مسافة اسبوعين مرضاً لي على مرضي . لكنه نهض من كبوته منذ اسبوعين واصبح عن خدمتي بغنيً . ومنذ اسبوع فقط استأنف اعماله في الدير لا كلها بل الهيّن منها . فنُفّس عني والحمد لله . وريد لنا في الطين بلةً اثناء مرضنا ان كثرت عندنا الضيوف وفيهم الضيفن[1] الذي لا يرتوي من صحبتنا والاقامة معنا الاسبوع والاسبوعين فكنت اعتذر لهم واكلفهم القيام بخدمة انفسهم حتى باعداد الطعام لهم ولنا فلا يتذمرون .

اسهبت وانا لا اشفق عليك من الملل لانك محب والمحبة ترتاح الى الاسهاب ولا يدانيها الملل . ولي ايضاً كلام وجيز اختم به هذا الكتاب الطويل اسوقه اعتماداً على المثل اللبناني : «مَن شرب النهر لا يغصّ بالساقية » الكلام شكر لمحبتك الصادقة على ما تكرمت بنشره في مجلة « الورود » المطيبة اجواء الادب بروائح الورود « الشبلية » الفواحة : ولمودة الشقيق البديع الناسج على منوالك في صفاء النفس وحلاوة الشمائل وعلوّ الاخلاق واستكمال الكياسة والظرف والتبرّع بالولاء .

فاتك في حفلة النيشان ان تلقي دلوك بين الدلاء فأبى قلبك المحب الا ان يبرز درّه النفيس بالقلم الغوّاص على بساط القرطاس في الورود المشرقة . فأفضت ووفّيتَ وحلّقتَ وجلّيتَ وفتّتَ ولم يلحق لقلمك غبار[2] . دريتَ ان اخية تجعل من المتحابّين واحداً[3] فصح لك ما رسمته في مثالك الجميل من صورة تمثل نفسك ومحامدها لا محامد ونفس اخيك ، لا في رأيتها اصدق عليك منها عليّ . ولستَ مؤاخذاً بهذا السبب الذي ذكرت . غير اني لا اكتمك اني اخذت عليك خطأ في امر كان يجمل بك النظر اليه تلافياً لعناء ربما لن تجد بدّاً من معاناته يوم يوافيني الاجل وتبعثك الاخوّة الآسفة على التأبين لفظاً او كتابةً . فماذا تقول خطيباً او كاتباً بعد ما قلته في نشرة «الورود » وانت لم تدع سبيلاً لكاتب او خطيب الى المزيد عليه ؟ وقد لا يكون لك متسع من الوقت للغوص وراء الافكار الجديدة والتعابير الوافية لا بحقي الذي وفّيته وأضفيت بل بحق محبتك المرزوءة وبلاغتك المحسودة .

(١) الضيفن : من يجيء مع الضيف متطفلاً . معجم « محيط المحيط » .

(٢) ان كاتب هذه السطور الاب شبلي لما لم يستطع حضور حفلة تعليق اليسام للاب ثابت كتب عنه مقالاً مستطاباً في مجلة « الورود » لصاحبها شقيقه بديع شبلي ، ذلك ما يشير اليه صاحب هذه الرسالة (راجع « الورود » شباط سنة ١٩٥٢ السنة الخامسة الجزء السادس صفحة ٨) .

(٣) الصديق هو الروح الواحدة التي تسكن جسمين (ارسطو) .

ما لي اشفق عليك من الظهور في ذلك الميدان وقد اوتيت جعبةً سهامها الذهبية لا تنفد ولجّةً درّها النفيس لا ينتقص وخزانةً جواهرها الغالية لا تنفك تتلد وتتجدد . فابذل وانفق ما شئت . ان ما أوتيته من فضل وادب لهو اكثر من ان ينفد على البذل والانفاق .

تقبيلةً حارّة على جبينك العالي المشرق . وسهم دعاء مرشوق الى السماء لاطالة عمرك وادامة فضلك . فاسلم مجمّلاً بالكرامة متمتعاً بالصحة ورخاء العيش يا من تحلّ المحلّ الارفع من فؤاد واعتبار .

عن دير البرامية — في اول آذار سنة ١٩٥٢

اخيك
مبارك ثابت
لبناني

٦

الى حضرة الجليل الفاضل عملاً وقلماً ولساناً الاب انطونيوس شبلي اللبناني الوافر الاحترام، من اخيه المحبّ المخلص الاب مبارك ثابت لبناني تحيّة واشتياق.

ايها الاب المحبوب

جمعت بيني وبينك وحدة الحالة والروح والعاطفة فكلانا واحد وعندي لك مثل ما عندك لي . لكنّك الى المبادرة بالفضل اسبق . وهذا يزيد في محبتي وسروري وافتخاري. أاقول: وفي حسدي ايضاً ! أجل لو كان للانسان ان يحسد نفسهُ لقلتُ . صدّرت رسالتك المذيّلة بتاريخ اول كانون الاول الجاري بأنك تأخرتَ عن مكاتبتي لمباشرتك الرياضات في قرى الشوف في اواخر آب الماضي . عذرٌ تقبّلتهُ بالرضا والسرور لكن قبل قراءتي ما عطفت على مبتدأ كلامك من خبر مرض السكّر واشتداد وطأتهُ عليك . فلما قرأتُ عطفك المذكور خنق البكاء صوتي وغشّى الدمع على ناظريّ وتوقفتُ مرغماً وقال الاخ الياس ما هذا المكتوب الذي يبكيك ؟ فلم احر جواباً . ثمّ غالبتُ العاطفة بكرة جريئة وعدتُ اتأمل الرسالة فما عثرتُ فيها على منشئها بل على نفسي في كلّ من سطورها وفقراتها كأنما المحبوب نسيَ ذاتهُ ليذكرني فاستقللتُ البكاء للوفاء .

تأخرتَ عن المكاتبة فأدليتَ بعذرك وتأخرتُ انا ايضاً فما عذري ؟ أاني نسيتك ؟ انت لا تصدّق هذا وانا لو قلتهُ لَمَا صدقتُ. انهُ لعذرٌ اقبح من الذنب . ويح الحرم انهُ غير الشباب . يوهن العزم ويُذهب بالنشاط ويرفع في الحيرة على ابواب العمل . فالاشتغال بالحاضر من الشؤون ومن مقتضيات الواجب واللياقة وادب الاجتماع يُزيّن لي التسويف الذي لا أسلم معهُ من

الإنحاء باللوم على نفسي . ثمّ لا البث ان انصرف لمواجهة او قضاء امر واقول : ان المحبوب سيكتب لي . انهُ لا ينساني كما لا أنساهُ ومن شيمته السماحُ والسبقُ الى المعروف ومن شيمتي ايثارُ سبقه بالجميل .

حصل لي شيء من هدوء البال بقولك انك اخذت تتسلّح بالوقاية ردّاً لهجة الكرّ العدوّ اللدود واخماد الثورة عتوّه الحامية. ورأيي ان الوقاية بالحمية من بعض اصناف الغذاء اذا عُزّزت بالانسولين توقف وثبة الكرّ المؤذية الاّ اذا كان لهُ حليفٌ من الزلال . ففي حال التحالف لا بدّ لاضعاف القوّتين من الحمية وراحة البدن معاً والاّ جاز الشكّ في الظفر على مرّضين وقد قيل : وضعيفان يغلبان قوياً. فكيف بقويين لضعيف. فيجمل بك ان تخلّي الرياضات وتريح جسمك وقلبك ردحاً من الدهر جالساً لمكتبتك الغنيّة تقتطف من ثمارها اليانعة كلّ حلو ولذيذ وتُخرج من ذخائرها الجديد والقديم قانعاً بتسلياتها العذبة الى ان يمنّ الله عليك بالشفاء .

لقد عملتَ في كرم الرب وفي حقل الانسانية والادب عملاً رابحاً لك في السماء وعلى الارض من هديٍ الى البرّ يسوق الى التوبة وتهذيب وتثقيف بالقول والمثل والقلم ولو لم يكن من مجمّل لصيتك ومعلٍ لقدرك غير كتابك — الاب شربل — لكفاك فخراً وأجراً . انهُ لسفرٌ جليلٌ قرنتَ به اسمك باسم شربل بسلسلة البقاء الذهبية مجداً للرهبانية والفضيلة والتاريخ ولبنان . فاهنئك شاكراً لك على هديتك النفيسة .

ما اجمل وما احبّ ان يجتمع المتحابّان . ان تطوي فصلَي الشتاء والربيع في دير البرامية فتطيب بقربك نفس اخيك وثمّ بساتين الليمون تمتّع بهما ذوقك وناظريك وتملأ من اطياب ازهارها انفك ورئتيك . والطريق الى بيروت قصيرة ورخيصة . وكلام الله تلقيه في كنيسة الرعية ايام الآحاد يُلتقف من فيك باصغاءٍ ونَهَم .

واسباب التسلية متوفرة والطبيب رهنُ الاشارة وصديق لنا وفيّ ودود . واجرتهُ ان لا تتردد في استقدامه او في زيارته بصيدا كلما عرضتنا حاجة اليه ان في النهار او في الليل . وتهلّل وجهه عند اللقاء ان لم يكشف المرضَ فلا اقلّ من ان يُذهل المريضَ عن الالم . واللبن والحليب واللحوم لوازم الحمية سهلة المنال . وانت علينا اخفّ من النسيم ومن الروح. والذي أشبع الوفاً من خلقه بقليل من الخبز والسمك هو جارنا ومساكننا الشريف. وباب رحمته وسخائه مفتوحٌ لخدمه على مصراعيه . حبذا ان لا تحرمنا لقاء نشتهيه .

تجد في طي هذا المكتوب الخطاب: الدين عند الشعوب المفرقة في البداوة

او المتوحشة . وكنتُ قد عرّبتُ الكتاب الافرنسي الذي اخذتُ منهُ الخطاب وحفظتُ المسودة لابيضها وقت يتيسّر طبعها فاختبأت ولا تزال مختبئة وتخبأها مجهول . أمّا الخطاب — فخر الدين المعني — فوجدتهُ مبيّضاً لكنّهُ مقطوع الرأس والذنب. خمس صفحات ساقطة من صدره وستّ من عجزه . بحثتُ عن المسودة فلم اعثر عليها لعلّي مزقتها يوم ولادتها اكتفاء بالمبيّضة ثمّ ضاع من هذه ما ذكرتهُ من الصفحات بعد القاء الخطاب في صيدا اذ فاجأتني الشدائد القلبية المرهقة فاضاعت رشدي وكل امل لي بالحياة . وها انا اليوم اجهد الذاكرة واوقظ الذهن لاذكر المنهل الذي استقيتُ منه الخطاب اي المسودة والمراجع لكي أردّم ما تهدّم فلا اهتدي الى الغرض الاّ كما يهتدي الضرير الى ابرةٍ سقطت في غدير ماء . كتبي متفرقة في اماكن شتّى زهدني فيها شبحُ الموت عام ١٩٣٣ فسطت على اكثرها ايدي البلى والضياع وألسنُ اللهيب. وما سلم منها لا اعلمهُ ولا في اي اسر هو فافتديه .

من الآن الى ان يتاح لنا اللقاء لا تحبس عني اخبارك وانت ادرى بشوقي اليها كل وقت ولا سيما بعدما اخبرتني من تضافر مرضين على صحتك الغالية . شفيتَ باذن الله ...

تسألني عن صحتي . ردّ عليك ما خاس من صحتك طفافاً . سل الثمانين وجاوزتها الى المئة تنبئك ما كاملها من شؤون . غير اني احمدُ الله في ثمانيني لانها تحمل لي من رفقها بي ما يباعد خوفها عني ويجمّل صورتها في عيني . ويؤملني بعفوٍ من الله انهُ السيد العادل الرحيم. اجل! ان قواي آخذة في البري تحت مبرد الثمانين لكنّ اوجاعي معها اخفّ منها في عهد الشباب. حسبي من احسانها بنعمة الله أن لم أحرم الشعور بلذّة محبتك ومودتك واشعاع فضلك وعلمك يا حبيب .

عن البرامیه — في ١٦ كانون الاول سنة ١٩٥٢

اخيك
مبارك ثابت
لبناني

٧

اخي الحبيب وصديقي الوفي وابا الفكر والكلمة والقلم الاب انطونيوس
شبلي الوافر الاحترام

انت مني بمكان السمع والبصر والروح . وقبل كل صاحب وعزيز وسمير . وانا لا اجهل مكاني من نفسك لانك قد اعطيتني الف دليل . فكلانا عالم بما عند اخيه ، وكلانا في المحبة متكافئان . ماذا اكتب لك معايدة بهذا الفصح المبارك ؟ الستَ عالماً بما اتمناه لك ؟ او لستَ افصح مني منطقاً وابلغ تعبيراً فأوفِ نفسك حقها عني ودعني اناجي الله سبحانه من اعماق النفس في الخلوة والهدوء استمد لك من جوده ما يشتهيه قلبك من خير وما تستحقه فضائلك ومناقبك .

مقالة اليزبدية التي تكرمت باهدائها اليَّ تلقيتها بالشكر وطبت بمطالعتها نفساً لمّا علق بها من افكار المحبوب وفوح المسك المنطلق من قلمه المخصاب حياةً وانتعاشاً للنفوس .

اين انت اليوم ؟ ومتى تستريح وقتاً من تعب الالقاء[1] وقد تقضت اسابيع الصوم وذهب فصل الشتاء ونصف فصل الربيع افلا تمتعني بلقياك اسبوعاً واحداً تصرفه في البرامية حيث المشاهد الفاتنة والروائح الذكية خضرة البساتين وزرقة البحر ، انهما بحران متجاوران احدهما مائع والآخر جامد وعلى ظهره ملاوين من شجر الليمون والاكيدني . وان شئت اجرةً للاجابة بالرضا فهذه تقيلة حبّ واشتياق في جبينك العالي في ختام المكتوب من فؤاد
عن البرامية في ١٢ نيسان سنة ١٩٥٢

اخيك
مبارك ثابت
لبناني

٨

ابت الجليل واخي الحبيب انطونيوس شبلي اللبناني الوافر الاحترام

اشتياق الى رؤياك ... كيف انت واين انت وما انت والكدّر عدوك الذي يقض مضجعي ، ويؤلمني ان لا يكون بوسعي رد هجمته العادية عليك .

(١) اي القاء الرياضات الروحية .

عسى الله لا يردّ صلاتي ولا يخيّب رجائي اني متوسل الى رأفتـه بكل ما استطيعه من ايمان ورجاء . اني موقن بشفائك على قدر ركوني الى استجابة صلاة حارة تصعد الى عرش رحمته من الاعماق .

وانت تعلم ان الله الذي اوجد العلل أوجد بازائها الادوية لقهرها بالمعالجة . وانا عرفت بعضاً من اصحاب السكر احرزوا الشفاء منه بالوقاية ولاسيما بالحمية من كل طعام يتحوّل كله او بعضه الى سكر وباستعمال الادوية الموقفة سيره اخصها او قواها الانسولين مداوياً عليه . فانك ان تذرّعت بهاتين الوسيلتين وقاتلتَ بهذين السلاحين لا تبطؤ ان تحرز الظفر المنشود . واعتقادي ان السلاحين ميسوران لك والنصر مضمون باذن الله وبالتوكل عليه . فاتبع الراحة والسلامة بالحرمان من بعض لذات الغذاء واجعل لحرمانك ثمناً آخر روحياً ببيعه من المسيح الرب الذي آثر الحرمان والألم تجد السبيل الى الشفاء سهلاً لا شائكاً ولا وعراً .

في الاسبوع الفائت اتتني صرة مطبوعات مضمونة في البريد هي ٢٣ نسخة من خطاب الصوم[1] وخمس نسخ من مجلة « المشرق » خامسها لشهري آذار ونيسان فتلقيتها بالشكر اولا لك لانها من فضلك ومحبتك واهتمامك الاخوي. وثانياً لادارة المجلة التي تقدر مكانتك وتجيب بالتلبية مطالبك .

لقيني شباط المشئوم بحملة عنيفة من البرد جمّدت الدم في عروقي واحدثت تشنجاً مؤلماً وملازماً في اعصابي ولا سيما في معدتي فتجلدت له متّقياً شره وتخطه لائذاً بحرارة الفراش التي تحوّلت هي ايضاً الى صقيع طيلة ايام الشهر . فلما تولّى وجهه الشنيع وبدت طلعة آذار أمّلت وجود دفء تحت ردائه فاذا انا في غرور واذا هو شر من اخيه شباط . تضافرا على قلمي فاقعداه كما تضافرا على بدني فاضعفاه وعلى صبري فحطّماه .

ولما رأيت الشمس لم تعد تطلع ولا تظهر الا بائخة ونادرًا ومن كوّة ضيقة في متليد الغيوم خطرت على بالي محاورة لراعيتي غنم ضايقها البرد وعطل المطر وتراكم الثلج وتواري الشمس اياماً عديدة متتالية فقال احدهما للاخر : ما قولك يا اخي في الشمس هل تطلع علينا بعد ام يدوم تحجبها الى الابد ؟ فاجابه : اظن انها ستطلع بعد لكنها ان طلعت فلا يكون منها حرارة ولا دفاء مما نعلمه من طبعها في القديم .

منذ يومين تلقن لي قدس رئيسنا العام الكلي الاحترام للتشرف بمواجهته

(١) هذا الخطاب من قلم صاحب هذه الرسالة ، نشر في « المشرق » ثم جمع على حدة .

في بيروت فاعتذرت عن التلبية باوجاع معدتي من البرد فعذرني وأمر ان اوافيه الى بيروت متى شفيت . فاذا عادت طلعت الشمس ومعها دفء فاجيء الى بيروت غداً او بعد غد ولعلي اوفق الى لقياك . في اختتام تقبيلة ودعاء .

عن الرامية في ٢١ آذار سنة ١٩٥٣

اخوك
مبارك ثابت
لبناني

٩

ت لحبيل واحي حبوب انطونيوس شبلي لبناني الوافر الاحترام

فتحة دراعين حول جبينك . قصدة الى صدري الملتهب شوقاً : فكسرة رأس (حتية لا كسرة) لدى عظمة محبتك السخية الخيانة الفياضة المجردة عن الانانية وكل انتفاع وكل رجاء مكافأة . يتلو ذلك تقبيلة حارّة في جبينك العالي وعلى يمينك البارعة وقلمك المختصاب .

وبعد فاني اهنئك برئاسة انطوش جبيل واهنئ بك الانطوش . اما اياك فلفوزك بمقام يتسع فيه المجال لصولة دماغك ووثبة يراعك . واما الانطوش فلحيازته رئيساً مستكملاً مقوّمات الرئاسة ومؤهلاتها وكفوءاً لرئاسة اكبر الاديار . واما الجبيليون الكرام فلحظوتهم بأب عطيف ومرشد حكيم ، وواعظ منير . ومؤرّخ بحاث بصير ، وقلب متحنن رقيق وكف مكفوفة الا عن البذل في وجوه البر والاحسان . لا ازيد على ما قلته فكل ما يقال في هذا الصدد قليل للمزيد . حققت فيك الآمال وأوتيت المعونة من عَلُ . وايدك الجليل شربل بشفاعته ليصاحبك النجح والفلاح وتظل مرآة صافية الاديم لا يلامسها لمث ولا غبار . فتجمع على حبك القلوب وعلى تكريمك الألسن والنفوس . فانت في الرهبانية منارة من ذهب بسبعة مصابيح موقدة لا تداعب انوارها ريح العجب ولا يحجب من اشعاعها ضباب الارثياح الى الظهور والكسب .

ما انا الذي يقول هذا بل كل ذي بصيرة وتبصر ممن له معرفة بتقدير قيم الرجال . وما لساني هو الذي يتكلم بل شمائلك الحلوة وفضيلتك البارزة ومحاسنك الادبية هي المتكلمة بلساني . ولا اقول محبتك لي . لماذا ؟ لخروجك بها الى الافراط الذي لا استحقه وان كان لك في فؤادي مثل ما لي في فؤادك . لان الافراط من جهتك ينتهي احياناً الى تصغير ما تستكبره وتستجمله من نسيجي ولو على غير قصد .

ألا ترى ان التصدير الذي صاغه قلمك الحاذق في صناعة الانشاء اسوارًا لمعصم روايتي مرصّعاً بدرر الالفاظ وجواهر المعاني ومحاسن السبك والانتقاء. ألا ترى ان هذا التصدير البديع الذي اردته زينةً (لحيضاء)[1] قد تخطى مرادك فصار الى الانقلاب بحيث صارت زينة الحسناء المع واثمن من الحسناء نفسها. ومَن واجه اولاً ذلك التصدير الشائق ثم اتى على الرواية فعلى اي جمال تقع عينه بعدما رأى من طرافة التصدير واخذه بمجامع القلب ؟ اليس هنا موضع التقدير لقول ابي نواس : « كما ضاع عقد على خالصه ! ». وفي رأيي لا يصح في قضيتنا ما صح في قضية الشاعر العربي من فصل اسفل العين عن اعلاها لينقلب الذم الى مدح كما في « ضاء عقد على خالصه » فان الصحيح في نظري ان عقد تصديرك وان زان خالصتي وألبسها حلةً من الجمال رائعة لا ينسج مثلها غير قلمك ولا يتصوغ نظيرها غير رجاحة حصافتك. فانه لا يكون في حكم القراء من اهل العلم والذوق السليم الا افضل من خالصتي واثمن منها وألمع. لكنني على ذلك لا املك الا ان اعجب به واستجمله ايضاً من اجله. واشكر لك ولله تعالى على ما نالني من نعمة اقتران اسمي باسمك المحبوب في كتاب لبناني تتداوله ايدي القراء ويستدلون باقتران الاسمين والانشائين على اتحاد قلبين وروحين لاخوين متحابين لا يفرّق بينهما غير الموت.

فعش ايها الاخ الثابتة اخوّته الصادقة مودّته سنداً وفخرًا وروحاً وقرة عين لاخيك المقيم على حبك وشكرك.

عن البراميه — في ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩٥٣

مبارك ثابت
لبناني

١٠

ابت العزيز انطونيوس شبلي اللبناني رئيس انطوش جبيل الوافر الاحترام

اكتب لك وانا مستلقٍ على ظهري في احدى غرف المستشفى اللبناني اتيته الساعة التاسعة من صباح يوم الجمعة ٦ تشرين الجاري. رُزقت في الساعة المذكورة ألماً في البطن اقل ما اقوله في احتدامه وثقل حلوله انه خُيّل اليّ ان في داخل جوفي امشاطاً من حديد تمزق الكبد والصدر والامعاء. عالج الطبيب تخفيف الألم بابرة مخدر وبجرعة من فوق وأخرى من اسفل. ظل الألم على حاله وازيد. فقال لا بد من مستشفى. وارسلني الى بيروت فقاسيت في الطريق

(١) اشارة الى الكلمة التي صدر بها الاب شبلي رواية الاميرة هيفاء لصاحب هذه الرسالة.

مثل عذاب النادي في طريق الجلجلة لكن طريق بيروت اطول . ومقاسيها اضعف . انتهيت الى المستشفى ساعة الظهر فاقبلوا اليَّ بالطعام ثلاثة الوان : ابرة وتحميلة وحقنة ماء وزيت . ويوم السبت فحص تلو الفحص ثم خُتمت الفحوص الفردية بالتصوير وفحص الدم : فتبين من فحص الدم التهاب في الامعاء فبدروا الى الثلج وبدل التصوير على جسم غريب في المصران او في حواره سيحتون عنه اليوم الاحد .

ما كتبت لك لاحمّلك همّاً بل لاكفيك مؤنة العتب عليَّ اذا فوجئت بد لا يتهمني لاحرك بارق الرحيل .

صان الله صحتك من كل اذىً واطال ايام حياتك سعيداً لا تشكو من صميم[1] .

بيروت ــ المستشفى اللبناني ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٥٣

اخوك
مبارك ثابت
لبناني

١١

ابت العزيز البعيد القريب الساكن في محلين معاً انطوش جبيل
وفؤاد اخيك رعاك الله

يسقط عني كل همّ اذ اتمثّل شخصك المحبوب وأحبّيك واخاطبك بضع دقائق بلسان القلم الذي شاخ وعجز الا اذا سُرّح اليك وذكر محبتك فيخلع الهرم ويعبث بالعجز ويصفّق بجناحيه ويصيح ويطير او يقفز في الاقل .

جاءتني « المشرق » مشرقة باضواء قلمك اللامع وطبت نفساً بقراءته اي بقراءة مقالك الممتع اللذيذ . لا فض فوك ولا كانت جولات قلمك الا موفقةً . وشكراً لك ولادارة المشرق على هديتكما النفيسة .

فهمت من رسالتك الاخيرة ان صحتك على تحسن او في الاقل ان سكّرك قد كسرت حدته فلم يعد يعوقك عن النهوض بالمهمات الملقاة على عاتقك فسُرّيَ من إشفاقي بعض الشيء وسألت الله سبحانه ان يأذن بتمام شفائك .

باب الانشاء اقفلته فلا افتحه الا لضرورة واكراه على فتحه اذ لا بد لي من اراحة رأسي ومعدتي وكليتيَّ فانها تشكو اليَّ تعباً وتذكرني بالقول المأثور : ما حمّل الله نفساً فوق طاقتها . على انني اداعب القلم على سبيل التسلية والعادة

(١) هذه الرسالة مكتوبة بقلم من رسامي .

وفي ما لا بد من تكليفه اياه . واخذت اتعوّد الاقتصاد واول ما باشرته بنجح فهو الاقتصاد بالقداحة وقصبان الكبريت والشحط فصرت اشعل السيكارة من بقية سابقتها واظن اني لن اقف عند الحد من الاقتصاد فيصير من مبلغي فيه اني اشعل السيكارة الجديدة من شفتيّ لفرط ما يعلق بها من حرارة السكاير المحرقات .

وهذا الضرب من الاقتصاد لم أبدعه من عند نفسي بل اخذته اخذاً عن المرحوم الاب روكز المشمشي : « الاّ الذي قلبُ اسمه زكور » رحم الله القائل والمقول فيه[1] .

(١) في منتصف صيف ١٩١٩ رافق المرحوم الاب بطرس ثابت الديراني امركيل العام اللساني . الاباتي غابيوس داغر الشوري رئيس الرهبانية اللبنانية العام سابقاً في زيارة بعض اديار متاطعة سبيل ولما وصل الاب العام في تشرين الاول الى دير مار انطونيوس حوب شعر الاب بطرس بألم برأسه وصحرته فاستأذن الاب العام وسبقه الى دير سيدة المعونات في جبيل . وفي طريقه عرج على دير مار شليطا القطارة . وقد كان يومياً جالساً في ليوان المشى الشرقي فوق بوابة مدخل الدير يحدث احد الرهبان رجو الاب انطون قرطبا ، كان الاب روكز ضوضط حرب من قرية مشمش (بلاد جبيل) مقابله يعمر حائطاً فهبت به ريح على مرتين فهدته فقال الاب انطون للاب بطرس ثابت : ارجيك يا ابت ان تنظم تاريخاً لحائط الاب روكز . فقال له : عليك بورقة وقلم ، فاخذهما وكتب في الحال هذين التاريخين وهما :

— التاريخ الاول —

قد شاد روكز حائطاً ... ما فيه من حسن أثر
وله يد في رصفه ... أيرى لحائطه ضرر؟
ولذا تراه مائلاً ... ما للمتانة مستقر
لعب الهوا بحجاره ... فتناثرت حجراً حجر
مهلاً رويدك لا تقل ... لي قصة فيها نظر
قد جاء بالتاريخ لي ... نص بالبينات الخبر

سنة ١٩١٩

— التاريخ الثاني —

تباً له من حائط ... التحس فيه حائط
ولروكز فيه يد ... أو هل لهذا ضابط
فبأرضه غير تلا ... هو في قليل هابط

سنة ١٩١٩

كان الاب روكز من المدمنين على شرب القهوة والدخان والسيكارة لا تفارق اصبعه . فلما درى بهذين التاريخين دندن وغضب وعاتب الاب بطرس . وكانت اشتدت عليه وطأة المرض وما قاله له انه لو لم يغضب عليه لما لقيه المرض بهذه الشدة . وقال له ايضاً : انا مثل حجر الطحن لا اقع على واحد حتى أحرسه . فتمرضية له نظم الاب بطرس هذه القصيدة الفكاهية يستعطف بها خاطره نادماً على ما فعل وقد سماها :

مرادي بعرض هذه الامثولة الاقتصادية لا ان تأخذها عني بل لتوقعها من نفسك موقع العبرة فتعدّل التدخين بالانقاص ان كان لا ينالك منه اذى محسوس او باهجر ان انست الاذى وكان الهجر في طاقتك اي لا يكون صخرة عثار في سبيل قلمك .

اذا اتصل بسمعك شيء جديد مما ينظر الى الشؤون الرهبانية فلا تكتمه عني فاني في معتزل البرامية غريب عن اورشليم لا اسمع ولا ارى . واحب ان يكون مرتفك من الامور من لا يسمع ولا يرى فذلك ابعد عن الظن وأقرب الى السلام واحفظ لراحة القلب وحسن الحسن المستقبل واحلب لخيبة الصدور .

خص للسلم وبع الحق اذا دعانا لنصرته حق الله واذا كان الله اقدر مما وادرى فالأمر كله اليه وعلينا ان نجزي المحسن احساناً ونكافئ المسيء معروفاً اذا استطعنا والا فصبراً يجارينا فيه محب الصابرين . تحيتي الى روحك ودماغك وقلمك ووجهك البشوش . حرسك الرب ولا زال مفرّحاً بك قلب .

عن البراميه — في ٢٧ ايار المبارك سنة ١٩٥٤

اخيك
مبارك ثابت
لبناني

الاسطفانية

هجنا ولكن ابنا المقدور ... الا الذي تلثه اسمه زكور
رجل يصوم عن الصلاة فيومه ... حمد ويشكر والثناء صور
ودخانه يُلقى سحابة يومه ... متصاعداً من فيه نعم الكور
من نار محرقة له ملتونة ... يبدو تنار فحمة وبخور
ولقد تناهى في الفعال فليس ما ... يثنيه عن مأتي الامور امور

. . . . .

قد جاء تاريخي لخاطبه الذي ... ايوان كسرى دونه وسدير
متنقصاً من فضله يا ليته ... ما نفلت منه بذاك سطور
بل ليت ذا القرطاس طيره الهوا ... في بلقع لا ترتجيه طيور
فلقد علمت بان دائي كله ... متولد من تخمه مفطور
قد قال يوماً انه حجر الرحى ... فالحق ذاك وقوله المأثور
ولذا نفست فان تكرم بالرضى ... فله تدق طبوطم وزمور
وال لقد كبارهم وصغارهم ... وكلابهم وقطاطبهم وانمير
شاراتهم تبدو بايديهم ومن ... م مناخل وغرابل وسبور
وثيابهم تروي حديث مبلهل ... وبني فزارة منذ لاح النور
من كل موشوم وآلة عزفه ... الدف والمزمار والطنبور
ذا راقصي ذا عازف ذا لاغط ... قارون يا بارون يا تكرور
ما شمت بارق ثغره ما بينهم ... والرأس منه زينته زهور
الا وقلت سبحلا ومعظماً ... الله اكبر انه لقدير

١٢

ابت المحبوب وشقيق الروح وخفيف الروح

المحبة تحب (التدليع) وانا احب ان ادلّعك على قدر محبتي لك . لكن التدليع ضائع عندك لانك لا تتدلع . واتمامه عسير عليّ لاني لا املك ان ازيد فيه على الكلام لا المصنّع بل المشتق من صميم الفؤاد ومن لباب العواطف ومن روح الشعور . اما التدليع بالفعل فليس يُرجى من ضعيف عاجز مثقّل بالحصى والرمل والاملاح ومعدة يلزم تعزيلها من الحمض بعد كل طعم . فضلاً عن اسباب الهمّ والاغتمام مما لا يخلو منه قلب عاقل او مدّعي معقل او رأس لا يخلو من تفكير .

ومن عوامل همّي واغتمامي ومن اقواها ما قرأته في كتابك تاريخ ٢٣ ايلول من اخبار سكّرك المشئوم وجرح قدمك وايلاده بترنين واكراهك على القعود وملازمة السرير والتداوي لتخفيف الألم وصد الخطر مدة اسبوع كامل ، فهذا اوقعني في قلق كبير لاني شريك في كل ما يعرضك من مكروه ومحبوب ومحزن ومفرح . لكنني ما لبثت ان سكن قلقي اذ قرأت في الكتاب نفسه ان السلامة ما ابطأت ان اسفرت لك عن وجهها الصبوح وان الخطر المتهدّد الذي اسلمك الى الرعب والاوهام قد فرّ من امام قوة الله والادوية الناجعة ولا فرار الزئبق من امام النار فشكرت الله على ذلك وسألته ان يقطع خط الرجوع على اهارب المخيف . وهنا لا يسعني الا ان اوصيك باتخاذ جميع وسائل التحصّن والتصوّن بالانسولين او البنسلين والتغذية الملائمة : لان عدوك ماكر وجبّار وكرّار فلا يحسن بالقطين ان يدع ثغرةً او مدخلاً لعدوّه اليه . المريض له عذره امام الله والناس في طريقة معاشه اللازمة لحفظ البقاء ولا حرج عليه .

انا في الوقت الحاضر على حال من الصحة لا خطر معها ولا شدة ألم . اشكر الله عليها ولا اتمنى احسن منها مخافة ان يكون الاحسن غير صالح لاحوال الروح واذ كنت موقناً باخلاء منزلي عاجلاً او آجلاً لم اجد انفع لي من التسليم الدائم لمشيئة الله الذي من عنده المرض والشفاء وبيده الموت والحياة وامره الأمر . وفي هذا التسليم كل الراحة والتعزية والصحة بلا صحة والشفاء بلا شفاء .

كتبت لك في ما مضى انك اذ تعرض لك حاجة فتجيء الى بيروت تعرّج على بيت المرحوم عبدو اخي فتحدثك امرأته عن رجل بجوار بيتها

كبير احتفى عني بالسكّر المتشرم عناءً فاحتاً كان قد اشرف على التلف فاستنجد الانسولين والغذاء الملائم فاصبح كمن لا سكّر عنده وكمن ضفر على عدو شديد اللدد وقيّده بسلاسل لا تنكسر. ولا يعيب عن بالك انك خادم الاب شربل رجل الله التقديس وشفيع اخوته الرهبان المتبرّع بالتصرّع عنهم فطالبه باحرة خدمتك التصرع واتعابك البدنية والعقلية في سبيل تفتيته انه اكبر من ان يرضى بان يظلّ مديوناً لخادمه وهو الذي يعطي من لم يخدمه يعطيهم من كنوز الرحمة الالهية بدون حساب. اني ولو رأيتك في باب القبر لسألتك انك تدخله ويد القديس شربل تجذبك بقوّة الله الى الوراء[1].

اكملت كتابة الحسلة الاخيرة واذا شاغل فاجأني غير ممهل فاضطررت ختم هذه الكتاب بتقبيل حبيبك وتكرير الدعاء من اجل سلامتك لتقي ذخيرة لاخيك الذي لا تبرح عن باله

فلا تحبس اخبارك عني اية كانت ولن تكون الا سارة باذن الله.

عن البرامية — في ٣ تشرين الاول سنة ١٩٥٤

مبارك ثابت
لبناني

١٣

حضرة الجليل البحّاثة الدقيق الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل الوافر الاحترام

اخي وروحي

انتهى اليّ مكتوبك في ختام الاسبوع الماضي ساعة كانت افكاري تحوم حول انطوش جبيل واقول في نفسي ما حال الحبيب وما باله لم يكتب لي على عادته: لا اقدّر ان يكون العائق من متعلقات الصحة فقد كان يكتب لي وهو يكاد لا يملك تحريك القلم باصابعه. ولو ان وطأة السكّر اشتدت عليه حتى اعياه اقتتال فالقى السلاح مسلّماً الى عدوه الباطش لما كان يكتم عني ما حصل له من ضيم. اذاً هو ينتظر رسالتي وانا اسوّف واذا كان الميقات يجيئني من يشغلني ثم اسوّف وهكذا دواليك مع علمي وتعليمي بان عملاً يستطاع اليوم لا يحسن ارجاؤه الى الغد. فعفواً وعذراً. ما لي اقول هذا وكان الاحرى بي ان اقول عاتب ولا تعذر لاني جدير بعتبك لوقوعه في

(١) نحن اول من كتب كلمة عن الاب شربل مخلوف حبيس محبسة دير مار مارون عنايا فنشرنا موجز حياته في مجلة «المشرق». ٢٠—٢٨٩ ثم توسعنا فيها في كتاب مستقل «الاب شربل مخلوف» طبع بمطبعة الكريم في جونيه سنة ١٩٥٠ في ١٧٧ صفحة بقطع كبير.

محله فضلاً عما أحد فيه من لذة وعذوبة لابد من الحبيب وكل ما كان من الحبيب فمحبوب ولا سيما اذ يجيء مسكوباً في قالب رافلاً في اثنس حلة من التعبير . ليتك لا تنفك تنفحني بمثل هذا العتاب .

غمّني ما اعلمتني من بقائك وسكوتك المرّ على ما كنتا عليه من حال لكن علمي بغزارة فطنتك يخفف من اغتمامي ويوليني شيئاً من الاطمئنان اعتبار انك قد ذقتَ وعرفتَ شرّية هذا الداء كما انك لا تجهل باي سلاح تخفض من غلوائه وتكسر من شوكته فاطعنه بالانسولين مرة كل يوم واحرمه من كل حلو حرماناً كاملاً من الكثير والقليل ولا تزد في غذائه على الخضر واللحم بهذا تضعف قوّته وتليّن صلابته .

في رأي الطبّ وحديث الاطباء ان لا يُحرم السكّريين من الفواكه فيؤذيهم ويضعفهم في الغالب ان يتناولوا قليلاً من الفواكه التي لا يكثر السكّر فيها كالتفاح والاجاص حتى الخوخ باصنافه وكالبرتقال باشكاله وهذا افضله ما أخذ قبل استكماله النضج والحلاوة . وشرط الفواكه كلها ان لا يُصار معها الى الاكثار فان الافراط ولو من الاشياء النافعة لا يخلو من ضرر وعلمك بهذا اوسع واعرف .

رأيت الاخ الياس[1] وقد صار من السكّريين منذ عهد غير بعيد وكان لا يدري بحاله فنبّهني اليه ما رأيت عنده من كثرة الحاجة الى شرب الماء والى ارسال البول فكان اذا استصحبته الى صيدا او لزيارة في الرعية يضطر لارسال البول اكثر من مرة في الساعة الواحدة وفي اي موضع من الطريق وجد حائطاً ولا شأن عنده للمارة ولا مبالاة وكنت اقول له مازحاً اراك تتشبه بمعكوف الذنب الذي من طبعه يلقي قليلاً من بوله في مواضع كثيرة كعلامات يتعرّف بها على طريقه في الرجوع . ومن علامات سكّره انه يأكل كثيراً ولا يشبع ابداً . فقطعت بوجود السكّر عنده فارسلته الى الطبيب فوجد كمية كبيرة فعالجه في مبتدإ الابر بالانسولين وبالحمية بضعة ايام وعاود الفحص فلم يبق من السكر الا القليل فاوجب الامتناع عن تناول الحلويات والحبوب والاقلال من الخبز والاكثار من تناول الخضر فعمل بالوصية اسبوعاً وفحص البول فوجده نظيفاً من السكّر وكذلك وجده بعد اسبوعين واسبوعين آخرين فهنأناه ثم وقع له ان أكل قطعتين من (البقلاوى) في صيدا خفية عني . ثم اكل قطعة من الحلاوي وقت طعام الظهر واردت منعه فقال : « نتفه بهالنقمه

(١) هو الأخ الياس الخوري من كفرشيما كان مقيماً مع الأب ثابت في دير البرامية . توفي في دير مار جرجس الناعمة .

لا بأس » فتسامحت معه وقلت له : « خطية ! من عينك . ولئلا تطلع شهرة عائبة في الصبي » وبعد ثلاثة اشهر تأكد من عود السكّر فاتاني منكسر الخاطر ماحاً وجنبه بالتجهم والاكتئاب. وجرّبت بعد ذلك ان اطعمه «حلاوة بيروتية» فعافها ولكنه تناول « بلكوماً » من التين المطبوخ بالسكّر وقبل ان الفظ كلمة المنع كان البلكوم قد اختبأ في معدة حامية كحيطان جهنم .

اتيتك بهذا الشرح لأؤكد لك ان الحمية هي كل الدواء . وهي بوسعك وما تتحاماه من مأكل عوّض عنه بالانسولين يومياً ويصير يصح لك ان تتناول اصنافاً من الغذاء ما حلا الحلويات . وقليل من الجوع انكى للسكّر وانفع لصاحبه من المنع

ما ذكرته لي من صداقة حضرة الاب المحترم عبدو مدير «المشرق»[1] وما وقع في نفسه من تأثير زيارتكما السعيدة لي وما تتحدثان به عني ايام تلتقيان لا استغربه لانكما ممن يرى الحسن ويصرف النظر عن القبيح ، ولان الباطن لا يراه الا الله وما يحكم الانسان الا في الظاهر ، وعين المحبة لا ترى غير الجميل وربما عدّت القبيح جميلاً . وانا اشكر لكما واؤكد لك انني قد احييت حضرة الصديق الكريم الجديد الى ابعد مدى . ومَن لا يحب العلم والفضيلة والكياسة والاخلاق الصافية. وان قلمي لاعجز في التعبير عما يزدحم في فؤادي من عواطف الشكر لك على اعطائك اياي هذا الصديق الجليل المحبوب الذي يركن الى مودته ويستوجب كل اكرام واجلال . بماذا اكافئك على صحة محبتك لي ودوام اهتمامك بشؤوني فلو كنتُ انا انت بالذات وكنتَ من ذوي الانانية المفرطين في حب الذات لمَا خطر في بالك ان تصنع اليّ اكثر مما صنعت وتصنع فليكافئك الرب خيرًا ويردّ عليك الصحة على ما احبّ ان تكون لك .

ويمدّ في عمرك فاتمتّع واتعزّى باخوّتك التي هي اقرب اليّ والذّ لي واثمن في نظري من الاخوّة الطبيعية .

من جهة صحتي لا اشكو من ضيم ثقيل. الكُلية ذات الحصاة لا تؤلمني موضعياً كما لو كانت سالمة . اما المعدة فذات كسل وبطء في الهضم فلا تخلو مرةً من غاز ينفخ ويتصادم ومن حمض يقلّ او يكثر . والعلاج المألوف لتخفيف الألم الحمية واجادة المضغ ودقّ الطعام وحرسه واحياناً كثيرة امراره بمصفاة تنعمه وتنقّيه من خيوط الخضرة التي تكون في ورق السلق وامثاله . وهذه الطريقة تسهّل الهضم وتعجّله وتخفّف من الألم الذي لا بدّ منه بعد

(١) هو الأب انطاطيوس عبده خليفه اليسوعي .

كل اكلة اياً كان نوعها . وقد يمرّ اسبوع كامل لا تحرّك المعدة فيه ساكناً وتكون كصاحبة لا تريد بي اذىً وهي تخشى الاذى من قبلي ، اي من قبيل الحشو نوعاً وكماً !

بشرتني بزيارة تقوم بها انت وحبيبنا الاب عبدو المحترم . اهلاً وسهلاً ومرحباً . اود لو امكنك ان تعين لي يومها قبل حلوله لاصلح لكما غذاءً لان ما نصلحه من طعام لي وللاخ الياس لا يحسن ولا يطيب لغيرنا . واذا كان قدومكما علينا فجائياً فلا نجد في الدير ولا في البرامية ما نقدمه لكما ولا يكمل سرورنا بزيارتكما الا ان يصير بيننا وبينكما (خبز وملح) .

الآن الى السرير فقد صارت الساعة العاشرة . تصبح بخير . ويبقى ذكرى عبدك في انطوش جبيل .

عن البرامية — في ٩ آذار سنة ١٩٥٥

اخوك ثابت
لبناني

١٤

اخي وحبيبي المقيم في قلب اخيك مالكاً لا مستأجراً

لا اقول لك اضمك الى صدري لانك مضموم (والضم علامة الرفع) وساكن في سويداء قلب اخيك . والضم والسكون لا يجتمعان الا في السويداء التي على صغرها تتسع لك على تمادي الزمن ، وعلى قدر اتساع فضلك ومروءتك ومودتك الصافية حتى لا يكون لك من ضيقها زاعج اذا ازداد عناك اشتباه لك من امتلاء الصحة وسمن البدن . وحتى لا يداني وهمك ان ابطائي في الكتابة لك بعض الوقت معلول نسيان مقيت . او مساس لعهد الأخوة ، او فتور في حرارة الحب او ما اشبه . والحق اني كنت انتظر زيارتك لي استناداً الى وعدك وزيارتي لك بعد الفراغ من شؤون الرعية والمعايدات التي تقتضي وجودي في الدير لخلوه ممن ينوب عني ولا سيما في استقبال زائريّ من اقارب واصدقاء من دير القمر وغيرها .

ومن اشد موانعي عن المجيء اليك مانع الألم واحياناً الخوف من تدوم الألم فاني من بدء سبة الآلام المقدسة الى اليوم لم أجتز ولا يوماً خلا من زيارة المغص في المعدة بتفاوت في شدته وخفته . وهذا الألم يفاجئني من حيث لم يكن ليخطر في بالي . فقد قمت بزيارات المعايدة لبيوت مجاورة ولم ينلني شديد ضيق وتعب واخذت التمس باتمام الزيارات فاضطجعت وحيدي الاخ

الياس ثا مشيا رهاء مئتي متر حتى واتبي المعص مواتبة العدو الثائر الحاقد المتقد الغضب فرجعت على عقبيّ مخافة ان يجدّ بي الامر فأحمل الى المستشفى كما وقع لي في السنة الماضية وعقدت زيارة الرعية بتقدمي الاخ الياس فاغنى عنائي وتمتع وحده (بقرط) البرتقال والاكدنيا في بيوت البساتين الصيداوية الغنية بالاثمار والازهار في مثل هذا الفصل من فصول السنة .

والآن ازف اليك المعايدة مستحيياً ومعتذرًا ولا اذكر لك تمنياتي وكلانا في علمها سواء لان قلبنا قلب واحد فكبدنا شعور واحد بما يكبه ويبتئس به ذلك القلب الواحد المزدوج .

كيف انت والسكر في متناعب هذا العيد ايكما الغالب ان كنتم في قيد ويكما السالم ان كنتما في صحة وسلام ايّاك والركون اليه اذا امست سمه جموحاً الى الخدنة . انه عدو مخادع غدّار يخبئ احياناً وراء ظاهر الغدر تأنيا كاذباً حتى اذا كشف الخوف من شره او انتقص خرج من كمينه فجأةً وواثب عدوه الاعزل الآمن المغرور . فاحتفظ بسلاح الحمية لا تلقه عنك البتة لتسحق به رأس ذلك الافعى الهائل فان استعصى على مراوغة الحمية فادهنها بالانسولين يفرّ من وجهه فرار الزئبق من وجه اللهيب او تقف فاعلية سمّه الفتاك . وقوة الله كافلة بالشفاء . وهذا الذي اقوله انت تعلمه اكثر مني لتمرسك به ، لكن صاحب السكر قويّ شهوة الطعام ولا سيما المغري بحلاوته . وقد عرفت ذلك بمراقبة كثيرين وحسبي مراقبتي للاخ الياس فانه ينحص بعد الحمية اياماً فلا يجد للسكّر عيناً ولا اثرًا ؛ الا ان اقلّ خروج عنها يعيد اليه مغلوبه جريئاً وقوحاً غير وجل ولا هياب .

رواية الكسيوس المعروف باسم ريشا لم اعثر عليها بين اوراقي رغم الحاقي في التفتيش فحوّلت رواية ماريتوس من تمثيلية الى اخبارية ولم يبق امامي الا تبييضها . فمتى تمّ لي هذا ساعرضها لك قبل حملها الى مجلة «المشرق» لتعطف عليها بنظرة نقد وتهذيب . فان حظيت والا فلها موضع في مخبأ غيرها من الاوراق . وكما تكون حال الهرم تكون حال القلم عند الهرم . بلّغت العمر الاطول وسلامة القلم المُرهف يا عكّاز شيخوخة .

عن البرامية — في ٢٤ نيسان ١٩٥٥

اخيك مبارك ثابت

١٥

اخي المحبوب الاب انطونيوس شبلي اللبناني الوافر الاحترام .

في هذه الساعة الثالثة بعد ظهر الاحد اليوم الثامن من شهر ايار المبارك سنة ١٩٥٥ في هذه الساعة انتبيت من تبييض رواية مارينوس وكنت انت نصب عيني واقرب الى نظري وفكري من كل كلمة اصورها على القرطاس . لم الق القلم من يدي لاتنفس الصعداء واذوق طعم الراحة بعد التعب لا تعب الفكر ولا تعب العين ولا الانامل بل تعب المعدة وتعب تبخير الغرفة بدخان السكاير اشعلها حامية متتابعة ما دمت امرّ قلمًا على ورق حتى اخذت اكلّم الحبيب بالقلم لأني قلت لا يريحني مثل التحدث اليه لانه لذة واللذة اقوى من التعب ونادر ان يجتمعا . كتبت الثلاثة الاسطر الاولى وقبل ان آخذ في الرابع اتاني صديقان من الجيران صديقا « شاش باش إكي بير » يزورانني كل مساء للتلهي ساعة او ساعتين بلعبة الشاش باش حتى اذا غابت الشمس وهو ميقات زياح السيدة العذراء يصليان معنا في كنيسة الرعية او في معبد الدير ورجل كل منهما (معقيله تجرّ كل العيلة) بمعنى انهما قدوة للغير .

وقف وارجاء الى غد الى صباح اليوم الاثنين ٩ ايار . لكن الصباح كل صباح ليس للقلم بل للطنجرة لان عليّ بعد حصة الله التي لا تسبقها حصة اعداد طعامي بيدي ولا بد من انصرافي اليه ويوم أخلّي الطنجرة على النار لاقبض القلم انساها فتحترق بما فيها . فكم مرة كان غذائي فحماً ليّناً . او وجدته فحماً حجرياً لا يقلع من الطنجرة الا بازميل حديد او (باصبع ستي ام شديد) الآن نضج الكوسا المسلوق في الحليب فضي بالي من جهة الطنجرة هي الساعة العاشرة :

صباح الخير يا حبيب اخيك . كل ما جاء في مكتوبك ٢ ايار وقع من نفسي وقع الندى على الزهرة لفحتها السموم . ما عدا اغفالك مدراة العدو السكّري الغدّار المقيم في الدار مع امكانك ان تتسلح لمجابهته بالحمية للخصد من شوكته وهي مستطاعة مع تراكم الاشغال وترابكها وشرب القهوة والتدخين وزيارات العيد وما اشبه لان قوامها الاغتذاء بالخضر وهذا ميسور لك ولغيرك من السكّريين والسكّريات في كل حال . فهذا وحيدي الاخ الياس يدخل ويخرج ويقوم باشغال المطبخ ويقرع جرس الكنيسة خمس قرعة متتالية ويشقق حطباً فلا يزيد ذلك في سكّره . واذا تحامى عن الاكل واقتصر على الخضر يومين او ثلاثة ثم بحث عن السكر لم يجد له عيناً ولا اثرًا . وهو يأكل كثيرًا كيلوين من الفول الاخضر او مثلها من اللوبياء الخضراء وربما اكل الصنفين

معاً في يوم واحد ويظل السكّر متوارياً . واذا اكل الحبوب او الحلواء ولو قليلاً تجدد عنده السكر بتفاوت في الكمّ على حسب التفاوت في كمّ ما أكل . فاذا لا تجرّب مثل هذا الاكتفاء بالخضر تضيف اليها قليلاً من اللحم الحالي من الدهن لترى ما يكون من امر السكر حتى اذا تقلّص ظله او خفت وطأته تحمد الحمية وتبت معها عهد صداقة ومصاحبة وتعاون على العدو . ولديك في هذه الايام ركام من الكوسا والفول والكوبياء والباذنجان والاربيط والسندورة وما شاكل . فاكره النفس على قبولها والاكتفاء بها ترى السكّر يفرّ من وجهها هارباً مدحوراً . ومتى امنتَ من سطوة العدو تأمن ايضاً من ادى الاشعاع متراكمة على رأسك لانها اذا خفت من مصادرة مرضك تدلّ لك وتعود صاغرةً لرأسك (الكبير) الذي يسع كثيراً من الاشعال العقلية وهي اخف من بعوضة وقعت على رأس جبل . فاتهم ان يكون تماثل بين قوة البدن وقوة الرأس ؛ ولا تحتمل لك هذا التناسب الا بملازمة الحمية انها شاقة لكن ثمرتها لذيذة تنسي المشقة وتحمل على شكرها وحبها وكراهة فراقها . شفاك الله واعطاك ارادةً حديديةً تقوى بها على جلب النافع ودفع الضارّ فتبقى ذخيرةً نفيسةً وعضداً قوياً وقرّة عين مستمرة لاخيك حيرد ما يصيبه من عطفك وفواضلك واهتمامك بشؤونه فلم يعد يجد من لسانه وقلبه وقلمه ما يفي بحبك وشكرك فيعود الى الاجتزاء بهذه الكلمة الحلوة . حبيبي لي وانا له !

ما اجمل ما افكّر فيه كلما اهتديتَ الى ضائع من مكتوباتي كهذا الذي تخبرني به من اهتدائك الى رواية الكسيوس ووعدك بان تحملها قريباً اليّ . وما هذا اول ضائع تتكلّف البحث عنه حتى تجده فتردّه اليّ . فالامر الجميل الذي افكّر فيه هو اني اذا اضعت كل ما لي من القوة الذاكرة فلي من مروءتك وقوة ذاكرتك ما يغنيني عمّا اضعت فكأني لم اضعه . زادك الله قوة صالحة في كل ما هو لك وزادني شكراً لك واستغناءً بك وتعويلاً عليك .

وعدتني بان تشرفني بزيارة قريبة ويكون صديقنا الوفيّ المحبوب حضرة الاب عبدو خليفه مدير « المشرق » الغرّاء فاهلاً وسهلا ومرحباً بالزائرين الكريمين من فؤاد اخيهما المكان الارفع .

... وانا اقبّلك في الختام .

عن البرامیه — في ٩ ايار سنة ١٩٥٥

اخوك المفاخر باخوّتك

مبارك ثابت

لبناني

١٦

الى حبيب القلب الاب انطونيوس شبلي رئيس انطوش جبيل الوافر الاحترام

عم صباحاً أخيّ واسلم معافىً عزيزاً .

انا في كل ما عهدتَ بي من الاخلاص والحبّ ولوازمه ثابت لا احيد يمنةً ولا يسرةً ما دام لي رشد من العقل وحزم من الارادة . كثيراً من الاشياء قد نسيتُ وكثيراً من الشؤون يغيّب الآن عن ذهني النسيان . اما فضلك الي وعطفك عليّ الى صدق مودتك وصفاء محبتك الى ما يأخذ بلبي من إشراق خصائلك ومحاسن اخلاقك واستقامة مسالكك . هذا اعتقادي وما تعوّدت او اطنّ بغير ما اعتقدتُ .

كيف انا في الايام القليلة التي اجتزتها من بعد كتابتي الاخيرة اليك ؟ لا اشكو الا من معدة تناجزني القتال منذ ستين عاماً : قتالاً لا هوادة فيه فلا انا غلبتها وكففت شرها ولا هي غلبتني وتفرّغت لقتال غيري .

لي عشرة ايام لا اذوق طعم الراحة .. نهارات ألم وليالي ألم وأرق . لا اكاد ارى اجفاني تقبض على الكرى حتى يُخيّل فاراني كقابض على الهواء . من الساعة العاشرة الى الثالثة نوم ساعة وأرق ساعة . اشتري النوم بطول القراءة فيذهب الثمن ضياعاً . يوقظني الألم بهزة قاسية يحمل بها على ممر الساعات . ثم من الساعة الثالثة الصباحية الى العاشرة المسائية آلم يطيب له المقام في المعدة يجيئها حيناً من الكبد عن اليمين وآخر من الكلية عن اليسار . واحياناً يتمطى فيطول شبراً او شبرين زيادة على قامته صاعداً الى ما فوق الى مصايف العنق والكتفين غارزاً اظافره المرهفة وابره النافذة حيثما وجد مغرزاً أقاسياً كان المغرز ام ليّناً . ضيف ثقيل نزل عليّ ينازعني ملك بيتي كأنما هو من بناء يده او ارثة عن ابيه وجده المقلقين . فلا بالتمليق استطعت إخراجه ولا بالتخويف ولا بوخز الابر ولا بضرب العصا ولا بقرع السيف ولا بشتم ولطم ولكم .

طويت الايام العشرة على الحال التي ذكرت وكنت في خلالها استنجد بيسوع ومريم واستجيرهما فلا ارى منهما اصغاءً اليّ هكذا كانت مشيئة الله امتحاناً لصبري وتربية لاجري . ثم انهما انجداني واجاراني فشرّدا محاربي وأبعداه خاسراً ذليلاً .

وها انا صباح اليوم في الساعة الرابعة فتحت عينيّ وتأملت فاذا العدو

قد انهزم وعثرّه قد انحطم فتكسرت لمتذيّ . وبعد البحار من فروضي الدينية أجلست قدح النهوة امامي وسيغازني بين اصبعيّ والقلم في يمناي اكتب لك هذه السطور . اسأل الله ان يجود لك بالصحة الوافية ويمد في عمرك ويبدل سكرك المكروه بحلاوة العيش وخلوّ البال . عش فرحاً لقلب

عين البرامية — في ١٤ ايلول ١٩٥٥

اخيك ثابت

١٧

ايها الاب الحبيب والاخ الوحيد والصديق الصدق

اصابك الى صدر لم تبرحه ولا يوماً ولا ساعة لا في ظاهر الصدر انت بل في داخله في اخاديد الفؤاد وسويدائه . لعله يمرّ بخاطرك من طريق المضاكهة ان البيت اضيق من ان يسع جسمك النحيل ودماغك الكبير . فاقول انك أوتيت من خفة الروح ما يحملك لو نزلت بالعين لانطبق عليك جفناها وهي لا تشعر بوجود انسان عندها غير انسانها .

كتاب الطب العربي قرأت عدةً من صفحاته الأولى فوجدت انها لا تخلو من فوائد ورجح عندي ان الكتاب مقدر له الرواج عند العامة لان بعض وصفاته دارجة في استعمالهم في جميع النواحي اللبنانية فاشاعتها بينهم مطبوعة تقرّر نفعها في اذهانهم وتزيدهم توفرًا على اعتمادهم عند الحاجة . واذا وجدوا مهاودة في الثمن فلا يبطؤ ان يصير في بيوت كثيرة متى حصل العلم به والتشويق اليه فان الانسان مائل بالطبع الى اختيار ايّ علاج يباعد الالم عنه أو يخففه او يسكّنه ولو الى حين .

واني ارى انه اذا أعلن في بعض جرائد من كثيرات الانتشار يطلبه كثيرون حتى من الخاصة والاطباء ايضاً لما في الانسان من رغبة في معرفة كل جديد فان لم يكن للانتفاع به فلاغراض أخر في مقدمتها معرفة الجديد . بارك الله نشاطك وهمتك وزادك قوة وصبرًا على انشاء الاعمال الجامعة بين اللذة والنفع . ولك الشكر على اهدائك لي نسخة من الكتاب شكرًا كبيرًا نصفه حظ لاخينا وصديقنا الوفي المحبوب الكريم الاب اغناطيوس خليفه اليسوعي الذي له في نفسي مكان يكاد يكون مساوياً لفضله وخلاله العالية ، قلت يكاد لان تمام المساواة ابعد من استطاعتي فما كل ما يُرام يُنال .

كيف صحتك الغالية واحوالك الجارية اني راحة انت وطمأنينة وسلام من كل ناحية ؟ انا على ما تعرفه من حالي . ألم المعدة صديق لي منذ عهد

الصا فلا يفارقني ولا بالتذمر والتسرمر لكنه يختبئ احياناً ويرقبني من وراء الستار ليرى ويسمع ما افعله واقوله مما ينظر الى عهد الصداقة المُبرم من جهته دون جهتي ثم لا يلبث ان يظهر ويقول ها اناذا يا صديق لن اتركك الى المنتهى . هات الساعة كربونك وكازوزك وبانسرنك وماء زهرك والمسكّنات والمخدرات من سوائل واقراص وحلو ومرّ فاجالسك وقتاً واريحك من تعب العمل العقلي والبدني والزيارات القريبة والبعيدة رفقاً بشيخوختك الحاملة ثقل السنين . واذكّرك بتطلان كل ما تحت الشمس واحوّل نظرك جهة الافق فترى عندئذ شمسك وقد بدأ يُلقى على وجهها حجاب الغياب فتأمل في ما وراء الافق واجعل همّك الى احسة الطريق . قلت اذن مرحباً بك انك نعم الصديق ونعم الرسول . تقبيلة في الجبين . بتيت طويلاً كريماً سليمًا قرّة لعين

البرامیه — في ٢٢ شباط ١٩٥٦

اخيك
مبارك ثابت
لبناني

١٨

اخي المحبوب

شغلنا الشاغل المزّات الارضية . وهمّنا الاكبر ضيق منكوبيها : مئات من اصدقائنا والذين تمتّ اليهم بصلات متعددة لم تزل قائمة على تقادم عهدها : مئات من هؤلاء ومن الذين لا نعرفهم ولا يربطنا بهم الا رابط الايمان والانسانية نراهم وقد تهدمت منازلهم وخربت ديارهم وتلفت مؤنتهم واثاثهم وملابسهم قد صاروا الى اشد العوز لكل شيء : المأوى والملبس والمفرش ، فهم يفترشون التراب ويتدثرون بالبرد منصوبين لهطل الامطار ورشق البرّد الساقط عليهم بحجم البندق واللوز مما لم يُشاهد مثله في فصل الشتاء ، فكأن كانون الذي قضى نحبه ودُفن في حفرة الزوال ورُكمت على قبره ايام شباط وآذار ونيسان بُعث حياً ونفض عنه رُكام الأيام وزحف على شهر ايار بجيش من المطر والبرد والصقيع والريح الباردة تهبّ هبوبها الحامل الاذى من الشرق والغرب والشمال والجنوب ليعلم الناس ان الله اذا شاء ان يعاقب الارض شللاً لرجاسات القائمين عليها سلّط عليها اسباب الدمار من جوفها ووجهها ومن فوقها وحواليها . وانه لا ملجأ الا اليه ولا مهرب من عدله الا الى رحمته . يهزّ قضيب تأديبه لعلنا نعود الى خشيه تائبين لمرضاته .

هزّتان صباح اليوم الثاني من شهر ايار ، ألمّتا من الذعر في القلوب

ما حمل على اخلاء المساكن المتصدعة والسليمة ايضاً خوفاً من الانهيار والموت تحت الردم . كل حركة تحدث فجأةً تقع في الوهم هزّة تهزّها الابدان وانتظار هزات جديدة مسيطر على النفوس يزيده استمكاناً شائعات تتناقلها الالسن توهم ان زلازل ستحدث في اليوم الفلاني في الساعة الفلانية تنبأ عنها العالم الفلاني والعالم الفلاني ممن يوثق بعلمه وممن تنبأ عن الهزات الماضية فتمت نبوءته لم يسقط منها حرف ولا ظرف . هذه الشائعات والاراجيف تفعل في النفوس اكثر مما تفعله الزلازل عينها .

هذه الاحداث والشؤون لم تنسني محبتك ولا عنايتك الواسعة بشؤوني فانت في قلبي لايخرجك منه الا سكتته الاخيرة .

العلم ساكن ساكت لا يحرّكه الا ما لا بد من قضائه من رسالة او تدوين حادث او تسجيل حساب . في سبيله حواجز من حصاة الكلية واوهار الشيخوخة وركام الايام . واكثر ساعات يومي الفاضلة عن الصلاة لاستقبال الزائرين الآتين لحاجة او للتسلية اتلهّى معهم عن ثقالة التفكير في ما لا يثمر غير الاهتمام . ولا ابرح الدير الا لعيادة مريض من رعيتي او لشأن من شؤونها شرط ان لا تكون الشقّة بعيدة فان كانت جعلتُها على همّة الاخ الياس وهو الذي يقوم مقامي في زيارات الاعياد وفي تكريس البيوت بالماء المبارك لانه يحسن الرش وما يصاحبه من برتقال واكدني وحلويات وقهوة بنّ وما شاكل وهو على المشي قدير .

كيف انت من كل وجه ولا سيما من السكّر ضيفك الثقيل — وماذا لديك من اخبار رهبانية ومطرانية . وعمّا يعنينا من وقت التغيير والتبديل المنتظرَين — رواية مارينوس اتيتُ على قراءتها في مجلة « المشرق » فاستملحتها كشيء لا انا انشأته ولا رأيته من قبل . والحق ان الفضل للصديقين الثمينين شبلي وعبدو اما انه لولا عنايتكما لمّا برزت من مخبأها المجهول . وهذه يد جديدة أضيفت الى ما لكما عليّ من ايادٍ بيضاء ومن اجلها اضم شكرًا جديدًا ودعاءً لكما جديدًا الى ما سبق من شكري لكم والدعاء . اثابكما الله خيرًا وزاد في فضلكما وفي قدرتكما على النفع وأمدّ في حياتكما الثمينة المجلّية في حلية الدين والعلم والادب والاخلاق . تقبيلة حبّ واشتياق من شفتي قلب

عن البرامية — في ٩ ايار سنة ١٩٥٦

اخيك
مبارك ثابت
لبناني

١٩

اخي المحبوب الاب انطونيوس شبلي رئيس انطوش جبيل الوافر الاحترام

اشتياقي اليك على قدر ما استطيب لقاءك وعلى قدر ما لك من فضل وجميل الي وما اعتقده من محبتك العملية لي . لا اقول على قدر محبتي لك لانها وان كانت عظيمة ولا تزال تتعاظم فانها اذا قيست بمحبتك لي اصبحت كلا شيء . منها وجّهت من قلبي اليك فقليل جداً واخجل ان اسميه وفاءً لان الدين الذي لك قبلي اكبر من قدرتي على ايفائه وان جهدت. ما حيلتي في مكافأة من يصل المعروف بالمعروف يكرّمه لديّ بلا طلب ولا حساب ولا امل استرداد بل يعدُّ قبوله من قابله فضلاً وجميلاً واحساناً . ان هذا لمنتهى الحب والوداد والاخوّة والصداقة والجود .

ألستَ ارعى لشؤوني مني لشؤون نفسي ؟ لكنّ شيئاً اشكوه منك اليك وهو انك قد عوّدتني التوكل في كثير من أمري التوكل عليك فقط ؛ على مروءتك ووعيك وصدق محبتك وبعد نظرك واهتمامك بامور ي كأنها امورك . لقد اثقلتَ كاهلي بحمل لا اعرف كيف انزله ولو عرفت واستطعت لما أردت ان أنزله لان بقاءه يسرّك ويسرّك ايضاً ان تزيد عليه وما دام هذا حسناً في نظر خلالك العالية فسأحمله الى المنتهى ليكون لي كفناً وحنوطاً .

لا تعجب من ابطاء الكتابة اليك فان الفاتح ابا ركب اقبل اليّ كاشرًا عن نابه فخفته ولم ارحّب به فعدّ ذلك امتهاناً ووثب عليّ وثبة الليث وصرعني صرعةً قاسيةً ألصقتني بالسرير اسبوعاً وبالغرفة اسبوعاً آخر لكني صمدت له ولم ارهب بأسه وسطوته وما زلت حتى غلبته فانهزم تاركاً لي من صحتي ما كان قد غنم . الا انه ضعضعني طول مدة ضيافته الثقيلة فابطأت بالكتابة لك الى اليوم .

عسى ان لا يكون اراك وجهه القبيح ولا اضطرك لمواقعته ولا اجتاح المدينة الاثرية ولا رعيتك المحبوبة ذات الكنائس والمعابد والقديسين وسلطانة جميعهم ملكة الارض والسماء .

ما انباء صحتك واشغالك وسائر احوالك ، هل تغيّر عليك شيء في هذا العهد المبارك ؟ وهل أعطيت معاوناً لك على حاجات الرعية الكبيرة ؟

اذا جمعك موضع بحضرة الصديق الكريم الاب عبدو فتلطف وألق اليه تحياتي ومودتي وشكري حيثما وكلما التقيتما ليكون لي الشرف والفخر بحسباني ثالثاً

مضافاً اليكما ولو بالرغبة والشوق . وها انا الآن اعانق كليكما متمنياً لكما وفور الصحة ودوام التوفيق وطول البقاء .

عن البراميه — في ٦ كانون الاول سنة ١٩٥٦

اخوك
مبارك ثابت
لبناني

٢٠

اخي الحبيب

امعالياً اكون ان صدّرت كتابي اليك بهذه الالفاظ المعبّرة عما في اعماق النفس من مدلولاتها القارّة : اخي اني امي صديقي حبيبي الى ما بشاكلها من كلمات تعني المحبة والاخلاص والعناية والحنان وبذل المعروف تطوعاً بلا سؤال مني ولا توقع مكافأة منك . اني وايم الحق لم القَ من أب وأم واخ وصديق ما لقيته والقاه منك ايها المفضّل على كل حبيب . لقد صغرت في عين نفسي على قدر ما كبّرت نفسك في عيني وعلى قدر افتخاري بمؤاخاتك ومصادقتك وولائك وعطفك وصفاء مودتك وعلوّ اخلاقك لم اشعر بمثل هذا في وجه غيرك ولم اقل مثله لغيرك الا واخذني الندم عليه اذا وقع لاني خبرت كثيرين فلم اجد الذهب المصفّى الا عندك فقليل كل ما اقوله فيك واقل كل ما بطاقتي من الشكر لك والثناء عليك .

لا اكتفي برسائلك لحصول الاطمئنان الى سلامتك وسائر احوالك حتى اسأل عنك كل قادم من جبيل ومن اقلم جبيل وكل مارّ به ولو طائرًا وريحاً ونسيمًا وغيمةً كائناً لونها ما كان انه مرضيّ ومحبوب . قرأت رسالتك الاخيرة فرأيتك مثقلاً بالمهمات فلم ارحمك ولا اشفقت عليك من تعب ومفاعيل تعب لعلمي بما لك من قوة الارادة وعلوّ الهمة والاستعانة على امورك بتأييد من الله يؤتيه من عمل في سبيله وتوكل عليه ، بل سألت لك دوام نعمته التي تقوّيك على النهوض الاتمّ بكل ما ألقي عليك من اعمال خدمتك الشاقة والمستمرة فانه تعالى لا يضنّ على خادم له امين بما تقتضيه الخدمة من صحة النفس والبدن ومن جلَد وتبصّر فضلاً عن اللذة والسلوة المفاضتين بتوقع الثواب المبني على الفضائل الاساسية العليا الايمان والرجاء والمحبة . وما اكثر ما لديك من اسباب التعزية والفرح في متاعب الاعياد بالخلات التقوية الشائقة في كنيستك الاثرية العظمى[1] حيث تقف على المذبح الكبير ووجهك الى

(١) يريد بها كاتدرائية مار يوحنا مرقس الأثرية — في جبيل .

الشعب فترى الكنيسة مليئة بالمؤمنين رجالاً ونساءً واطفالاً يصغون الى ما يصنع على المذبح من خدمة الذبيحة الالهية المقرّبة عن الخطايا والى ما يلقى على سمعهم من تعاليم الرب المذبوح عنهم : كلمات تنطلق من فم راعيهم الغيور كالاسهم تنفذ الى اعماق الضمائر والقلوب فتضرم فيها المحبة للفادي الالهي المحبّ الى اقصى غايات الحبّ فيتسابقون الى منبر التوبة حيث تتفجر ينابيع التعزية السماوية لارواء ظمأ الرعية والراعي على السواء .

وما اجمل هذا الاجتماع في كنيستك كل مساء من شهر مريم المبارك اذ تتجلّى المحبة الابنية والاكرام والتعظيم للام الجليلة العامة سلطانة السماء والارض بالاناشيد والتراتيم وانواع الازهار النفسية والنباتية من كل زينة تُخصّ بها شهر ايار . فالى العذراء القديسة شمسِ ايار الجميل المشرقة ارفع تضرعي لتبسط عليك جناح حمايتها وتسلك بثوب العافية والوقاية من كل اذى وضرر . وتتمتع في حياتك الغالية فتطول نافعةً على قدر ما يشتهيه ويلتمسه الذي انت سنده وفخره ومحبوبه .

اخوك

مبارك ثابت

لبناني

انا وقد جاوزت الثمانين لا يحق لي ان اشكو من امر لا من جهة الصحة ولا من غيرها بل اشكر الله على ما هو لي من فضله وجوده مما لم استحقه من وجه ولا سيما ما وهبني من اخوّتك وصداقتك ومحبتك وبنائك وبنائي لانعم بذكر معروفك وبرؤيتك المحبوبة من حين الى حين وبرسائلك الشائقة تُنفض عن ريح مسك تشمه الروح فتستعيد النشاط بعد فتور .

عن البراميه — في ١٣ ايار المريمي الشهي ١٩٥٧

٢١

ابت العزيز

صباح خير ويمن وفرح

أصدّر كتابي اليك بهذه التحية اللبنانية القديمة التي لا تعتق جدتها وان غدت مبتذلة (لا عندي) ذلك لاني بعد مخاطبتي الحبيب الاول الاعلى والاغلى بالتأمل والقداس وصلاة الفرض منتهياً عند تبلّج الصبح تبلّجتُ الى الحبيب الثاني ، اليك يا قرين الروح فاخذت القلم وكتبت تحية الصدر ورأيتها حسنة .

بسطت امامي اربعة مكاتيب من قلبك المحب وروحك العالية وانشائك

الفاتن واسفت لما فرط من سكوتي على الاربعة الى الساعة . واردت ان اثني على نفسي باللوم فتنصّلت وقالت : لا تلم الا خيانة ذاكرتك وتراكم اشغالك وتضافر كانون وشباط على حطم قوتك . عدوان للكهولة الحساسة اجارني الله من شرّهما وردّ كيدهما الى نحريهما . تصرّم عمر الاول ونصف عمر الثاني وجُعل النصف الآخر « صراخاً عليه » .

في مكتوبك الاول تسأل عما انتهى اليّ من اجزاء « المشرق » لتعلم ما نشر فيها من رواية هيفاء . الجواب : ثلاثة اجزاء . اولها آذار ونيسان سنة ١٩٥٢ . ثانيها ايار وحزيران سنة ١٩٥٢ وفيهما شيء من الرواية . ثالثها تموز وآب وقد اخلته هيفاء هرباً من حر الشهرين .

وقلت ان « خطاب الصوم » يتم نشره في اواخر كانون الثاني وتتحفني ببعض نسخ منه مطبوعة على حدة فانا بانتظار ما وعدت .

« معارضة نص كتابين مخطوطين بكتابين مطبوعين »[1] وصلني بالبريد دليلاً على عيلك الى « المعارضة » . عارض ما شئت فمعارضتك لذيذة ونافعة . وخطابك لاصحاب السرقة الادبية له وقعه الحسن لكن السرقة لا يردعهم تشهير ولا حبس لان السرقة مهنة رابحة تغر اصحابها بالربح وتعصب على بصائرهم حجباً طول الخسارة .

سرني عزمك على الاستراحة من القاء الرياضيات الى ما بعد الاسبوع الاول من الصوم . لعلك تكسر من حدة حلاوة السكر الذي تشكو من ثقالته . شفاك الله .

وفي مكتوبك ٢٤ كانون الثاني الصادر عن دير الناعمة . فيض فن عواطف الحب والاخاء والاخلاص وتذكير لي بالواجب الانساني الذي قمت به شهراً واحداً من مدة الحرب الاخيرة ايام أمطرت الدامور وجوارها وما يليها الى الجنوب من الساحل قنابل نارية حدامة تُقذف اليها منقضّة كالصواعق ليلاً ونهاراً من البحر والبر من كل صوب . فهرب من دير الناعمة من هرب فقلدت نفسي وكالة الدير وحولته بمشورة الله وحده الى ملجأ تحصّن فيه الف ومئة نفس ملهوفة من كل جنس ومذهب يطاردهم الموت والجوع والذعر فكان لهم من روح مار جرجس وصهيل فرسه ما باعد عنهم الرعب واليأس وضرب من حولهم اسوار الأمن ودرّعهم رجاءً وشجاعةً . فانت تمدحني لهذا وليس الفضل لي ولا الثناء بل للقديس فارس الدير صاحب العجائب الذي تولّى

(١) مقال ضاف للاب انطونيوس شبلي نُشر في مجلة « المشرق » ثم جُمع على حدة .

حراستي وحراسة معاوني من اخوتي الرهبان ولا سيما الاب نعمة الله العريدة[1] الذي أبدى جرأة بطلية اذ كنت اكلفه الذهاب الى بيروت فيذهب ويجيء وقنابل الطيارات تتساقط حول سيارة الشحن وهو على ظهرها كمار جرجس على متن حصانه لا يدخل الرعب قلبه ولا توهن الشدائد عزمه .

وهناك رجل لا انسى فضله ولا اقطع شكره هو يوسف منصور عيد من الدامور ألقى الي بسبع عشرة الف ليرة جعلها وديعة عندي وقيد تصرفي في اشد الاوقات حاجة الى المال لاطعام البؤساء من اللاجئين لاني ما وجدت في خزانة الدير غير سبعين قرشاً ورقاً نقدياً وبعض صكوك على ورق . فاقتطعت من القيمة الفاً وسبعمئة ليرة لسد العوز واخفيت بقية المال لصاحبه في مخبأ يعرفه . وأنت نفسه الكبيرة ان تأخذ وصولا بالقيمة التي انفقتها لكي صاحب المقام يسر لي مثلها وزيادة قبل انصراف اللاجئين فاوفيته اياها رغم تمنعه من تبرعاتهم ونذورهم — اقرأ ولا تذهب مع الملل كل مرة اكتب لك ما يملّ .

وايضاً في المكتوب نفسه ترغب الي ان انشيء مقالا تاريخياً لذوي شهرة الفضل والفضيلة من رهبان دير القمر الراقدين ولا سيما الاب اغناطيوس شكري أبعدهم شهرة في الرهبانية وخارجاً عنها . ان البلوغ الى هذا الغرض يقتضي استفاراً وتطوافاً وتنقيباً مما لا تطيقه السن الكبيرة والصحة المائعة والاشغال الملازمة . لكني سأجرب الحصول على شيء بالكتابة فان انتهيت الى فائدة ولو قليلة فعلت . على ان املي بالحصول على تاريخ المولد والانضواء الى الرهبانية والتقيد بالنذور والتلبس بالكهنوت المقدس وتاريخ الوفاة وما الى ذلك من زمان ومكان ضئيل جداً . لان سجلات الاديار قلما حوت من هذه الاحداث المطلوبة التي بخلوها يجيء المقال هذراً لانها منه بمثابة الاساس من البناء .

الى مكتوبك ٢٩ كانون الثاني سنة ٩٥٣ . سؤال عن الطيب الاثر المطران بطرس الزغبي وعن المرحوم الخوري الياس الحاتك وعن تدريسي في قرنة شهوان : (لا تجفل) فالجواب قصير : عرفت المطران الزغبي كاهناً ومطراناً كان متكملاً العلم والتقوى ولين الجانب ولطف المعاشرة . واذكر انه كان من فاحصيّ في بكركي وشاهداً باهليتي للدرجة المقدسة . اما الحملة عليه فغائبة عن ذهني . ومدرسة القرنة ما دخلتها مدرساً ولا دارساً في

(١) هو الاب نعمة‌الله جبور من قرية عربة تزخيا — بلاد الجبة — المعروف بكبر جسمه وجمال طلعته وقوة عضلاته وجرأة قلبه وسرعة نخوته .

عهده بل زائرًا في عهد السعيد الذكر المطران نعمة الله سلوان.

وايضاً في مكتوبك هذا حديث عن رواية تمثيلية مدارها على طفولية العقل لابن العبري. تقول ان حضرة الاب بطرس ساره ألحمها مقالا نشره في « السنابل » فانا لا اذكر اني وضعت الرواية ولا انها مثلت في دير غوسطا. وهب انها لي فلست بعاتب على الصديق القديم الاب ساره في سرقته هذه غير الثابتة ولو ثبتت لاني لا اطلب كرامتي في ما اكتبه بل كرامة الرهبانية العزيزة احسنة اليّ فوق الاستحقاق. فسيان في نظري ان تُنشر كتابة باسمي او باسم سواي من اخوتي الرهبان لحصول الغرض الذي اتوخاه وهو مجد الله وتعظيم الرهبانية وذلك حاصل في الحالين. فليشهر بالمسيح ايّ كان. ويا طالما حبّرت قلمي لسائليّ بعدة تآليف وعدة تنقيحات تآليف وتعاريب لو رأيت تصحيحها بالحبر الاحمر لقلت انها وضع جديد لا تنقيح. وما اكثر المخطوطات التي غيّبتها عن نظري أيدي الاختلاس. وانا اقرأ ما نشر منها بالطبع ولا اطالب الخساسة بل ارحمها واقول حسبها قصاصاً ان تكون خساسة. ولا يدخل فيها الاب ساره حتى في ثبوت اعتدائه لانه صديق وحبيب وتلميذ قديم فما يكون قد فعل الا لعلمه باني لا استاء بل أسرّ بحسن حيلته وبراعته في سرقته (غير المحققة) اذ عرف كيف يغطي وجهها بقناع « الالحام ». ثم بعد فوات الوقت يكشف القناع لك بكلمة فيه حتى عرفت ما كانت وما صارت. ثم يدلي باعتذاره الجميل اقرارًا يبلوغ محبتي له نخم الرضا بانتحاله بعض ما ملكته بكد القريحة والقلم. فذره يا شبل واغتفر له من اجل ما ذكرته لك من اسباب الاغتفار. وقد يكون بريئاً من تهمة السرقة وما يكون (في الارجح) الا مازحاً معك اثارةً لغيرتك واختبارًا لنخوتك ومروءتك.

لقد اسهبت في بيان مطلوبك برسائلك الاربع الحافلة بالأدلة الدامغة على ما اوتيته من صفاء النفس وجمال الخلق وغزارة الادب وخلوص المحبة والاستمرار في رعاية عهود المودة والاخاء والولاء. فدعني الآن اعترف لك بعجز قلمي ولساني عن استيفاء ما لك في قلبي من حبّ وشكر واعجاب وفخر. ولو استطعت ان ترى بالباصرة ما ترى بالبصيرة لرأيتني واياك واحدًا مرأى العيان فانا لك كما انت لي الى المنتهى. تقبيلة حارّة من شفتي.

عن دير البراميه — في ١٤ شباط سنة ١٩٥٣

اخيك
مبارك ثابت
لبناني

٢٢

ابت المحبوب وشقيق الروح الاعز انطونيوس شبلي الوافر الاحترام

لديّ كتابك الموفد اليّ في ١١ آب سنة ١٩٥٨ تلقاه الفؤاد بفرح كثير بوقوع النظر على خطه الجميل في الغلاف من قبل فض ختامه . انه من احبّ الناس اليّ وأرأف واوفى اخ وصديق . وكنت اود لو حدثتك مدة في جواب اكتبه في الحال لكن اعمال الثوار الغادرة وخشية تعدياتهم المرهوبة باعدت الناس عن دخول صيدا الا لاضطرار وبكثير من التحفظ والحذر لان الثائرين في داخل المدينة حكومة ثورية ومحكمة تتولى القضاء واعوان مسلحون يقبضون على من تناوئوا واستضاعوا ويقيدونه بالقوة الى محكمتهم واسعد المقبوض عليهم من يجدون معه مالاً او متاعاً فينزعه قهراً . اما من لم يتيسر نفسه اذ ليس له ما يشتريها به فيضرب بالعصي ضرباً مبرحاً لا رأفة معه ويسرّح وفيه حياة . ولدى الاعوان اسماء مطلوبين باحدى التهم كأن يكون المطلوب كتائبياً او قومياً او مشكوًّا ولو بكلمة قالها ضد زعيم الثورة او ثائر سوريّ او مصريّ او عبد ناصري . لذلك ما احببت ان اكلّف احداً بايصال مكتوب الى بريد صيدا ولا الأخ الياس ايضاً لئلا اصير سبباً لوقوع ما لا أحبّ .

ان الاحداث الارهابية والتخريبية تقع عادة بالقرب من البرامية واحياناً حواليها لكن البراميه نفسها لم يقع عليها اعتداء ولا خوف فيها ولا اضطراب ومتى اشتد ازيز الرصاص ليلاً او نهاراً فاهل البرامية لا يقفون في مواضع يخاف عندها الاصابة بطائشات الرصاص . وحتى الآن لم تهدد بأي اعتداء او هجوم ، فديرنا والقرية بمنجاة عن الاحداث وعلى عادتنا من السكينة والركون الى السلام . على ان المحنة المألمّة بلبنان لا يمكن ان يواجهها بسلا ترجع وانكسار قلب له ذرّة من الشعور فكيف بقلب حشو تجويفه شعور !

هاك الآن حديث الصحة لانك تلطفت بالسؤال عنها : منذ شهرين رأيت ورماً في قدمي اليمنى فعرضت الغضلة الرقيقة للفحص فثبت وجود الزلال فلزمني الاقتصار من الغذاء على الحليب والكوسا المسلوق وبعض الفاكهة . ولم استطع الاكثار من تناول الحليب تأميناً للتغذية فحصل من نقص التغذية ضعف عاون نشوفة العروق (الشرايين) على اعادة دورة الدم فأدى هذا التعاون الى سقطتي مرة أولى فجأةً في ممشى الدير وغياب وعي فحُملت على هذه الحال الى سريري اشبه بميت حيث عاودني الوعي فرأيت الدم يسيل من شجة في رأسي فسألت ما هذا ؟ فقيل انهم وجدوني في الممشى مستلقياً على ظهري

لا اعي على شيء . قمت وانا ايضاً لا اعرف اني سقطت ولا كيف ولا متى . استُدعي الطبيب من صيدا فتحص الضغط والنبض والقلب فقال : ان مبلغ الضغط ١٣ وان القلب صحيح لا خلل فيه . وقصر علاجه على تضميد جرح الرأس . وبقيت اعالج هذا الجرح الذي يسير بطيئاً جهة الشفاء .

وكان اليوم الثامن عشر من آب وانا اقرّب الذبيحة الالهية الساعة الخامسة صباحاً في معبد الدير وقد بلغ اوان تناول الشعب فأخرجت الحق لاناول الاخ الياس وقد فتح فاه لقبول السرّ الاقدس وقد اخذت القربان الاقدس بين اصبعيّ لاناوله استمهلته قليلاً واسندت رأسي بين يديّ على المذبح وانا لا ادري لماذا . وما افقت الا وانا ممدد على سريري في غرفتي وبدلة التقديس عليّ . وفي الجهة الأخرى من رأسي شجة يسيل منها الدماء وأخبرت باني انقلبت عن المذبح مغشياً عليّ فنزعت عني البدلة وذكرت اني لم استوف تناول الاسرار فقمت الى المذبح وتناولت الجزء الاخير من الاسرار والغسالة وعدت الى سريري وما هي الا هنيهة حتى اقبل الطبيب واجرى فحصه الطبي وغرز ابرة دواء في جانبي الايسر وكتب وصفة علاجات واوصاني بالا اجعل فترة من الوقت بين نهوضي من سرير الرقاد وبين صعودي المذبح للتقديس حتى لا يسبق التقديس تعب جسم من مشي او تعب رأس من صلاة ، وان يقف الاخ الياس من ورائي امام المذبح ليسندني فلا اسقط الى الارض اذا فاجأتني غشية من مثل ما حدث في ما مضى . ففهمت ان الحادث لا يبعد ان يتكرر وان يكون أشد وابلغ وايقنت ان ما اصابني انما كان انذاراً من رأفة الله لاكون دائم التأهب للرحيل .

واذ صرت الآن على حال اتمكن معها من الكتابة فاليك انت يا احب الناس اليّ واوفرهم عطفاً عليّ واكثرهم فضلاً واحساناً اليّ . اليك أولى كتابة ازفها اول ما تمكنت بعد وعكاتي من امساك القلم وجرّه على قرطاس . اسأل الله ان يباعد عنك كل غمّ وهمّ وضيم ويمسح على سكّرك المرّ بكف الشفاء ويفرّح قلبك بهناء عيشك وطول بقائك . ان في سلامتك وطيب عيشك تخفيفاً او ذهولاً لما يرسله الله لي من محنة لتمحيصي : فاسلم خليّ البال يا قرّة عين

عن البراميه — في ٢٢ آب سنة ١٩٥٨

اخيك
ثابت — شبلي
لبناني

٢٣

الى حبيب القلب وشقيق الروح الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل الوافر الاحترام

تحية اخ محب ومشتاق وسلامة من فضل الله الى شفاء تام وركون الى عود الصحة وفرح وسلام .

في مثل حالك من المرض العارض[1] لا وسيلة للطمأنينة ورد الخوف الذي يغلب ان يتسلل من ثغرة الوهم لا وسيلة ابلغ من التوكل على الله والتسليم لمشيئته القدوسة وقرع باب رحمته الذي وعد بان يفتحه لقارعه بايمان . انت وانا نتفرع معاً وكثير من المحبين والاصدقاء والله يحب الالحاح في الطلب . ولنا في الانجيل الكريم مثل المرأة الطالبة حقها من خصمها لدى قاضي الظلم الذي مع عريه من العدل قضى لها من اجل الحاحها وتبرّمه من تكرير الطلب .

حلّت لقوة بالطيب الأثر المطران يوسف الدبس وكنت آنئذ في مدرسة الحكمة ولم تكن الكهرباء ولا العلاج بها وشوّهت اللقوة فمه واحدى عينيه فاضطر ان يمسك جفنه بملقط صغير من فضة ولم ينقطع ولو يوماً عن التأليف والمطالعة والتفكير وعاش على ذلك سنين عديدة وأتمّ ما كان آخذاً فيه من تآليف تقتضي تفكيراً عميقاً وبحثاً طويلاً ودقيقاً ولم يكن لمرضه هذا اقل صلة بوفاته ، بل كانت وفاته بتضخم حصاة في الكلية أجريت له عملية الشق لاخراجها وكان ان ضاق جسمه عن ان يسع روحه الكبيرة فخرجت من سجنها الضيّق الى مقر الابدية السعيد الذي لا يحصر بتخم .

اما اليوم فلحادثك الخفيف معالجات شتى ضامنة للشفاء باذن الله . وقد رأيت الولد خليل من البراميه يعالج خده بالكهرباء[2] وهو لا فكّر ولا حمّل دماغه شيئاً من التعب والهمّ اصابه مثل ما اصابك وقد تحسّنت حاله وصار شفاؤه مرجوّاً في القريب . فثق برحمة الله واجعل نفسك واحداً من جماهير غفيرة كانوا يتألبون حول الرب يسوع وليس جميعهم من المؤمنين بالله فيتحنن يسوع عليهم ويشفي جميعهم بكلمة من فيه او بنظرة من عينيه ، افلا يتحنن كذلك على خادمه الامين وابنه البرّ القائم بخدمة النفوس المحبوبة المشتراة بالدم الثمين .

(١) يريد بالمرض العارض « اللقوة » التي حلت بالأب شبلي واخيراً شفي منها بعلاج الكهرباء .
(٢) قد رأيت صدقة — انا الأب شبلي — هذا الولد مع بعض اقاربه في اوتيل دير القدين اخبروا الأب ثابت بمرضي .

انا مضى عليَّ شهر لم يعاودني فيه الاغماء فليكن ذهابه مؤيداً وليصبه اغماء لا صحو بعده حتى لا ينزل ضيفاً على احد من الناس . في كل فرصة جد لي بكلمة اطمئنان الى سلامتك .

واسمح لي الآن ان اراحم الكهرباء على خدك فاطبع عليه تقبيلةً احرّ من الكهرباء . شفيتَ باذن الله وبقيتَ سنداً وقرّة عين

عن البراميه — في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٥٨

لاحيك
مبارك ثابت
الساني

٢٤

اخي المحبوب الاب انطونيوس الشبل الوديع حرسك الرب وقوّاك

كيف كنتَ بجانب شباط المقصوف العمر المعدوم العافية وكيف كان بجانبك . انت في جبيل ادنى الى الشمال مني اليه في البراميه لكنني على ذلك لم اكن اقل منك تأثراً بريحه السامة وصقيعه القارص لكوني اخف منك لحماً وارق جلداً لقي السن الطاعنة من اشد اعوان الريح الباردة على التغلغل في اجسام الشيوخ الى مخ العظام . فان تحت الملابس الصوفية وفوقها غلالةً من جليد ملتفّة على الجسم وعلى كل من اعضائه كأنما قوام الكل جليد . ذكرتُ مراراً قول الاعرابي :

اذا جاء الشتاء فدفئوني فان الشيخ ينفعه الدفاءُ .

اين كان الدفاء في شباط سنة ١٩٥٩ مَن عرف له مقراً او ممراً . لا شمس بارزة ولا وراء غيم شفّاف . اذا برزت هنيهة من شق غيمة لطمتها برودة الريح فارتدت الى مخبأ بعيد .

قيل ان راعيي ماعز حبسهما ثلج كثيف في منطقة جبلية فلبثا بضعة ايام يعانيان البرد مرتجزين . ومسّ الجوع رعيتهما قابعةً في المراح وبينما هما حول نار يصطليان في عباءة من دخان قال احدهما لرفيقه : ما رأيك يا اخي في الشمس هل تطلع بعد على عادتها فنرى اشراقها في الرقيع ؟ قال الآخر لا تقنط من رحمة الله سيأمرها ان تطلع لكنها ان طلعت فلا حرارة فيها للدفاء .

نحن كذلك كنا في نهارات شباط ولياليه نتساءل هل تطلع الشمس بعد احتجابها الطويل ؟ وهل يكون لها من الحرارة ما يغني عن الاصطلاء في فصلي الربيع والصيف المقبلين ؟ هنا موضع القول مع الشاعر :

يتمنى المرء في الصيف الشتا واذا جاء الشتا اكره
ليس يرضي المرء حال واحد قُتل الانسان ما اكفره

اظن انك لم تكترث لشباط وزمهريره لانصرافك الى التبحّر في ما لديك من مخطوطات تخرج مكنوناتها القيّمة بقلمك البارع كمن يستخرج كنزاً ثميناً كان مخبوءاً في العمق تحت التراب . عافاك الله وابلغك الى ما ترومه من استخراج الدفائن ذات الشأن الكبير .

صحتي اليوم مرضية وحتى الساعة لم يعاودني الاغماء المفاجئ ولي من بُعد عهده وقوة الله ما اكاد معه اعده قد انتهى وسد طريق العودة عليه . فاخبرني عنك وعن سكّرك المرّ هل توصلت الى الحدّ من سورته ؟ وهل تقاتله بالحرمان من اي طعام يريده او يترك له قوة ونشاطاً ؟

حضرة رفيقيّ الاب مارون ابي كرم (برمانا) والاخ الياس كلاهما من رعية السكّري وبينهما وبينه شبه صلة رحم فتارة يريهما شدةً وتارة ليناً واللين مداه اطول فيأذن لهما بكثير من اشكال الطعام العشبي واللحم والخبز المحمّص والمحروق . الاخ الياس يقرع الجرس الكبير ثلاثين قرعة ويزيد ولا يأخذه تعب . وانت اذ تركض قلمك هل ينال منك التعب او تشكو من اللهث ؟ كلا فانت بخير ان شاء الله .

لا شك انك تلتقي بالصديق الكريم الجليل الاب عبدو خليفه وتلك من بهجة لقائه ما ينسيك السكّري ويكشف عن قلبك كل همّ . فألق اليه اطيب تحياتي حفظكما الله قرّة عين لأخيكما .

عن البراميه — في ١٣ آذار سنة ١٩٥٩

مبارك ثابت
لبناني

٢٥

كتبت — انا الاب انطونيوس شبلي — للاب ثابت اخبره بموت اخي وهيب شبلي كاشفاً له عما نالني من شدة الحزن على فقده لانه كان لي اخاً وصديقاً ورفيقاً بي رفيقاً وسنداً يسدي اليّ بعض المنافع ويبذل جهده في سبيل خدمتي ومرضاتي ... فوردني منه هذا الجواب التالي :

ايت المحبوب انطونيوس شبلي رئيس انطوس جبيل الوافر الاحترام

بلمعة في العين وحزة في القلب تلقيت خبر وفاة المرحوم شقيقك وهيب . يغني عن البيان ان اخا اخي هو اخي ، فكلانا فقدنا اخاً وكلانا نحترق حزناً

على فقده . لا الومك في ذهابك مع الحزن ابعد مذهب . انه الشقيق والرفيق والصديق والعون على الضيق والنافع والمرتجى نفعه ، لكنّ هذه المزايا وسائر الخصال المتزّفة والصالحة والممدوحة لا قيمة لها باعتبار الموت الذي لا يرعى ذمةً وسواء عنده الحصاة والدرة ؛ وكلنا نعلم ذلك ؛ واننا قيد حكمه ولا مفرّ لاحدنا من وثبته ؛ ولا تعزية لنا في وقوع نكبته الا الرجوع الى الايمان معلمنا بان من آمن بالمسيح الرب وان مات فسيحيا بل انتقل من الموت الى الحياة . ومتى كان المنتقل كفقيدنا العزيز الذي نشأ في بيت مؤسس على صخرة الايمان ؛ وتلقّى منذ المهد افضل تربية وغذي بمخافة الله مع الحليب ومزجت له الفضائل بالدم الساري في عروقه ؛ واعتاد السلوك في طريق الرضايا اقتداءً بمن نشأ فيها من اسرته وتخلقاً باخلاق الفضلاء من اهل محيطه ؛ فلا يسوغ لنا المغالاة في الحزن عليه بحجة الطبيعة المحبة ؛ لان هذه المحبة الباعثة على اشتداد الحزن انما هي محبة لانفسنا لا للفقيد الذي صار يتنعم بالسعادة الدائمة والمجد الارفع مما لا رأته عين ولا سمعت به أذن ولا خطر على قلب انسان . ولم يبق موضع لاعتبار ما كان ينالنا منه من النفع به ؛ لان النفع الذي يصيبنا من زلفته لدى منبر الرب يسوع اعظم بما لا يقدر من نفعه ايانا في هذه الحياة الزائلة بما فيها من نفع وضرر . انه في السماء حيّ بحياة لا تنقضي ولا تضعف ومحبته حية كذلك لا تنقضي ولا تفتر ، بل تشتد وتعظم على قياس ما تنتقى وتخلص ، ويصبح شفيعاً لنا مقرباً من الله مقبول الشفاعة لديه يسأل لنا حاجاتنا دون ان نكلّفه لانه يعرفنا ويحبنا محبةً لا تشوبها محبة الذات بل يحبنا لاجلنا فقط .

هذه تعزيتنا مبنية على الايمان تبرّد ولا ريب من لظى اللوعة المألوفة لطبيعة الانسان . فما احرانا بان نقرّب ذبيحة خسراننا ارضاءً لله الذي بيده امرنا واليه مرجعنا ، الخالق المبدع والمعيد المحيي والمميت .

وكل اخ مفارقــه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان

غير ان هذا الفراق لن يطول وان تمنينا ان يطول فسوف نجتمع لدى الله اجتماعاً لا فراق بعده ولا خوف من فراق . رحم الله الفقيد الكريم وأعاضنا ببقاء اقاربه واصدقائه واهل محبته ؛ وافرغ على نفوسهم سوابغ النعمة المغرية والاعفاء من الفواجع والمكاره .

عن البراميه — في ٨ نيسان سنة ١٩٥٩

شريكك واخوك في الاسى
مبارك ثابت
لبناني

٢٦

اخي الحبيب وابن الجليل[1]

اسألك عن صحتك البدنية لا عن بالك ولا عن خلوّ قلبك من الغمّ ولا عن رأسك من الهمّ لئلا احبز لنفسي العبث اذ لا يفوت علمي ما عندك. فلم يبق الا ان احضك على السلوان لكن معالجة هذا الامر تريني نفسي صغيرةً في نظري لاني احضّ غيري على ما يحضني الغير عليه فارى العمل به عسيرًا بل محالاً لمخالفته الطبيعة الانسانية وبعض الامزجة الشخصية التي لا تملك الافلات من ربقة الواقع وان جهدت.

لا اومك على رقة الشعور لان عندي من ذلك حملاً لا اطيقه وكم عالجت التحجيب منه فما كنت الا زائدًا فيه وقد صرت منه الى الخجل امام الناس اذ يغلب عليّ ان يخنقني البكاء متقدماً او مجتزًا او واعظاً فاشهق في البكاء ويلزمني السكوت ولا ادري ما يكون من حكم الناظرين والسامعين ولا يبعد ان يكونوا هازئين. ما الحيلة والطبع قويّ وثائر ولا موضع لحزم الارادة عند المفاجئات.

وعند التبصّر في مثل هذه الخُلق ومثل هذه الاحوال يزول العجب والخجل ايضاً ويجوز الافتخار برقة الشعور وشدة التأثر واهتزاز الجسم بالبكاء وسخاء العينين بصبّ الدموع لاننا في وادي الدموع، فليس في البكاء خروج عن مقتضى الحال بل في جفاف مجاري الدموع الخروج. غير ان العاقل يعرف طريقة التعديل ليبرّد الدمعة ويقطعها احياناً ولا سيما بالرجوع الى تعليم الايمان. كل يموت نصفه الحيولي فقط دون الروحي فان النفس على صورة باريها الذي لا يموت. وان كانت كذلك فليس الموت موتاً بل انعتاق عنصر باق من عنصر مائت. والمهمّ ان يصير المنعتق الى سعادة لا تزول وهذا مرجوّ ومؤكد لكل من يموت على الطريق المؤدي الى الحيـــاة. ومثلك من ارباب التقوى والتفكير لا يجهل كوننا على الارض غرباء وعلى هذا تعليم التقديس بولس الرسول العظيم مبنياً على العقل السليم والوحي الالهي صرّح به يعقوب اسرائيل اذ قال لفرعون سائله عن عمره: ايام غربتي مئة وثلاثون عاماً. وكذلك قال داود يخاطب الرب: غريب انا عندك ونزيل. ونحن نغبط ايّ غريب عاد الى وطنه. افليس الأولى بنا بان نغبط أخاً لنا يغادر ارض غربته عائدًا

(١) انتقد الأب ثابت هذه الرسالة الى الأب شبلي اثر فقد شقيقه وهيب شبلي المتوفى في ٢٤ آذار سنة ١٩٥٩، وقد بلغ التأثر منه اشده.

بالموت الى وطنه السماوي للحياة ؟ فما حزننا على عزيز نفقده نحزن عليه في الحضر انما حزننا في الواقع وليد محبة الذات التي تكره الخسارة ايّة كانت .

فاحبّ اليك ايها العزيز الفهيم ان تنفخ ريح هذه الافكار على غبار حزنك فيتبدد باذن الله او تتغير مواقعه في الاقل . ويفيدك كثيرًا ان تتلهى عن افكارك المحزنة باعمالك اليومية من كتابة وقراءة وجلوس للزائرين وخروج للزيارات ولا سيما زيارة القربان الاقدس مولي كل تعزية علوية وسلوان . واذ يلزمك ان تخلد الى نفسك ساعة الرقاد وذكرت ما يؤلمك ذكره فاذكر وجوب الخضوع لاحكام العلي لكونها ازلية ونافذة وهي دائمًا في وجه الخير وان بدا للوهم كونها في وجه ضير .

قال المرحوم فيليب الخازن لشقيقه المرحوم فريد وقد انتهيا الى كرسي المشنقة : لا تحزن يا اخي فهذا الفراق الذي يبعد احدنا عن الآخر فما هي الا هنيهة عشر دقائق في الكثير حتى نلتقي عند الله في مقر السعادة الخالدة مجتمعَين الى الابد .

واخبرني احد ابناء الشيخ يوسف فرنسيس زعيم اهل البقيعة في الجنوب ان هذا الرجل العظيم كان كبير العقل مشرق الجاه رزقه الله ستة ابناء ذكورًا وابنة واحدة هي علياء . كانوا كلهم من حوله كاسوار من نحاس فضلاء وفيهم الشاعر والناثر والمؤرخ ولكل فرسه وفروسيته وسيفه ورمحه وقوة البدن وجمال الصورة . وكانت اختهم علياء ادراهم بركوب الخيل وأجرأهم في القتال وابعدهم شهرة في سباق الخيل واسبقهم اقدامًا وهجومًا وظفرًا في الكفاح . رأيتها انا مرتين ثم اجتمعت بثلاثة من اخوتها بكل على انفراد اكثر من مرة . فاذا ما رأيته بعيني اعظم من الكثير الذي سمعته بأذني عن ذلك البيت الكبير .

قال احدهم مخبري : توفي اخونا الاكبر فصارت له مناحة كبيرة مدة يومين ودفن واجتمعنا بعد دفنه في البيت ليلًا وكان الحزن يحزّ في قلوبنا والدموع تنصبّ من عيوننا ولا يخرج من افواهنا الا التنهد وآخ وآه . فصاح فينا الوالد وقال : ما هذا الذي انتم فيه من شأن الرجال الابطال ؛ لا اريد بنين من هذا الشكل . ابني قد ذهب ولن يعود وانتم والحمد لله باقون لي فلا تمزقوا قلبي بالبكاء . بل قولوا معي الرب اعطى والرب اخذ فليكن اسم الرب مباركًا . كلٌّ الى عوده اضربوا على اعوادكم وارفعوا اصواتكم بالغناء . وما زال بهم حتى فعلوا وانقلب المأتم الى عرس . وبعد ذلك جثا الجميع على ركبهم يصلون طالبين الرحمة لروح اخيهم مسلمين لمشيئة الله الذي بنى لهم بيت اخ ابديًا

في السماء يشفع فيهم لدى عرشه كجندي باسل اتمّ خدمة ملكه بكل امانة ونشاط فأراحه من تعب الخدمة ومخاطرها وقرّبه ونظمه في سلك الاجناد السعداء المحيطين بعرشه يسبّحونه الليل والنهار بلا فتور .

واخبرتني امرأة ساذجة وفاضلة انه مات لها بنتان ثم زوجها وحماتها وشقيقان لزوجها فلم يعد يفارقها الحزن ولا ترقأ لها دمعة ولا يطيب لها عيش فعراها من ذلك مرض اوهن قواها وكان انها نامت ذات ليلة وجذوات الحزن ملتهبة عليها واذا بها ترى في الحلم جميع اولئك المبكين يحدقون بها كالحالة بالقمر وعليهم ملابس ناصعة البياض وفي وجوههم نور ابهى من الصباح وعلى شفاههم ابتسامات السرور وقالوا لها : كيف تبكين وتحزنين لمن صاروا الى مثل هذه السعادة والمجد والفرح . نحن في صحبة العذراء سلطانة السماء ها هي معنا اتت لتمسح الدمع عن عينيك ومدت العذراء يدها ومسحت فوق رأسها وقالت : هؤلاء بنيّ و بناتي اتيت بهم اليك لتوقني انهم معي وفي رعايتي في النعيم . لا تبكي بعد بل افرحي لحظهم السعيد وباركي الله الذي اقامهم شفعاء فيك وفي سائر اقاربهم لتصلوا الى مثل سعادتهم بالعمل الصالح والصبر على ملمات الدهر والتسليم الاتم لمشيئة الله في كل ما يأتيكم من قبله .

فيا ايها الحبيب اعمل الفكر في ما كتبته لك . وخذ لنفسك ما يحسن لديك . واني لواثق بان الله تعالى يريك ما يهوّن الامر عليك ويرد ما فقدته من فرح القلب . هذه هي التعزية السماوية التي يمن بها الله على محبيه المتوكلين عليه . سلمت ولا حزنت وطال عمرك سنداً وقرّة عين .

عن البراميه — في ٢٩ نيسان ١٩٥٩

لاخيك
مبارك ثابت
لبناني

٢٧

ابت الاعز واخي الاحبّ اليّ ولي

ما اطيب التقبيلة في جبينك العالي والضمة الى صدر انت في داخله . ابطأت عليك بالمراسلة حتى الجواب على رسالتك الاخيرة الحاملة من اخبارك العائلية ما اذكى في فؤادي ناراً من الحزن لحزنك بفقد من ذكرت من اقارب لك كانوا اعزاء اليك ومحبين واعواناً .

كنت بعد انتهاء رسالتك اليّ اخذت اكتب لك فما كدت اخط بضعة

اسطر حتى وجدت نفسي في حال لا يتسع لي معها الايجاز . جاء حضرة الرئيس الاب بطرس الحلو خلفاً لي في خدمة الدير ؛ وجاء حضرات الآباء المكلفين بدور التسليم ومراجعة سجلات الحساب استنباطاً لخلاصة اخيرة ولزمني قياماً بحق الواجب واللياقة ان افرغ غرفتي للرئيس وانقل ما كان فيها باستعمالي الى غرفة غيرها ففعلت وحدي لا معاون لي ولا بد من الاسراع فنالني من ذلك تعب لا يطيقه ما عندي من ضعف البدن وصعوبة المشي على خوار القوة وكان ان اسراعي في النقل من غرفة الى غرفة اوقع تشويشاً كبيراً وبعثرة في الاشياء المنقولة حتى لم اعد اجد ما احتاج اليه سواء اكان من كتب ام ادوية ام من ادوات كتابة الا بعد تقليب وتفتيش لا توافق لهما والمزاج العصبي والكهولة الجافة .

وكنت اعلل النفس في ما مضى باني بعد مصير خدمة الدير الى غيري الجأ الى اخي المحبوب شبلي فاقضي ما بقي من ايامي القليلة في ما احبه من صحبته وقربه وحماه فاذا نحن متساويان حالاً[1] ليتم لي ما يجب عليّ من التسليم الأتم لمشيئة الله القدوسة . حضرة الاب بطرس الحلو الرئيس الجديد أظهر لي عطفاً اخوياً ووعداً بالبقاء معه والمعاونة على كل حال فله الشكر من الصميم .

ثم شاء الله ان يمتحن صبري ويزيد في اجري . فكان ان شقيقي جرجس والد جوزيف المقيم في دكار جاء بعد ذهاب الاخ الياس ليخدمني مكانه فطابت نفسي بتفانيه في خدمه الدير وسده مسد الاخ الياس في المضي الى صيدا وغيرها في قضاء الحاجات عن خبرة وامانة ونشاط . ودام الامر على هذا الحال وانا اشكر الله لانه تيسر لي بوجود اخي من يخدم القداس كل يوم ساعة اشاء . ثم كان الشقيق دخل في المطبخ ليلاً فاصطدمت قدمه بحافة البئر المرتفعة زهاء اربعة سنتيمترات فسقط ارضاً وصرخ فاسرعنا اليه فاذا هو يشكو من ألم في فخذه ولم يكن باستطاعته القيام فاوقفناه وعالجنا ان نمشيه فلم يستطع خطواً فحملناه الى سريره واستدعينا مجبراً من صيدا فقال لا كسر في العظم وانما رضة في الفخذ ؛ ووضع لزقة ولفّ الفخذ وقال : ثلاثة ايام راحة وبعدها يقوم ويمشي . مضت الايام وهو على حال واحدة لا يقدر على تحريك جنبه المعطوب ولا الانقلاب الى الجانب الصحيح ولا يحس ألماً الا اذا تحرّك لتغيير وضع الرقاد .

(١) قد ترك الأب شبلي رئاسة انطوش جبيل في الشهر الذي ترك فيه الاب ثابت رئاسة دير البرامية وبقي كل واحد في مكانه .

استدعيا طبيباً فقال : كسر . وارسله الى بيروت للتصوير بالاشعة فسر التصوير عن كسر مثلث في عظم الفخذ بالطول لا بالعرض . ادخلوه على حساب الصحية في مستشفى بعيدا لبث ثمانية ايام بدون تجبير . وفي اليوم التاسع بوشر التجبير بالجفصين . لُفّ من نصف بطنه الى كاحل قدمه . فلما رأيت ذلك في اليوم الثاني قلت انه ميت لا محالة. الكسر في الفخذ فلّم الجفصين على الظن . وقد تغيرت حاله الى اسوأ . لُفّ بالجفصين يوم الجمعة قبل الظهر فاتته الوفاة يوم السبت عند الظهر . ونقلت الجثة الى البرامية يوم الاحد ودفنت ظهر الاثنين وكان حضرة رئيس الدير غائباً ونعينا الاهل والاقربين فقط رعياً للاقتصاد ولم احد بداً من ان ببذل اعانة في هذا الامر فلم ار اقترض من بعض الاصدقاء اتماماً لما بيدي ولم أطلع الرئيس بعد على تفاصيل ما جرى لاعلم ما اذا كان يتسامح بما اضطررت لانفاقه من مال الدير صار الى يدي في غيابه من بعد محاسبة التسليم . وانا منذ ذلك الحين في قبضة الذهول . وزوجة المرحوم اخي تقاسي من مرض السكري آلاما مبرّحة اخشاها فقد البصر كلياً ما عدا بثور السكري في مواضع مختلفة من البدن وما عدا الحاجة الى الصالح من غذاء ودواء . وما من سبيل لي الى اسعافها سوى التوسل الى الله الكثير الرحمة والحنوّ مع العزم على اخبار ابنها جوزف بكتابة الى دكار بوفاة والده واشراف والدته على الوفاة . ولست دارياً ما عنده من عوائق عن ارسال مساعدة مالية وعن مراسلتي منذ اربعة شهور خلافاً لسابق عادته . فانا لذلك على قلق من خوف عروض نكبة له في ارض غربته تزيدني هماً على هم .

كتبت لك بهذا التفصيل لا لتشاركني في ما انا فيه من غمّ وهمّ بل لأريك ان البلاء موكّل بكل انسان فيفتر ما عندك من حرّ البلاء . حرسك الرب من كل اذىً وخير وابقاك ملاذاً وتعزية .

عن البرامية — في ١٨ ايلول سنة ١٩٥٩

لأخيك ثابت

٢٨

ابت الجليل واخي الحبيب الاب انطونيوس شبلي اللبناني الوافر الاحترام

تقبيلة حارة في جبينك العالي : وضمة طيبة الى صدر اخيك الذي لك في فؤاده محبة حارّة وفي ذهنه صورة جميلة راسخة . ما اجمل البقاء على الوفاء والتواثق بسلاسل الاخاء ! جمعت بيننا المحبة الصادقة والصداقة الواثقة وقيض

الله لكليه تماثلاً في الرغائب والاعمال في تقبل مشيئاته الالهية بكل رضا وامتثال وكان لنا يومان يوم رفع ويوم خفض لاجل نفعنا تقدست ارادته فانها لا تهدف الا الى النفع والثواب ؛ وان خيّل الى حب الذات كونها اقرب الى الحرمان والعقاب . لكننا نعلم اليقين ان خدمة الرئاسة ان هي الا خدمة وما زاد صاحبها على ان يكون خادماً للغير ؛ وانها ثوب رخيص ومستعار ومركل به البلى والزوال واي ثوب طالت مدة لبسه وجب خلعه لمصلحة لابسه ؛ وان كان هذا لا يرى ما صار الثوب اليه من تغيّر ورثاثة .

اما الله الذي يرى الاشياء على ما هي عليه من حقيقتها وبسبب صلاحه الاكمل وعظم محبته للانسان جبلة يديه المتصلة لا يروقه النظر الى عبده في ثوب من الرثاثة بمكان يحسبه العبد افخر لباس ولا يذهّه الى ان ابليس يحاول حمله على الترفع المؤذي اعجاباً بذلك الثوب المستعار . فلله التشكر على ما يريده لنا من عظيم النفع بحطّنا الى المرؤوسية في أدنى مراتبها حيث لا يبقى لنا من سبيل الى توهّم كوننا ذوي اثرة واستحقاق .

وجميل في الانسان ان يكون كالسمكة في الماء اذا كان الصحو عامت على ظهر الماء وان كان مطر او برد هبت الى القعر . وفي الصعود والهبوط صون واتقاء . على اننا نحمد الله الذي مكّننا من الخدمة والخروج منها بلا معرّة ولا لوم . وبعد ان بنينا لدى الله والناس بناءً ينظر اليه بعين القبول والرضا . خدمنا في الرئاسة الوضيعة ونخدم في المرؤوسية الحيّنة ونلتمس في الحالين وجه الله . وكلانا كوفئنا ووفّتنا الى خلف من اهل صداقتنا والوفاء . وبقي لنا من اتعاب الذهن والقلم وان قليلاً لا يوجب فخراً لكنه ذو قيمة في جانب معارفنا الاساسية . انه ثمرة شجرة لم تقيّض لها عناية بستانيّ جاهد وخبير .

كيف انت والسكّري الغليظ؟وما حالك مع رئيسك الجديد اللطيف ؟ وكيف حال محبوبنا الاب اغناطيوس خليفه (اليسوعي) الخفيف الروح الفاضل الشريف ؟ اليكما جميعاً اذكى تحية واطيب سلام واصدق شكر واحر اشتياق .

ان نكن اليوم افترقنا قداد فموعد اللقاء بيننا غـــدا

تحية الى حضرة الاب الجليل الذي هو بصحبتك خير خلف لخير سلف.

اسلم قرير العين يا قرّة عين

عن البراميه — في ١٠ تشرين الاول سنة ١٩٥٩ اخيك

مبارك ثابت

لبناني

٢٩

ابن الرئيس واخي العزيز الاب انستاسيوس شبلي البناني الوافر الاحترام .

نقبيلة حارة في جبينك اهدي . يسائني ابني ورسائلك التي لم تعد تتعدى الا على اخبار كتون الكلمات السود متسوقة في السطور . نحزن ولكن لا نذهب مع الناس لان لنا . واخصك انت . من الايمان ما يرفعنا الى حيث نتصغر في عيوننا الاحداث مهما كانت كبيرة ووحشة . ما اصابنا من نكبات الدهر الا ما هو من طبعه والا فمن يشرب الكثيرون من علقم مكارهه . ولا صيق بدحنا الله فيه الا ويجعل لنا مخرجاً منه اقله بايلائك النصر عليه فضلاً عن الاجر العاجل والآجل . وشكر الله تعالى على ارساله اليك مكروه في بعض الاحيان لتذكيرك بتفاهة الدنيا وتمحيص فضيلتنا عن الصافية وارشادك الى التفكير الصحيح في وجودنا السريع الزوال كالعشب النابت في جفاف من التراب المنصوب لحرارة شمس محرقة يجمل ناضراً ثم لا يلبث ان يلبس صفرة اليبوسة ويأخذ في الانتثار الى الاضمحلال . انما الدنيا غرور .

من الله اتينا والى الله نعود ولو استطاع العقل ان يقلع من مركبنا الانساني ما غرز في طبعه من اشكال الاحساس المتباينة خلونا من الاحساس بالمكروه ونقيضه ايضاً ولكن ماذا كنا نكون وماذا كنا نصير ؟ مرتبة الجوامد . فسبحان الخالق الذي اولانا الاثرة على سائر مخلوقاته الارضية انه ادرى بحاجتنا الى ما نحن عليه من تغاير الاحساس بالامور المتغايرة مما يحلو ويمر ويحزن ويفرح . ان في التغاير لجمالاً . فليس لنا ان نشكو من شيء يقع بمشيئته المنزهة عن خطأ في التدبير فهو الموجد والحافظ والمدبر بحكمته المتعالية عن كل بحث وفهم فأحر بنا ان نسلّم اليه امرنا في كل حال وآن في الضراء والشقاء والمحبوب والمكروه : انه ابونا ووليّ امرنا ولا يرسل الينا الا ما كان عائداً لنفعنا وحسبه احساناً الينا انه اعطانا لنتجاة من غرق الكارثات ويحوز اليأس المرعب ياطر الرجاء .

يفرّق بيننا الموت فيجمع بيننا رجاء اللقاء فمن تمسك بهذا اليأس فقد تمسك بالسلامة والسلام . وهذه الدنيا الغرور :

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
طُبعت على كدر فكيف تريدها خلواً من الاحزان والاكدار ؟

الا فلنصمد لها بجهاد الابطال فنكسر من صلابة شوكتها ونفوز بأجر

انجهنيين « انا احرك العظيم يا اسرائيل » . على رجاء هذا الامر العظيم نحمل بالصبر الجميل انتقال هذه الدنيا ذاكرين اننا وهي واتفاقها صائرون الى الزوال :

فإما ان اموت او المكـــاري وإمـــا ينتهي هذا الطريق
تعزّ فلا شيء على الارض باقيا ولا أزرُ مما قضى الله واقيا

والموت حاجة للانسان كسائر حاجاته التي لا غناء له عنها فما نفع الايغال في بيداء الحزن اليس افضل منه تقبل الأحكام الالهية بالرضا والفرح على مقدار ما يستطاع من حنق صرخات الطبيعة ؟ الحياة ملك لله وما هي لاحد من الاحياء الا عارية . وما الموت الا استعادة الله العارية انها له فما ينزع من ايدينا الا ما هو له لا لنا . ذلك يكدرنا لما فيه من الحرمان ولكن لا ينبغي ان يسد مداخل العزاء الى قلبنا الحزين ، نخسر الاقارب والاعزّاء ولكن يبقى لنا بدل لا يغيّبه عنا موت ولا اغتراب ، هو الله الذي يرافقنا في حياتنا الدنيا . وان شئنا وأقمنا له الطاعات فلا يحبس عنا صحبته الى الابد .

*

اني احمد الله على حفظه اياك من هبوط الصحة بالسكّري وأسأله ، وهو السميع المجيب ، ان يقتلعه من بدنك ويملأك صحة . وقد سرّني جدًا قولك لي : « ارتاح رأسي وتفرّغت نوعاً للكتابة »[1] قوّاك الرب وقوّى قلمك ونفع القراء بمكتوباتك القيمة والشهيّة .

صحّتي من فضل الله مرضية في مثل عمري ، فلم يعد يكرّ عليّ ما واثبني على غرة من اغماء يشبه الموت الفجائي ، فانا اليوم اعيش كما كنت من قبل عهد الاغماء بشيء من الحذر والتوقي اكلاً وشغلاً . وما يؤلمني الا التشنج العصبي يرصدني مختبئاً بين الفراش والغطاء حتى اذا استسلمت للرقاد واخذني غفو يجذب عروق ساقي بشدة جذباً كأنه التمزيق فاستيقظ مذعوراً ولا يفارقني حتى انزل عن السرير واتمشى مدة بضع دقائق فتستقيم لي الحال واظن انه قد خلّى لي السرير فاعود اليه خالي البال . غرّني . ما اكاد استعيد الاغفاء حتى يعود التشنج فاعود الى طرده بالمشي حتى يغيب . وهكذا دواليك في ساعات من الليل ولا تشنج الا مع الاغفاء . وانا على ذلك ارفع الى الله شكري من الاعماق على ان لي من حلمه إفلاتاً من التشنج العصبي طيلة النهار

(١) من كتاب ارسله اليه وقد بدت على سطوره دلائل حزني على موت اخي وديب شبلي .

واكثر ساعات الليل اذ لا اكون في سبات النوم . فضلاً عن ابعاده عني اي مرض يحوّل عني الوجوه قرفاً او مخافة العدوى . او يكلّف نفقة في سبيل المعاينة الطبية واستحضار العلاج فما ينغّص عليّ العيش الا عجزي عن اشغال الكتابة ألاقي في تركها مرارة الفطام التي اعالج تخفيفها بحلاوة . اللجوء الى الصلاة تأهباً لرحيل ترجى معه الراحة الدائمة لدى الله ارحم الراحمين طويت مسافة العمر الطويلة فلم يبق الا خطوات تطوى بحلم الله وكثرة رأفته بيسير من العناء وعند اتمام الشوط بلوغ الى الذروة وعنده نسيان التعب كأنه ما كان .

تسألني عما اذا كنت حائرًا حدب الرئيس المحترم[1] . فاجيبك اني اعرف كيف اكون مرؤوساً كما عرفت أن اكون رئيساً ، بذلك استميل عطف الله فاذا حصلت عليه فهو الذي يعطف بقلب الرئيس وقد فعل لاني لم ار من حضرة رئيسي ايّ انتقاض من حقي كمرؤوس ... هذا حسبي وجميل لاني اذا لبست ثوباً أزيد من طول قامتي عابني وعاقني ولو كان ملبسه الرئيس لجوده وكياسته . هذا الموجز من القول يغنيك عن الاسهاب الذي طلبته في رسالتك الحنونة . ينبغي عليّ الرضا بكل حال والا فما انا راهب ولا على شيء من الحكمة . ان لم يكن ما تريد فأرد ما يكون وراحة القلب من هذا القبيل مترتبة على الارادة وليس على الارادة الجازمة عائق من الرفض او القبول .

ترى في هذه السطور اعوجاجاً لكنه بالصعود وليس يتمّ تقديمه بالنزول بل بالاعتدال وخير الامور اوسطها . هذا لحاجة اليوم وغيره ليوم اللقاء . وتقبيلة في جبينك العالي علامة انك الحبيب المشتهى والمفضّل .

عن البراميه — في ٧ تشرين الثاني سنة ١٩٥٩

لاخيك ثابت
لبناني

٣٠

الى شقيق الروح حضرة الاب انطونيوس شيلي اللبناني الوافر الاحترام

صوتك بُح ببروز لحمة في حلقك وصوتي بح برفع التوسل الى الله ليمن عليّ بشفائك ويعيد اليك والي ما فقدناه من طمأنينة وخلوّ بال . اغتمامي بحادثك شغلني عن الاغتمام لما اعانيه ومن عهد بعيد من قرحة في المعدة وحصاة

(١) سأله هذا السؤال بعد تركه رئاسة دير البرامية وبقائه فيه مرؤوساً .

في الكلية وحرارة في المصران مصحوبة باسترخاء دائم ومزعج وغير مؤلم وبخروج تسميته اسهالاً لدوامه لا لميوعته . لم اعرض نفسي على طبيب لعلمي ان مثل ذلك الاسترخاء هو من لوازم الشيخوخة والكهولة وما علاجه الا عَوْد الشباب او العود الى الشباب وأيسر من كليهما البلوغ الى المنتهى .

فاسأل الله شفاءك لانه الاحب اليّ . لا اقول فديتك بنفسي لان ذلك ليس اليّ واقول شفاك الله ووقاك وابقاك لانه تعالى يريد ان نسأله وقد امرنا ان اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم . فعلينا العمل بأمره وعلى رحمته استجابة الطلب . فلا يخل قلبك من التوكل عليه ولا نفسك من الرضا باحكام مشيئته وهو اكرم من ان يحبس رحمته وحنوه عن طالبها بايمان وثقة والحاح لا هوادة فيه ولا ملل . واسف من نفسك الخوف الذي لا يحسن بمن استأس بالحصن الامنع بحصن الله الذي بلطفه خلق وبلطفه يحفظ من خلق . فداوم اعمالك وعلى معاشرة قلمك والرب معك لا يفارقك وهو خير الرفقة وابقى المحبين والاصدقاء .

صلِّ وانا اصلي لا كالفريسي كأن لنا من اعمالنا ما يستوجب لنا اجر بل كالعشار الذي وجد نفسه غير اهل بان يرفع عينيه الى السماء وما كان الله ليرذل قلباً متواضعاً متلفّعاً بالخشوع ، ولنا على الله الاخذ بأمره ووعده : اطلبوا تجدوا فان لم نجد ساعة الطلب فليس لإخلاف بوعده بل لان عطيته غير محدودة بوقت نريده ونعلمه فجميع الامور مرهونة بعلمه ومشيئته وهو لا يريد لنا ولا يعطينا الا ما كان لنا به النفع في الزمان والمكان المقيّدين بعلمه وارادته . والقنوط من ابطائه في العطاء وقت الطلب لا يخلو من انتقاص الثقة بوعده ورحمته . هنا موضع القول مع ايوب : وان قتلني فاياه ارجو . فتشدد وتجلّد وتوقّع الرحمة من لدنه تعالى انه لا محالة سامع دعاءك ودعاءنا وكلمة التحنن على لسانه وبين شفتيه . قد شئت فلك ما سألت انا واضع العلة وانا رافعها فامهلني لاختبار صبرك وتعظيم اجرك .

ان لم يقم لك عائق عن الكتابة لي فكلمة للاطمئنان اليك لا لاذكرك واشكرك فالذكر والشكر ملازمان لقلبي ولساني ما بقي في انفي نسمة حياة . عشت سالماً معافىً قرّة عين وفخراً .

عن البراميه — في ٢ آذار سنة ١٩٦٠

لاخيك
مبارك ثابت
لبناني

٣١

اخي الوحيد والحبيب الاب انطونيوس شبلي اللبناني الوافر الاحترام

قبلةً حارة في جبينك العالي واشتياقاً اليك لا يفتر ما دام في انفي نسمة وفي فؤادي نبض حضرت ام غبت . تقبلت بالشكر والدعاء لك المنة الليرة اللبنانية التي شاءت محبتك الاخوية ان تتكرم بها حسنة خمسين قداساً اقدمها على دفتر قداديس انطوش جبيل العامر لاستعين بالقيمة على بعض الحاجات . واذ كنت متعودًا على اليسر والعسر وصارا في اعتباري متساويين لأن الضروري ميسور لي في كل حال لم استعن بسخائك للتوسيع على نفسي بل لتفريج الكرب عن ارملة شقيقي المرحوم جرجس لانها في عسر ماليّ وفي كرب شديد من وطأة المرض السكّري الذي اطفأ نور عينيها فامست عمياء لا تبصر النور ولا تقوى على غرض من اغراضها الا بمعونة الغير . وقد برزت بثور السكّري في ساقها وبثرة في احدى عينيها زيادة على العماء وحاجتها ماسة الى الدواء والى الطعام الملائم لتوقيف الداء عن جرها الى القبر الواقفة على بابه تنتظر يدًا رحيمةً تدفعها اليه او عنه وتجود لها بالاعانة على مطالب عيشها الشديدة مرارته .

فهذه الامرأة التي عاشت باتم ما يكون من تقوى الله واقامت حدوده وربّت اولادها على معرفته ومحبته وعالتهم بتعب يديها وعينيها بخياطة الزينة للمذابح والملابس الكهنوتية لخدمة الذبيحة المقدسة . تفرّق عنها اولادها الذكور والاناث وصاروا ارباب عيال لا تأذن لهم الجال بايفائها من اجرة خدمتها الشاقة والطويلة الا ما ندر وقل مما لا يفي بحاجة المريضة العمياء المقعدة الكسيحة التي بعمل يديها كانت تقوم بحاجات العائلة الزوج والاولاد حارمة نفسها من الراحة النهار والليل . فابنها الاكبر جوزف مغترب في دكار وقد انقطعت مراسلاته حتى لم نعد نعرف ما صار اليه هو وعائلته . وقد كان يكتب مرة في الشهر على الاقل وكانت احواله حسنة وتجارته رابحة واتخذ الجنسية الفرنسية ليزداد حظه لمعاناً ، فما عتم ان نشبت ثورة الجزائر بين الجزائريين والفرنسيين ومنذ ذلك الحين انحبست اخبار جوزف فلم نعد نعلم ما جرى عليه. وصارت رسائلي اليه تذهب ولا تلاقي جواباً ولا اعلاماً بالوصول . فلاجل الترويح عن والدته التاعسة التمست من حبك الاخوي حسنة بعض قداديس لأصرفها اليها فأني حنانك الا ان تعطيني على قدر محبتك لي وسخاء كفّك الفطريّ .

فلما قبضت القيمة واصبح قبضي اياها معلوماً رأيت من صحة الرأي وبقاء السلام ان ارد اليك ثمانين ليرة واستبقي عشرين ليرة فقط بدل عشرة قداديس اقدمها في الشهر الحالي على دقتر قداديس الانطوش . وفي طيّ هذه الرسالة تجد تعهداً خطياً باني مقدمها على الوجه المذكور . واما الثمانون الليرة المرجعة اليك فليست لك بل لاخيك انا : تحفظها امانة لي في يدك لاستردها في الاشهر التالية عشرين ليرة في كل شهر . وهذه الطريقة هي الفضلى استطيع معها اسعاف امرأة اخي بحسنة عشرة قداديس شهرياً واذا دعت الحاجة الى اسعاف هذه المريضة باكثر مما ذكر فاطلب اليك ما تدعو اليه الحاجة . ولا ارى من نفسي اني متثّل عليك بل على نفسي لانك مني بمكان نفسي . متعك الله بصحة تامة وأمدّ في عمرك وقدرك على بذل المعروف واغاثة الملهوف وبسط المروءات .

اعتقد اني ما بسطته لك الى هنا كفاءة لوقوفك على دواعي طلبي تجزيتي ما تتفضّل به من حسنة قداديس على الاشهر شهراً فشهراً فاني اكره ان يكون لغيرك ايّ جميل عليّ ولو سكوتاً او رضا . الثمانون ليرة المذكورة اعلاه سلمتها الى السيد يوسف زياده احد القائمين بسياسة نحل الرهبانية بادارة حضرة الاب المحترم يوسف العجيل رئيس المعهد في بيت شباب ليوصل القيمة المذكورة الى يدك لعلمي انه يمر بجبيل وهو ماض لتفقد عائلته في تلك الجهة فلتمسي ان ترسل اليّ اعلاماً بوصولها الى يدك ولا تغفل الاخبار عن احوالك الصحية ولا سيما عن زوال البحّة وانطلاق الصوت . زالت وانطلق الصوت باذن الله وقطع دون كرّتهما طريق الرجوع . حرسك الرب وابقاك سنداً قوياً وفرحاً دائماً وفخراً بارزاً[1]

لاخيك
مبارك ثابت
لبناني

٣٢

ابت الجليل واخي الحبيب الاب انطونيوس شبلي اللبناني الجزيل الاحترام

بارك الله كل عضو من اعضاء بدنك وبارك روحك الطاهر وبارك السيد يوسف زياده الذي يحمل اليّ من اخبارك ما يولّيني الاطمئنان الى سلامتك وسلامة صوتك الذي فارقته البحّة فاصبح طبيعياً كما كان من قبل تقبيلها

(١) ان هذه الرسالة هي بدون تاريخ وقد أغفل سهواً .

حلقك الناطق ما يخيب تفتيله : اسأل الله الذي زرع تلك اللحمة العائقة الصوت الى وقت ان يمسح عليها بكفه الشافية ان يتتلعها بكلمة مشيئته التي لا يعسر عليها نقل جبل ونحوه من الوجود حتى يصير مكانه سهلاً لا صخرة فيه ولا حصاة اشبه (تمرج ابن عامر بفلسطين) واذا شاء تعالى ان يستأصل تلك اللحمة بشفرة جرّاح كما ننتظر ان يكون فان يتناد ذات القوة واللين هي التي ستحرك يد الطبيب فيتم الاستئصال بعيداً عن كل خطر وايلام ومضمون الشفاء وسرعة الشفاء وما علينا الا التوكّل على عنايته وابتناء الرجاء على رحمته الواسعة وما يخيّب من توكل عليه .

معايدتي لك بالفصح المبارك العكوف على الصلاة ليمنّ الله عليّ بشفائك العاجل وصيانتك من كل مكروه فاني لا املك الا مشاركتك في الخير والضر ، لا دنا الضرّ منك لان الشركة في الخير خير منها في الضر وقيته بادن الله . واني اسدي كثيراً من الشكر للسيد يوسف زياده لجعله من مروءته وصدقه صلةً قريبة بيني وبينك افضل من المراسلة لانه يحمل اليّ من لدنك ما يشاهده بالعين ويسمعه بالأذن جزاه الله خيراً . وعشت بصحة ورفاه وعمر طويل قرّة لعين

عن البراميه — في ١٤ نيسان سنة ١٩٦٠ .

اخيك ثابت

٣٣

ابت المحبوب انطونيوس شبلي اللبناني الوافر الاحترام

جميل ولذيذ ان ازين اليوم الاول من شهر آب المبارك بالتحدث الى اخي الوحيد المحبوب كثيراً مني ومن كثيرين ، اليك يا شقيق الروح واعز من الروح .

جواباً على رسالتك الاخيرة ابدأ بالشكر لك على عواطفك الاخوية ومحبتك الصادقة والثابتة لتلطفك بالاعانة لي في كثير من اموري تجعل النظر اليها للتقويم على هواي تخفيفاً على عاتقي الواهن من اثقال البحث والتفتيش. جزاك الله خيراً وجاد لك بالصحة القوية والعمر الطويل لتبقى من كرمه وتحنته عوناً لي على المصالح التي قصّرت عن منالها يد الشيخوخة الباهظة . حسبي ان اراك او اعلم في الاقل انك كفوء بقوة الله لاخماد ثورة السكري المعتدي ودفع اذاه بدرع التوقي وترس التحفظ من تناول الغذاء العائد نفعه اليه وضرّه عليك فان الحرمان من بعض الغذاء اهون من الحرمان من بعض صحة البدن .

واذا كان الحرمان لدفع المرض والمحافظة للنفس لارضاء الله وتمجيده اصبح الجوع المقصود شعوراً يعملان لصحة الجسد والروح معاً ويتعذر على الله ان يدرك الاثنين فتحيى منهما ثمرتان متباركتان تتكونان على الغلة حتى يأخذ منها الرضى وتصير الى الاضمحلال . من الله عجيب بقوة خالقة وملأ بدنك حساسية يثير المكثرين من وجودها فرار التزهيق من وجه النار فتطيب نفساً ويسعدني قلب شكراً لا ينتهي .

في عيد سر الكتاب الفرنسي المنقود ابعث به اليك على حسب طلبك لترجمته في اوقات اعلاقك الى حضرة صديقك محبوب جداً مع تحياتي وشوقي وشكري[1] وما انفي به من الطيب الاصطناف تمتعاً ببرد الماء وطيب الهواء ونسمات الازهار ورقص الاغصان تداعبها الريح محرير سياه في المنابع ومرّ الضباب يجدّ من حرارة الشمس وحنوة التأمل في صنائع الخالق الى الانسان بالمبروآت المتنوعة الصنائع والاشكال والمنافع وكسب الصحة واللذات الخلال من كل ما في المصايف من نافع وجميل .

ولك اثنى أيّاماً الاقامة في ميفوق في ظل الاشجار الباسقة وفي الحورة الميفوقية حيث تنبت التينة بجانب الحورة وتسابقها في الصعود فتلحقها علواً غير مكترثة لما يعوزها من غلظ الساق فتراها كالحية الراقفة على ذنبها او كالحبل المنصوب احد طرفيه في التراب والطرف الآخر في العلاء على مساواة شجرة اخرى ينازعها البقاء . وكأني بالتينة تقول للحورة المعجبة بطولها : مهلاً ايتها الطويلة بلا غلة ! اني وان كان ليس من طبعي التصعيد الى المستوى الذي لا يبقى لي عنده قوة الاثمار فاني اطاولك في الارتفاع موثرة ان ينالني مثل عنتك على ان ينالني العجز عن مساواتك في الصعود والطول ولا ادعك تتبجحين بطولك وتعيرينني بقصري على ما لي به من فضل الاثمار . فها انا اخزي تكبرك بالمطاولة ولو صرت مثلك عوداً طويلاً مكللاً بالورق عارياً من الثمر . .

تأملت هذا المشهد الغريب وتعجبت من وجود تنازع البقاء حتى بين الشجر وما دونه من اصناف النبات . تلك حكمة الخالق تراها في كثير من مخلوقاته المتغايرة المتجاورة على سطح الارض . او ليس هذه حال الناس

(١) الكتاب الفرنسي هو « اريج رومية » (le parfum de Rome) انشده الأب ثابت من المرحوم اسعد بك خير ليترجمه الى العربية فنقل قسماً منه وفقد الكتاب فارسل الى اسعد لاوفده الى « صديقه المحبوب جداً » حضرة الأب عبده خليفه مدير « المشرق » فيفتش له عن نسخة منه ويتم ترجمته . وقد اكملها وهي ما زالت بين اوراقه في دير البرامية.

يتسابقون ويتزاحمون في شتى الشؤون ومرد ذلك كله الى امر واحد نسميه تنازع البقاء . فاقرأ خرافات اخيك ان اتسع لك الوقت للتسلية والا فزق والقِ عنك فكل شيء مصيره الى الزوال .

وان احببت ان تلمّ بشيء من احوالي الصحية فما يصح لي ان اكتم عنك الحق وهو ان عبء الشيخوخة قد صرت اجدد باهظاً ولكنني انهض به حتى استخفه على رجاء انه صار قريب السقوط وان نعمة الله التي حملت معي اثقال ثمانين وسبعة اعوام من العمر لا تخلّيني ارزح حالاً فاقعد في ما بقي لي من العمر عن مباشرة الخدمة الشريفة التي مارستها بقوة النعمة نيّفاً وستين سنة لا بالاستحقاق بل بفيض العين الالهي والشركة في استحقاق الفادي الكريم . وبرغم ما في الشيخوخة من وهنٍ وهزال لا ابرح قائماً بالخدمة الشريفة وان على مهل . فلله الحمد في كل حال وزمان ومكان .

« ان الله لا يبلي تايعين » فيها لي من لدن رأفته في بلايا الهرم اكثر من معين اخوة واصدقاء أحبهم لي والليّ شبلي وخليفه وقاهما الله كل مكروه وعمرهما بكل خير محبوب . سلامي واشتياقي اليكما ودعائي لكما باطيب عيش واطول عمر سلمت وأرغدت يا قرّة عين

عن البراميه — في اول آب سنة ١٩٦٠

اخيك
مبارك ثابت
لبناني

٣٤

اخي الاعز ومحبوبي الواقع من قلبي موقع القلب من جسدي

سلام عليك . ابطأت في مكاتبتي اياك لا نسياً ولا تهاوناً بل لتعود في الحمة واشتغالاً بترميم الصحة التي اشرفت على الانهيار فان اسهالا جارفاً واثبني غير خجل من قتال شيخ في سن السابعة والثمانين صارع علة في المعدة والامعاء وحصاة في الكلية مدى خمس واربعين سنة ما عدا سني حداثته اذ كان يتألم ولا يقدر قيمة الألم . الاسهال في السن الكبيرة عدو قوي وعات يعوق عن تناول الغذاء في عمر من اشد الاعمار حاجة الى الغذاء .

لقيت في مصارعة الاسهال تعباً مضنياً لكنني لم ينقص رجائي في الله تعالى وتوكلي عليه واخذت الحال تتحسن وايقنت ان قوة من فوق لم تبرح تعضد ضعفي ولا افكر في البحث عن ذلك لان مقاصد الله كالله ابعد

من مثل كل خير واستقصاء. وذكر في الاسهاب فيه ... روحة لا رجعة واخذت ولم اكن احداً في قصة طريق الرجعة عنه بمثل الغداء الذي اعتن انه لا يحسن ان يتحدد سلاحاً لقتالي شيء من الحرمان خير من شبع يورث كل الحرمان.

وليس احدى من التسليم بمشيئة ابيه الذي في السماء فيم مدداً كل ما من خير روحي ومادي وصحية لا تعقل ولا شأناً من شؤون خلقه ولا سيما استركين عليه. وايّ عبد ولد انريناه كنا او ضعفاء واجداً او اموالاً وهو ادرى نا ينفعنا او يضرّنا وفي يده تحويل الضارّ الى نافع وهو ابوا وصحيته لنا كثر وصيب من عنايته بانفسنا ولا ينالنا من يده الا ما كان راجعاً لنا فيه كل او مرضاة فيه الشكر كل الشكر في كل حال سلامة نفسه او مريضة. ان المريض يختمل بكثير من الصبر اوجاع البضع والقطع بعضه ان ذلك لسلامة جسمه ولا يخطر في باله ان الطبيب يرثله رغبة في تعذيبه. مع ان الطبيب من حيث انه انسان يجوز ان يكون موضعاً للظن او للغلط. اما الله فينزّه عن كل ظن وغلط. وهو تعالى يجعل من الامراض والاوجاع منبّهاً للانسان الى تقويم ما اعوج من مسالكه والى ما ينتظره من زوال وحساب. فعند هذا التفكير لا مناص للمؤمن العاقل من القول لله تعالى: بتعضيد نعمتك احمل يا رب ما تشاء ان تلقيه على عاتقي من ثقيل اوخفيف لانه يزول عاجلاً. وانما اسألك ان تثيبني بعد هذه الحياة الدنيا بمعاينة نور وجهك البهي الغامر بالفرح والسعادة الدائمين ارواح حاشيتك المحيطين بعرش جلالتك اجواق الملائكة والبشر السعداء المختارين.

مثل هذا التفكير ان لم يقو على استئصال العلة فلا اقل من ان يخفّف وطأتها القاسية ويمكّن التأمين بزوالها لانه كالياطر لسفينة تقلّبها الامواج فتخفّ الخوف عليها من ابتلاع اللجة ودنوّ ادلاك. هذه حياتنا نعلّلها بالترقيع فباعد عنا سطوة اليأس يتنسم نسيم الرجاء. وفوق تدبيرنا لله تدبير. وما دمنا نرجو حياةً خالدةً بعد هذه الحياة الفانية واننا ان نجعل الحياة الباقية محفوفةً بسعادة ذات كمال وبقاء فليس بالشاق علينا ان يبدل لنا الزائل بالباقي والحسن بالاحسن. فلله درّ الايمان ما اجدره بتهوين البلايا وتحبيبها رغم ما تلبسه من اشمئزاز وكراهية. فسبيلنا ان نتخذ من الضعف قوة قائلين مع الرسول: انني قوي لا بقوة نفسي بل بقوة سيدي الذي يقويني يسوع المسيح. كيف لا ارتجا ان يؤتيني القوة وقد جاد لي بدمه الثمين بذله الى آخر نقطة في محبته اياي اذ لم اكن مستحقا لأخفّ نظرة من عطفه الكريم.

والآن اداوم الشكر لسيدنا الرب يسوع على ما اعطاني من بقائك وبقاء اخوّتك الصادقة تعزيةً في الشيخوخة واوهانها لما في ذلك من سلوة وعزّة وفخر . فانت لي في مكان الروح والفؤاد والصحة وعطية الله لكشف الهم وتفريج الغمّ . وانت ايها الحبيب لا يكن ثقيلاً عليك ما ينوبك من مكروه فما ذلك الا افتقاد من الله وسبب لكسب أجر عظيم هو الله نفسه الذي يفوق كل أجر « انا أجرك العظيم » ومهما تكاثرت البلايا واحزنتنا فليست بالأمر الغريب ما دمنا في وادي الدموع حيث لا يحق لنا ان نتوقّع كمال السرور ودوامه ما لم نخرج من ذلك الوادي العميق صائرين الى الذروة السعيدة المهيّأة للصابرين الجاعلين كل اتكالهم على جودة الله واستحقاقات دم المخلّص الثمين . لا القي عليك وعظاً بل تذكيراً بما يجب الصبر اليّ واليك .

انا لم ازل بقوة الله قادراً على الخدمة بتقريب الذبيحة الالهية كل يوم وعلى خدمة ذاتي في حاجات الروح والجسد وعلى خدمة غيري في الامرين عند اقتضاء الحال. تلك عطية من الله استديمها بالشكر الدائم من الصميم . واسأله تعالى ان يبقي لك ما وهبك من مثلها وزيادة وان يبقيك وقلمك السبّاق في مجالات الادب والدين والاخلاق العالية مثالاً في الصلاح والتقوى والغيرة الروحية وطيب نفس وقرّة عين .

عن البراميه — في ٢٢٠ تشرين الاول سنة ١٩٦٠

لاخيك
الاب مبارك ثابت
لبناني

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

١٨٩٤ — ١٩٦٤

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

وكنت أحبّ أن يتصمّ في هذه المجلة الى صديقه ورفيقه وأخيه في الرهبنة الاب مبارك ثابت كما كان في الحياة رفيقه وصديقه واخاه . وكيف أرجئ هذه الكلمة الى السنة القادمة وقد عرفت مـا عرفت من اخوة الابوين ومن تكاتفهما في العلم والادب ومن محبة صادقة امينة كنت الشاهد العيان لها وكنت اغرف من هذين البحرين امانة وسعة معلومات وعلماً لهـذه المجلة التي باتت مجلتهما اذ انهما حبّرا المقالات العديدة لها وكانا من المفلحين .

أعود الآن من دير سيدة المعونات في جبيل المدينة التي احبّها الاب شبلي حيث رافقت جثمان الصديق الى مثواه الأخير . مات ولم يجب ان تطول مدة مرضه وكان في الليلة الماضية يخطّ من قلمه السيّال مقالة للمشرق . مـات وهو حامل ما كان لشهرته الادبية والتاريخية والعلمية آلة طائعة في يد سبكت الجمل وحبكت المعاني ودقّقت في الاسلوب فكان على بعض الترديدات ثرياً قوياً واسع الآفاق . فيوماً عندما قرأ المرحوم الاب اسحق ارملة الذي كان يجيد العربية مقال الاب شبلي في « السرقة الادبية » قال لي : وكأني بقلم وبنفس ابراهيم اليازجي .

مات الاب شبلي وخسرت فيه مجلة المشرق أديباً كان في « الآثار المطويّة » ينشر من بطون المخطوطات والوثائق القديمة ما كان دفيناً ، وخسرت فيه مؤرخاً كان له من ذاكرته ان يضفي على المقالة رونقاً وبهجة وسعة معلومات لا مثيل لها ، وخسرت فيه ناقداً وكأنه تتلمذ في الجامعات عـلى اشدّ المعلمين علماً وحصافة فنشر مخطوطات وحقّقها فصارت مرجعاً . ولقد اراد دوماً ان ينشر ايضاً « الفوائد الطبية » وهي لتاريخ الطب في زمن من الأزمنة نقطة مهمّة يعود اليها المؤرّخ فيرى ان العرب كان اهتمامهم بالاعشاب ولهذه الأعشاب الفائدة الكبرى .

مات الأب شبلي وقد خسرت فيه الرهبنة اللبنانية الجليلة علماً من اعلامها . عرفتهم ثلاثة الاب بطرس ماره والأب مبارك ثابت والأب شبلي ، ثلاثة كان لصداقتهم اثر كبير في انتاجهم والثلاثة حملوا القلم ودبّجوا المقالات وخدموا ما

أعطوا من حياة . وكانوا كلّهم رهباناً يجدّون وراء الكمال فصرفوا الحياة في الزهد والتقشّف وخدمة النفوس وذلك الشوق الى العلم فنالوا من الشهرة القسط الكبير .

ابتدأ الأب شبلي بكتابة المقالات لمجلة المشرق وهو لا يزال بعد راهباً صغيراً فتح له المرحوم الأب لويس شيخو مؤسسها ابوابها فبرهن عن سرعة خاطر وذكاء نبيه وروح علميّة أعجب بها قارئيه وكلّ على هذا المنوال الى ان وقع القلم من يده قسراً .

ولكنّ غيرته على الأدب لم تكتفِ بالمقالات العديدة التي اودعها مجلة المشرق فنشر صفحات تاريخية قيّمة في مجلة « الورود » التي اسسها اخوه بديع وسار في التأليف فوضع كتابه عن اليازجي وترجم كتاب المعزية الالهية ونشرت واياه تاريخ احمد باشا الجزار وتاريخ الرهبانية الشريرية في مجلّد واحد حوى الوثائق الأثمن التي لولاه لضاعت .

هذا شيء من كثير عن الأب شبلي الذي يتوارى مع موته خمسون سنة جهاد وتنقيب وخدمة . اقول وخدمة وانا على يقين ان الخدمات التي اداها للادباء وللمؤرخين كانت عديدة ، فما من أحد لجأ اليه طالباً بعض المصادر أو الوثائق او تذكير بعض الحوادث الاّ وجد الضالة المنشودة وسار الى وضع الأمور في نصابها.

وماذا اقول بعد في هذه الشخصية الغنية الثريّة . ماذا أقول وقد عايشته خمس عشرة سنة وكنت منه في مقام الصديق والاخ . كنّا نعمل في خدمة المجلّة سويّة ولم يكن له منذ ان عرفته الاّ ان يُعطي مجلة المشرق من عصارة قلبه وعقله . وكم مرّة كان يتّصل بي هاتفياً ليطلعني على مجرى مقال او على اكتشاف وثيقة هي للمشرق . كان فرحه عظيماً لخدمة هكذا عاش وروحه في افتقار دائم الى الخدمة . عبر الطريق وكان خيّراً .

نم يا صديقي مرتاحاً في الأخدار السماوية حيث الله الذي احببت يجازي الجنود امثالك جزاء الظافرين بخدمة الخالق وخدمة القريب .

بيروت في ١٩ كانون اول ١٩٦٤

تعريف عن الكتب

Muḥyī al-Dīn al-Asfahanī : *Epître sur l'Unité et la Trinité. Traité sur l'Intellect. — Fragment sur l'âme.* — Éd. par M. Allard, s.j. et G. Troupeau. — Coll. Recherches. — Imp. Catholique, Beyrouth, 1962. — 81 pp.

كنا في اعداد المشرق لسنتي ١٩٥٢ و ١٩٥٣ تمنّينا على نفسنا ان يقوم عدد من ناشري النصوص المسيحية ويتحفونا بما دُفن في خزانات المخطوطات من آثار عالية قيّمة لتقف اولاً على افكار المؤلفين وتأثيرهم بالفلسفة المعاصرة او قل الجوّ الفكري المعاصر وثانياً على تطوير اللغة من دهر الى دهر. فنشرنا نصوصاً عديدة في مجلة المشرق هذا ونحن على امل ان ننشر قريباً نصوصاً مسيحية عديدة.

وها اليوم نعرّف قرّاء هذه المجلة الكرام بمؤلف له قيمته اللغوية والفكرية في سياق المؤلفات وعصورها. وقد قدم له الناشران بمقدمة فيها الكثير من التنقيب والتدقيق. واظنّ أن ما قالاه ليس سوى نقطة عابرة في تاريخ النصوص المسيحية ربما تغيّر فيها الكثير بعد نشر العدد الكبير من النصوص الدفينة. ولكن ما قالاه يبين ان المؤلف تأثر جداً بالفكر الارسطي في تأويل الثالوث الاقدس. ولا غرو اذ كانت الفلسفة الارسطية اطاراً مكيناً للتفكير في تلك الاوقات. انما يحسن بنا ان نزيد ان الإطار الارسطي لم يكن ليؤثر تماماً على الفكر المسيحي بالذات مع ان هذا الفكر قد فتش عن لباس لغوي اخذه عن ارسطو. فالمعنى يتجاوز الإطار وهذا ما على الناشر ان يجده في جو التطوير الفكري المسيحي الصادق أو الخارج عن الطريق المستقيم. ولذا فالنصوص المنشورة كان عليها ان توضع في جوّ العصر الفكري : اللاهوتي. ذكر الناشران الامور الكثيرة من مؤلّفي تلك الاوقات. انما الاستمرار في التنقيب يطلعنا على ما سيتوصل اليه بعض مفكّري العصر التاسع عشر في اوروبا من تأكيد الصفات في الله ومن تأكيد الصورة التي بها يكون الله او الطبيعة الالهية في وجوده المثلّث الطرق.

في الحواشي الشيء الكثير من الافكار الخيّرة والتدقيق التاريخي العقائدي الصادق وفي الفهارس جمع المفردات التي تنبّه الفكر الى محتويات المنشورات الثلاثة.

ا. ع. خ.

ANDRÉ LECOMTE : *Notre ami Francis.* — Éd. La Colombe, 1964, Paris, 175 pp.

تاريخ رجل وتاريخ زمن . فالرجل محلّى بصفات عظيمة . اتى باريس وهو في عمر الشباب وتعرّف الى حركة Sillon وانخرط فيها للعمل المثمر . عامل بسيط تدرّج في شغله الى ان توصّل الى الادارات العليا والى رئاسة النقابات المهنية . وفي كل هذه المراحل كانت له امنية : ان يشهد لايمانه وان يبرهن عن امانة لا تمحى .

اما الزمن فهو ذلك الذي فيه تجمّعت عائلة وحّدتها عقلية حول مارك Sangnier في Sillon . تلك العائلة التي بعد ١٩١٠ ستعطي روحاً واندفاعاً لا مثيل له لأجيال تميزت بالجدية والفعالية .

انّ مؤلف هذا الكتاب عرف عن كثب مارك Sangnier وفرنسيس جريجوار . وكان القسط الكبير في تلك الروح التي بثّت في السنين الطالعة . ولقد جمع هنا اختباراته والذكريات التي تنوقلت وفيها الكثير من الصفحات المشرقة اذ يخبر فيها قصة اناس عاشوا معه وامامه .

فحياة فرنسيس مثل حيّ لرسالة العلماني في محيطه وبيئته ؛ رسالة متفتحة على مشاكل الساعة وعلى محبة الانسان ، كل الانسان ، وعلى محبة التطوير في التفتيش الصادق عن الفرح . ولذا فهذه الحياة هي مثل حيّ لمعاصرينا كي يحيوا حياةً عملية فعّالة .

ا . ع . خ .

ANOUAR ABDEL-MALEK: *Egypte, société militaire.* — Éd. du Seuil, Paris, 1962. — 380 pp.

ثورة عسكرية أطاحت بحكم ملكي في مصر وهي الى الآن تسيطر على البلاد انما سيطرتها في اعطاء وادي النيل صورة لم يعرفها من قبل: اشتراكية منظمة عليها ان تبيد الاقطاعية والعبودية التي به قهرت الشخصية المصرية الى ان يتم تطوير البلاد الى احسن ما هناك من تطوير . والقوة في سبيل هذا التيار الاجتماعي تحمي الفقير وتسلب الغني من ثروة طائلة عليه ان يضعها في خدمة المجتمع . آراء وآراء . عند النتيجة يُحكم عليها ان كانت صائبة ام لا . ولكن ليس لنا ان نعطي توجيهاً لما في هذا الكتاب من دروس عميقة وتحليلات صائبة واحكام وجيهة . انما الكتاب بكامله درس يودّ المؤلف ان يدافع فيه عن قضية هو على يقين منها . لا يستطيع ان يقنع من هو على عكس هذه

الآراء انما القارئ ايّا كان ليفيد الفائدة الكبيرة من كتاب كهذا يحمل بين دفتيه علمًا وثقافةً راجحةً وان كانت بعض الاوقات متطرّفة .

ا . خ . خ .

GUY RAISSAC : *Un soldat dans la tourmente*. — Éd. Albin Michel, Paris, 1963. — 523 pp.

ان التنقيب عن الحقيقة . ان قام به قاض او فيلسوف : فليس لها واجب فحسب بل هو انبل ما يروق النفس وانجعه . هذا ما حمل المؤلّف على اتحافنا بكتاب كهذا فيه التاريخ الواقعي الذي يستند الى الوثائق الثابتة والذي يُقرأ كقصة شيّقة .

لقد قام المؤلف : بتحكم وضبطه . بتنظيم ودرس الوثائق المتعلقة « بدعوى ڤيغان وغيره » فربح بذلك معرفة ، بطله وتشوقاً الى الامعان في تلك الشخصية الفذّة التي عاكسها الدهر فصمدت غير مقهورة بسل منتصرة والتي لم تنقض الايام الا في خدمة الوطن وفي سبيل خلاصه . هذا ما اراد المؤلف ان يطلعنا عليه في هذا الكتاب الضخم . فلم يتوقف عندما سبق الحرب الاخيرة وهو واضح للجميع انما اراد ان نتتبع ڤيغان من الحرب فما دون . وفي طريقه هذا لم يستطع الا ان يطلعنا على التناقض الكبير الذي عظم مع الايام بين بيتان ودوغول . ولم يتوغل المؤلف في امور خيالية بل ظل يناجي الوثائق اذ لم يرد ان يُعطينا مسألة يدافع هو عنها . فهو عادل في حكمه والعدل امام التاريخ . وان اعطى المؤلف رأيه في الحوادث والرجال الذين تمرّ صورتهم في الوثائق التي يدرس ، فانه يتوخى دوماً فيه الوضعية والاستقامة . ولذا فاننا نحث قراءنا على مطالعة هذا السفر النفيس فيه يجدون قطعة من تاريخ العالم اذ اختلطت شخصية ڤيغان بامور كان لها التأثير العالي .

ب . د

Islamologia, par F. M. PAREJA, en collaboration avec L. Hertling, A. Bausani, Th. Bois. — Beyrouth, Imprimerie Catholique (1957-1963) — 1150 pp. — Cartes, Diagrammes.

كتاب بمثابة دائرة معارف تحتوي صفحاته الضخمة على مادة تغذّي بغزارتها مكتبة ومكتبات . فمن اراد ان يدخل في عالم الاسلام الكثير الشعب والثريّ المظاهر الثقافية عليه ان يفتح هذا الكتاب اذ فيه يجد ما يتمنّاه وما يروقه باسلوبه وخصب معلوماته .

يبدأ هذا المؤلف بدرس اسس الطريقة والمناهج المتّبع في الدروس الموجودة فيه ويثبت الكتب والمؤلّفات التي تكلمت على الاسلام والتي لم يعنها بعد الدهر من افادة قارئيها . وبعد ذلك ففي المقدمة يكلمنا المؤلّف على دار الاسلام التي لم يميزها بعض العلماء عن البلاد العربية . اما في الجزء الاول وهو يحتوي على الفصول ٣ الى ٩ فلقد اعتنى بالتاريخ من محمد والخلافة الى الفترة الحديثة مارًّا بالصعوبات والأعاصير التي كان على الاسلام ان يجابهها في تاريخه : انقساماته المتتالية : تبدّلاته نتيجة الغزو التركي والمنغولي والعثماني . وفي هذا الجزء يحدثنا المؤلف عن الهند والجزر الاسلامية وعن الاسلام في بلاد افريقية . وفي الجزء الثاني (الفصول ١١ الى ١٧) يدور الحديث عن الشريعة والكلام اللذان يتأصّلان في القرآن وعن المذاهب العديدة التفسيرية التي تشعّبت وصارت فرقاً . ولم ينس المؤلف مذاهب التصوّف والطرق التي ميزته والبدع الكثيرة التي منه خرجت الى النور . اما في الجزء الثالث (الفصول ١٨—٢٠) فيدرس الآداب الاسلامية وخاصة العربية منها والفارسية ، ولا ينسى التركية والاوردو وما يُدعى بالآداب الصغيرة اي الباستو والبالوتشي والكردي والبربري والحوزا والشواهيلي . وينتهي الكتاب على فصلين (٢١) يتحدث في الاول عن العلوم وفي الثاني (٢٢) عن الفنون في الديار الاسلامية .

هذا السرد السريع يُظهر ما في هذا الكتاب من ثروة عظيمة . ففي خضم هكذا غزير المعلومات لا بدع اذا ما وجدنا بعض الابهام او عدم التدقيق او بعض الغلط .

عدد غير يسير من الخوارط والتصاوير مبعثرة في الصفحات وتقوم مقام فصول وصفحات عديدة — ١٣ صفحة لذكر المؤلفين الذين تكلموا على الاسلام (اكثر من الفين) وقد ذكروا في آخر كل فصل ، والذين يسهّلون على طالب التعمّق ان يخوض في دروسه الى ابعد ما يستطيع . ولو كان أعاد المؤلف فيها النظر لوجد فيها اصلاحات يجب ادراجها . وهناك ثبت بالاسماء يعدّ ٥٦ ص يساعد على وجود اسم شخصية كبيرة او اسم مدينة او كلمة علمية غاب معناها .

فكل انسان ينحني على التاريخ او السياسة الاسلامية : كل صاحب جريدة يريد التدقيق في اسم مدينة او موضع او زمن ما ؛ وبكلمة واحدة كل شخص مثقّف عليه ان يقتني هذا الكتاب الذي نحن بصدده ملوء المعلومات الشيّقة والمراجعات الثريّة وهو واسطة لا مناصّ منها للعمل والتبحّر والتدقيق — يُطلب من المكتبة الشرقية — ساحة النجمة — بيروت . توما بوا

فهارس المشرق

للسنة الثامنة والخمسين

١٩٦٤

فهرس اول

لمواد السنة الثامنة والخمسين من مجلة المشرق ١٩٦٤

الجزء ١ — (كانون الثاني — شباط) : لغة العرب ، تمازجها مع اللغات الاخرى بقلم ظافر القاسمي (٣—١٠) — القديس يوحنا الكوخي بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (١١—٢١) — وصفات طبية عربية بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (٢٢—٥٠) — معجم تحليل اسماء الاعلام الشخصية وتاريخها بقلم عيسى اسكندر المعلوف (†) (٥١—٦٤) — متفرقات نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي (٦٥—٨٨) — من فرائد الشعر الغنائي في بعض اللغات غير المندية الاوربية بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي (٨٩—١٠٢) — التأثير المسيحي وميزته في الآداب العربية بقلم الخوري ميشال الحاتك (١٠٣—١١٨) — الحركة الفكرية في سورية بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي (١١٩—١٢٨) .

الجزء ٢ — (اذار — نيسان) — بشاره بولس غانم بقلم جرجي ابراهيم نصر (١٢٩—١٥٩) — القديس ارشيليدوس بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (١٦٠—١٦٨) — وصفات طبية عربية بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (١٦٩—٢٠٨) — متفرقات نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي (٢٠٩—٢٣٠) — قضية حماية الاطفال بقلم هنري جويرل (٢٣١—٢٤٨) — الحركة الفكرية في سورية بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي (٢٤٩—٢٦٤) .

الجزء ٣ — (ايار — حزيران) — كتاب اعلام الهدى وعقيدة ارباب التقى للشيخ شهاب الدين السهروردي نشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي (٢٦٥—٢٨٣) — الفونقيون آراميون بقلم الخوري اسحق ارملة (†) (٢٨٤—٢٨٦) — متفرقات نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي (٢٨٧—٣١٢) — الآثار المطوية بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (٣١٣—٣٢٦) — الفوائد الطبية بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (٣٢٧—٣٥٠) — الحركة الفكرية في سورية بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي (٣٥١—٣٧٦) .

الجزءان ٤ — ٥ — (تموز — تشرين الاول) — نصارى غسان والسريان بقلم الخوري

اسحق ارملة (تتمة) (٣٧٧–٣٩٦) – الرواية والاسلام بقلم الدكتور عثمان امين (٣٩٧–٤١٠) – اقراباذين السمرقندي بقلم الدكتور نوري الخالدي والدكتور مارون لبكي (٤١١–٤٢٠) – متفرقات نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي (٤٢١–٤٣٨) – الآثار المطبوعة بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (٤٣٩–٤٨٤) – زكي بك خالي بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي (٤٨٥–٤٩٨) – نشأة الكنيسة وصلتها بالقربان بقلم الخوري فرسيس اميسري (٤٩٩–٥٢٦) – تعريف منطقي بالدروس الكردية بقلم الاب توما بوا الدومنيكاني (٥٢٧–٥٧٠) – الفوائد الطبية بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (٥٧١–٥٩٤) – النقشة الفينيقية في أم العامد الثالثة عشرة من مجموعة دوتان – دورو (٥٩٥–٦٠٦) – آداب الاقباط والآباء في الجيلين الاول والثاني للمسيحية بقلم الدكتور مرتينيانو روفكاليا (٦٠٧–٦١٨) – الكتب (٦١٩–٦٣٢).

الجزء ٦ – (تشرين الثاني – كانون الاول) – نصارى كسكر وواسط قبيل الاسلام بقلم يوسف يعقوب مسكوني (٦٣٣–٦٤٧) – متفرقات نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي (٦٤٨–٦٧٠) – الآثار المطبوعة بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (٦٧١–٧٤٣) – الأب انطونيوس شبلي اللبناني بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي ٧٤٤ – ٧٤٥ – الكتب ٧٤٦–٧٤٩ – فهارس الفهارس (٧٥٠–٧٥٦).

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ارملة (الخوري اسحق (†) : النوينيون آراميون ٢٨٤–٢٨٦ ؛ نصارى شمال والسريان ٣٧٧–٣٩٦

امين (الدكتور عثمان) : الرواية والاسلام ٣٩٧–٤١٠

براندد (ا. فان دن) : النقشة النينيقية في أم العامد الثالثة عشرة من مجموعة دونان – دورو ٥٨٥–٦٠٦

بوا (الاب تومـا الدومينيكاني) : تعريف منطقي بالدروس الكردية ٥٢٧–٥٧٠

اليسوعي (الخوري فرنسيس) : نشأة الكنيسة وحلتها بالقربان ٤٩٩–٥٢٦

توتل (الاب فرديناند اليسوعي) : الحركة الفكرية في سورية ١١٩–١٢٨ ؛ ٢٤٩–٢٦٤ ؛ ٣٥١–٣٧٦

جوبرل (هنري) : قضية حماية الاطفال ٢٣١–٢٤٨

الحايك (الخوري ميشال) : التأثير المسيحي وميزته في الآداب العربية ١٠٣–١١٨

الخالدي (نوري ومارتن ليتي) : اقراباذين السمرقندي ٤١١–٤٢٠

خليفه (الاب اغناطيوس اليسوعي) : متفرقات ٦٥–٨٨ ؛ ٢٠٩–٢٣٠ ؛ ٢٨٧–٣١٢ ؛ ٤٢١–٤٣٨ ؛ ٦٤٨–٦٧٠ ؛ كتاب اعلام الهدى وعقيدة ارباب التقى للشيخ شهاب الدين السهروردي ٢٦٥ – ٢٨٣ : الاب انطونيوس شبلي اللبناني ٧٤٤–٧٤٥ .

رونكالبا (الدكتور مرتينيانو) : آداب الاقباط والآباء في الجيلين الاول والثاني للمسيحية ٦٠٧–٦١٨

شبلي (الاب انطونيوس اللبناني) : القديس يوحنا الكوخي ١١–٢١ – وصفات طبية عربية ٢٢–٥٠ – القديس ارشليدوس ١٦٠–١٦٨ – الآثار المطوية ٣١٣–٣٢٦ ؛ ٤٣٩–٤٨٤ ؛ ٦٧١–٧٤٣ – الفوائد الطبية ٣٢٧–٣٥٠ ؛ ٥٧١–٥٩٤

القاسمي (ظافر) : لغة العرب ، تمازجها مع اللغات الاخرى (٣–١٠)

ليتي (الدكتور مارتن والدكتور نوري الخالدي) اقراباذين السمرقندي ٤١١–٤٢٠

المعلوف (عيسى اسكندر (†) : معجم تحليل اسماء الاعلام الشخصية وتاريخها ٥١–٦٤

نخله (الاب وقائيل اليسوعي) : من فرائد الشعر الغنائي في بعض اللغات غير الهندية – الاوروبية ٨٩–١٠٢ – زكي بك غالي ٤٨٥–٤٩٨

نصر (جرجي ابراهيم) : بشاره بولس غانم ١٢٩–١٥٩

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الثامنة والخمسين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ ــ المطبوعات الشرقية

ا

ابو شنب (رشاد) : الثوار مروا ببيتنا ١٢١ ــ
حياة الملك عبد الوهاب ابو السعود ١٢١ ــ
مسرح عربي قديم ٦٣١ .
ابي نادر (اميل) : فراخ ٦٢٥ .
الاحمر (خلف) : مقدمة في النحو ٢٥٠ .
الادلبي : وداعاً يا دمشق ١٢٢ .

ب

باتون (آلن) : ابك يا بلدي الحبيب ١٢٣ .
باريت (فرنسوا) : تاريخ العمل ٦٢٨ .
بانيول (مارسيل) : توباز ١٢٣ .
بتله (انيس خليل) : مؤلفاته ١٢٤ .
بهنسي (عفيف) : اتجاهات الفنون التشكيلية المعاصرة ١٢٥

ت

تاريخ اصول العالم الحديث ٣٥٦ .
تاريخ العرب والاسلام ٣٥٨ .
تاريخ الحضارة العربية ٣٥٩
التاريخ الحديث في الشرق والغرب ٣٦٠ .
تاريخ العرب الحديث ٣٦٠ .
تاريخ اصول العالم الحديث ٣٦٠ .
تاريخ الوطن العربي ٣٦١ .
تاريخ العرب الحديث منذ الغزو العثماني حتى الوقت الحاضر ٣٦١ .
التاريخ الحديث ٣٦٢ .
تاريخ العالم العربي في العصر الحديث ٣٦٢ .
تاريخ العرب المعاصر ٣٦٢ .
التربية الاجتماعية ٣٦١ .
تقاليد الزواج في الاقليم السوري ١٢٦ .

ج

جبر (جميل) : لبنان في روائع اقلامه ٦٢٤ .
جبري (شفيق) : ارض السحر ١٢٧ .
الجبوري (عبدالله) : نقد وتعريف ٦٢٩ ــ اشباح وظلال ٦٣٠ .
جمال الدين (محسن) : ادباء بغداديون في الاندلس ٥٢٦ ــ وصف الاندلس في معجم البلدان ٦٢٦ ــ رثاء حر بين شاعر بغدادي ودمشقي ٦٢٦ .

ح

حاتم (انور) : اساطير مكسيكية ١٢٨ .
حداد (عبد المسيح) : منطبعات مغترب في سورية ١٢٨ .
حداد (مالك) : الحرية ومأساة التعبير لدى كتاب الجزائر ٢٤٩ .

خ

خوري (الاب نعمةالله) : عشر سنين في شاطئ العاج ٦٢٨ .

د

دواسيس (ماشادو) : كونكاس بوريا ٢٦٣ .
ديب (محمد) : الدار الكبيرة ٢٥٠ .
ديلماس (كلود) : تاريخ الحضارة الاوربية ٢٥١ .
دروس التاريخ ٣٦٤ .

ر

راندرامات طاغور في ذكراه المئوية ٢٥١ .
رأي ابن حلدون ٣٦٧ .
رايت (ريتشارد) : الصبي الاسود ٢٥١ .
الرحيبي (الاشبيلي) . برنامج شيوخ الرحيبي ٢٥٢ .
الرفاعي (انور) : الوطن العربي ٢٥٢ .
روائع من الشعر الفارسي ٦٣٠ .

س

السامرائي (الدكتور ابراهيم) : رسائل في اللغة ٦٢٢ — الاعلام العربية ٦٢٢ .
السباعي (مراد) : الشرارة الاولى ٢٥٣ .
سبيعي (عدنان) : العلاقة بين الآباء والابناء ٢٥٣ .
سعادة (جبرائيل) : محافظة اللاذقية ٢٥٣ .
السمان (وجيه) : الصواريخ والاقمار الصناعية ٢٥٤ .
سوفي (الفريد) : الرأي العام ٢٥٥ .

ش

شبلي (الاب انطونيوس) : الآثار المطرية ٦٢٧ .
الشرقي (حمود) محافظة السويداء ٢٥٥ .
الشريف (منير) : قصة الارض في سورية ٢٥٧ .
شومان (الدكتور) عدنان : التعاويذات ٢٥٧
الشيراوي (سعدي) : كلستان ٢٥٤ .

ص

الصقال (فتح الله) : في العالم الجديد ٢٥٦ .

ط

طرشه (محمود) : تاريخ العرب في العصر الجاهلي حتى نهاية القرن السادس عشر ٢٥٢ .

ع

العادل (فؤاد) . المجتمع الشامي ٢٦٠ .
عويدات (عبده) : النظم الدستورية في لبنان والبلاد العربية والعالم ٦١٩ .
العيسمي (شبلي) : محافظة السويداء ١٥٥ — العهد الجاهلي ٣٦٥ .

غ

غانم (شكري) : عنترة ٢٥٧ .

ف

فرحات (حارس) : ظلال السنديان ٦٢٧ .
فرزات (حرب) : تاريخ العرب من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن السادس عشر ٣٥٢ .
فرعون (مولود) : ابن الفقير ٢٥٨ .
فهد (الاب بطرس) : الذكرى القرنية الاولى لدير مار دوميط فيطرون ٦٢٠ — نخة عن مذهب تحديد النسل ٦٢١ .
الفوطي (ابن) : الجزء الرابع من تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب ١٢٨ .

ق

قاسمية (خيرية) : تاريخ العرب من العصر

الجاهلي حتى نهاية القرن السادس عشر ٣٥٢ .
قصة الجلاء عن سورية ٢٥٩ .
قطاية (الدكتور سلمان) : حياة الفنان فتحي محمد ٢٥٩ .

ك

كيال (منير) : فنون وصناعات دمشقية ٢٦١ .
الكيالي (سامي) : من خطوط الحياة ٦٢٢ — في التاريخ الاندلسية ٦٢٣ — حمر وشعر ٦٢٣ .
كين (فليب) : عاقرة العلم ٢٦١ .

ل

لوركا : فيديريكو غارثيا ٢٦٢ .

م

ماريشو : الاعترافات الكاذبة ٢٦٢ .
مقبل (ابن) : ديوان ١٢٠ .
ملاحظات : مؤلفو الكتب المدرسية ٣٦٤ .

ن

ناصر (زكريا) : ربيع في الرماد ١٢٦ .
نخله (الاب رفائيل) : غرائب اللهجة المصرية ٦٢٩ .
نصر (جرجي ابراهيم) : الروائع الدفينة للشاعر ابو علي حنيفه ٦٢٤ — خواطر وذكريات ٦٢٤ .
نعمة (قداح) : افريقيا الغربية في ظل الاسلام ٢٦٠ .
نمر (داود) : محافظة السويداء ٢٥٥ .

ه

هاليغي (ابلي) . تاريخ الاشتراكية الاوروبية ٢٦٣ .

و

وحدتنا الكبرى في ظل الحرية والعدل ٢٦٤ .

ي

ياسين : الجثة المطوقة ، الاجداد يزدادون ضراوة ٢٦٤ .

٢ — مطبوعات اوروبية

A

Abdel-Malek (Anouar), *Egypte, société militaire* 747
Allard (Michel), s. j., *Muhyi Al-Din Al-Asfahani — Epître sur l'Unité et la Trinité* 746

L

Lecomte (André), *Notre ami Francis* 747

P

Pareja (F.M.), *Islamologia* 748

R

Raissac (Guy), *Un soldat dans la tourmente* 748

T

Troupeau (G.), cf. Allard.

فهرس رابع

لجميع مواد السنة الثامنة والخمسين لمجلة المشرق

على طريقة حروف العجم

ا

الآثار المطوية ٣١٣—٣٢٦ ؛ ٤٣٩—٤٨٤ ؛ ٦٧١—٧٤٣

اثراباذير السرمدي ٤١١—٤٢٠ .

آداب الاقباط والآداء في الجيلين الاول والثاني للمسيحية ٦٠٧—٦١٨ .

ب

بشاره بولس غانم ١٢٩—١٥٩ .

ت

التأثير المسيحي وميزته في الآداب العربية ١٠٣—١١٨ .

تعريف منطقي بالمدروس الكردية ٥٢٧—٥٧٠

ح

الحركة الفكرية في سورية ١١٩—١٢٨ ؛ ٢٤٩—٢٦٤ ؛ ٣٥١—٣٧٦ .

ر

الرواقية والاسلام ٣٩٧—٤١٠ .

ز

زكي بك غالي ٤٨٥—٤٩٨ .

ف

الفوائد الطبية ٣٢٧—٣٥٠ ؛ ٥٧١—٥٩٤ .

الفونيقيون آراميون ٢٨٤—٢٨٦ .

ق

القديس يوحنا الكوخي ١١—٢١ .

القديس ارشيليدوس ١٦٠—١٦٨ .

قضية حماية الطفولة ٢٣١—٢٤٨ .

كتاب اعلام الهدى وعقيدة ارباب التقى . للشيخ شهاب الدين السهروردي ٢٦٥—٢٨٣ .

ل

لغة العرب ، تمازجها مع اللغات الاخرى ٣—١٠ .

م

معجم تحليل اسماء الاعلام الشخصية وتاريخها ٥١—٦٤ .

متفرقات ٦٥—٨٨ ؛ ٢٠٩—٢٣٠ ؛ ٢٨٧—٣١٢ ؛ ٤٢١—٤٣٨ ؛ ٦٤٨—٦٧٠ .

من فرائد الشعر الغنائي في بعض اللغات غير الهندية الاوربية ٨٩—١٠٢ .

ن

نشأة الكنيسة وصلتها بالتربان ٤٩٩—٥٢٦ .

نصارى غسان والسريان ٣٧٧—٣٩٦ .

نصارى كسكر وواسط قبيل الاسلام ٦٢٣—٦٤٧ .

النشأة الفيزيقية في ام العامد الثالثة عشرة في مجموعة دونان—دورو ٥٩٥—٦٠٦ .

و

وصفات طبية عربية ٢٢—٥٠ ؛ ١٦٩—٢٠٨ .

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE
PARAISSANT TOUS LES DEUX MOIS

SCIENCES. LETTRES. ARTS

Sous la direction
des Pères de la Compagnie de Jésus
UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH

Cinquante-huitième année

1964

BEYROUTH
IMPRIMERIE CATHOLIQUE
1964

TABLE DES SOMMAIRES

LVIIIe ANNÉE, 1964

◇

JANVIER - FÉVRIER

La langue arabe et sa présence dans les autres langues (p. 3), par *M. Ẓâfir al-Qâsimī*.
Saint Jean le Cénobite (p. 11), par le *P. A. Chébli*.
Médecine arabe (p. 22), par le *P. A. Chébli*.
Dictionnaire des noms propres (p. 51), par *I. Iskandar al-Ma'lûf*.
V a r i a (p. 65), par le *P. Ignace Abdo Khalifé, s.j.*
Anthologie lyrique des langues non indo-européennes (p. 88), par le *P. R. Nakhla, s.j.*
L'originalité de l'apport chrétien dans les lettres arabes (p. 103), par le *P. Michel Hayek*.
Le mouvement intellectuel en Syrie (p. 119), par le *P. Ferdinand Taoutel, s.j.*

MARS - AVRIL

Bicharàh Boulos Ġānim (p. 129), par *M. G.I. Nasr*.
Saint Archelaïus (p. 160), par le *P. A. Chébli*.
Médecine arabe (p. 109), par le *P. A. Chébli*.
V a r i a (p. 209), par le *P. Ignace A. Khalifé, s.j.*
La protection de l'enfance (p. 231), par *M. Henri Joubrel*.
Le mouvement intellectuel en Syrie (p. 249), par le *P. Ferdinand Taoutel, s.j.*

MAI - JUIN

Kitâb I'lâm al-Hudâ wa-'aqîdat arbâb at-tuqâ de Šihâb ad-Dîn as-Suhrawardī (p. 265), publié par le *P. Ignace A. Khalifé, s.j.*
Les Phéniciens sont des Araméens (p. 284), par le *P. Isḥâq Armalet*.
V a r i a (p. 287), par le *P. Ignace A. Khalifé, s.j.*
Documents inédits (p. 313), par le *P. Chébli*.
Médecine arabe (p. 327), par le *P. A. Chébli*.
Le mouvement intellectuel en Syrie (p. 351), par le *P. Ferdinand Taoutel, s.j.*

JUILLET - OCTOBRE

Les Chrétiens de Gassân et les Syriens (Jacobites) (p. 377), par le *P. Isḥâq Armalet.*
Les Stoiciens et l'Islam (p. 397), par le *Dr. Osmân Amin.*
Samarkaddi's *materia medica* (p. 411), par *MM. Nûri al-Ḥâlidi* et *Martin Levey.*
V a r i a (p. 421), par le *P. Ignace A. Khalifé, s.j.*
Documents inédits (p. 439), par le *P. A. Chébli.*
Zaki bey Gâlî (p. 485), par le *P. R. Nakhla, s.j.*
Naissance de l'Église et sa relation à l'Eucharistie (p. 499), par le *P. Fr. Bussari.*
Bulletin raisonné d'études kurdes (p. 527), par le *P. Thomas Bois, o.p.*
Médecine arabe (p. 571), par le *P. A. Chébli.*
L'Inscription phénicienne Dunand-Duru 13 de Omm al-'Amed (p. 595), par le *P. A. van den Branden.*
Littérature copte et patristique (p. 607), par le *Dr. Martiniano Roncaglia.*
Les livres (p. 619).

NOVEMBRE - DÉCEMBRE

Les Chrétiens de Kaskar et de Wâsiṭ avant l'Islam (p. 634), par *M. Youssef Ya'qūb Maskūnî.*
V a r i a (p. 638), par le *P. Ignace A. Khalifé, s.j.*
Documents inédits (p. 671), par le *P. A. Chébli.*
Le P. Antoine Chébli (p. 744), par le *P. Ignace A. Khalifé, s. j.*
Les Livres (p. 746)
Index généraux (p. 750).